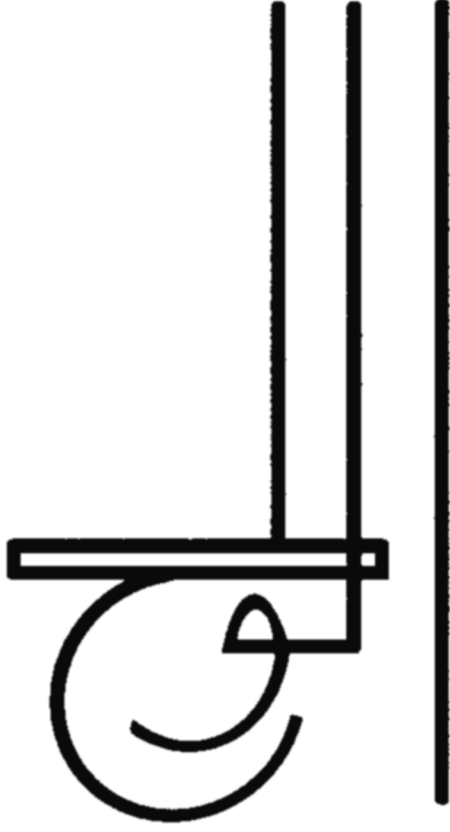




بيت الفقراء
نشر الثقافة الروحية
الجزء الخامس عشر
ألواح ما بين قبر ومنبر

السيد الروح المرشد (سلفر برش)

الجمعية الإسلامية الروحية

القاهرة - الحلية الجديدة

طريق علي مبارك الرقم ٢٨

رافع محمد رافع

ألواح ما بين قبر ومنبر - الجزء الخامس عشر

فهرس الأحاديث

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١	الصلة بين الشيعة والمعتزلة آداب القاهرة	بحث مدرسي للطالبة علياء رضاه رافع	بدون تاريخ	١
٢	الوحي منك وإليك	حديث الجمعة	١٠ مايو ١٩٦١ م	٢١
٣	الإنسان الروح المتجسد للذات الموعود في الذات الموجود ذكر الله لذكر الله.. وعبد الله لعبد الله في الموجود المطلق باسم الله لاسم الله مسيح المسيح إلى مسيح الوجود	حديث الجمعة	٢٥ مايو ١٩٦٢ م	٣٣
٤	الإنسان في ذاته بصفاته في أطواره، هو الطريق والبعث والقيامة والحياة في قائمه بعث قديمه وكتاب قادمه	حديث الجمعة	٢٢ يونيو ١٩٦٢ م	٤٩
٥	الإيمان وعباد الرحمن الإيمان بالشهادة، في الإيمان بعباد الرحمن وما في قلوبهم والإيمان بالغيب، في الإيمان بالرحمن هم وجوه له وهو رب لهم والإيمان بالله، في تلاقي القلوب، مع أعلامه بهم	حديث الجمعة	١٦ يوليو ١٩٦٥ م	٥٩
٦	إنه إنسان الله يوم يقوم ويبعث الكائن البشري إنسانا قام لقديمه عنوانا، ولقادمه بقاءه حقا وبناءً وبنياناً	حديث الجمعة	١٣ مايو ١٩٦٧ م	٧٣

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
٧	التمييز بين الوجدانية والتوحيد الوجدانية فقه الدين.. والتوحيد سلوك الطريق لليقين بعقيدة الواحد الأحد.. وقيام الآحاد فيه في الاكتفاء الذاتي للأحد الإنساني ومتحديه بيت الذات وأعلام الصفات بمعانيه	حديث الجمعة	٢ يونيو ١٩٦٧ م	٨٧
٨	القلوب أرض الحق المخلف لبشرية العقل المشرف، وبشرة النفس المكلف في مجتمع التمييز بين عزة الإحسان، وأوهام الإنسان	حديث الجمعة	٣٠ يونيو ١٩٦٧ م	٩٩
٩	البيت الموضوع يتجدد ولا يتعدد في دورات قرنية وألفية وعصور آدمية بأيام الله بالإنسان	حديث الجمعة	١٤ يوليو ١٩٦٧ م	١١١
١٠	إنسان الكون في الأطوار وإنسان المكون في الأسفار وإنسان الحق في الأقدار وإنسان القدس في الإثهار	حديث الجمعة	٢١ يوليو ١٩٦٧ م	١٢٧
١١	إنسان الرحمة والعدل ملتقى الآباء والأبناء للانهاية الوجود والتواجد لأوادم الإنسان للوجود في بحار العطاء والوجود في قائم وقيوم الله	حديث الجمعة	٢٣ ديسمبر ١٩٦٧ م	١٣٥
١٢	نشيد أن الناس نواة لأوادم الله، والمؤمنين كلمات الله، والعارفين رسل الله، والمرشدين حقائق الله، والروحانيين أمناء الله وأن الروح المرشد (برش) أمين الله وإنسان الله، وتمام كلمة الله متوفاة وروح الله لذوات رسول الله، وعبد الله، لإحاطة وجه الله	صلاة عيد الفطر والاحتفاء برأس السنة الميلادية	١ يناير ١٩٦٨ م	١٤٣

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١٣	الله والإنسان الأصل والعنوان الربان والعبدان الحقان والخلقاق	حديث الجمعة	٥ يناير ١٩٦٨ م	١٥٥
١٤	نحن هنا لنا ديننا والناس غيرنا لهم دينهم وديننا لنا لا شأن لنا بهم ولا شأن لهم بنا	حديث الجمعة	١٩ يناير ١٩٦٨ م	١٦٥
١٥	الله لنا كل هوانا وكل معنانا وكل مبنانا ليس لنا غيره ولسنا فيه غيره بوصلتنا بالرسول، إلينا فينا منا، ليس غيره، ولسنا له غيره	حديث الجمعة	٢ فبراير ١٩٦٨ م	١٧٣

(١)

الصلة بين الشيعة والمعتزلة آداب القاهرة

بحث مدرسي للطالبة علياء رضاه رافع

من هم الشيعة؟

ومن هم المعتزلة؟

وما هي أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما؟ حتى يتضح لنا هذا ينبغي بل يجب أن نرجع إلى معنى التشيع ومن هم الشيعة، ومعنى الاعتزال ومن هم المعتزلة، وهنا سنجد أن الصلة بينهما ستفصح لنا تلقائياً عن نفسها.

الشيعة..

التشيع لغة، معناه يتضمن الاتباع والنصرة لشيء بعينه^١، والشيعة لفظ يطلق على من يؤمن بحق {عليّ} في الخلافة ويجمعون على أنه الخليفة (عليّ كرم الله وجهه)، وهو المنصوص عليه من النبي لإمامة المسلمين من بعده.

ويقول الشهرستاني^٢، (الشيعة هم الذين شايعوا {عليّاً} رضى الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره).

من هو عليّ؟

سؤال لا يصح أن يُسأل ممن كان، أو طلب أن يكون من أمة محمد، لأن {عليّاً} علمٌ غني عن التعريف عند من عرفه بإيمانه بالله ورسوله، وأعلى من أن يعرف عند من شرفه له، ولكن السؤال يحتاج إلى إجابة عند من أنكر معنى {عليّ} من الحقيقة للرسول، فهو لا يرى فيهما إلا رجلاً من رجال التاريخ.

وقد كان هذا الإنكار نتيجة لنقص فهم عند الناس في رسول الله، فقد ارتبط رسول الله في ذهن الناس بظهور الذات المحمدية.. فحصرُوا معنى الرسول في الذات، ولم يمسحوا الذات في معنى الرسول من الحقيقة، فانتفى عندهم رسول الله بمفهومهم بانتفاء مشهود ذاته، ولو أنهم فهموا أن رسول الله معنى أكبر من محمد ذاتا، وأن محمدا ما كان إلا ظهورا لهذا المعنى لرسول الله، لأدركوا أن رسالته لم تنته ولن تنتهي، لأن رسول الله في الناس وبينهم ضرورة حتمية، يظهر دائما بمعناه فيهم، ويتقلب في الساجدين منهم، دائم ذاته لمعناه فيهم، قياما برسالته فيهم، بذوات متصلة لأحدية معنى، لعلّي ذات، رسولا من أنفسهم. {وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا، أبعث الله بشرا رسولا، قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئننين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا}، {ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون}٤. إن {الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس}٥. {يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده}٦.

لو أدركنا هذا لكان من الهين علينا، ومن البسيط لدينا أن نعرف أن محمدا وآله وهم أهل بيت الله الموضوع، هم أهل بيت القبلة، ولرأينا في بيته من آله ومن يدخل فيهم، بقاء معناه بذات وبذوات، المعنى الذي يستمر بدون انقطاع، ولعرفنا من يكون عليّ، فعرفنا من يكون الرسول، ومن يكون ربه، فقدرنا من يكون الله حق قدره.

إن رسول الله {صلعم} ما كان ليرك الناس بدون أن يشير إلى بقائه فيهم بعليّ، وبالمؤمنين بهما، المتابعين لهما، وترك للناس الأمر شورى بينهم ليختاروا من يكون من بينهم من يرعى لهم شئون دنياهم، مطيعا لمن قام رسول الله بينهم فيهم لشئون دينهم.

ولقد سبق لهم أن اختاروا من اختاره الله لشئون دينهم أن يتولى لهم شئون دنياهم. لقد تركهم في شئون دنياهم أن يختاروا هم، ولم يفرض عليهم ذاته لتحكم بينهم في شئون دنياهم إلا بإرادتهم هم، فكيف يفرض عليهم رجلا من بعده ليحكم بينهم! ما كان ليفعل ذلك، ولكن الدين والحق أمر آخر، ليس من شأنهم ولا من أمرهم إنما هو من شأن الله ورسوله، ولقد أشار عليهم الرسول بمن إذا استمسكوا به فلن يضلوا أبدا.. فهل فعلوا؟

إن الشيعة إذن عندما رأوا في عليّ بقاء معنى الرسول لم يتجاوزوا الحق، وعندما أدخلوها في العقائد، فهم أيضا لم يتجاوزوا الحق، إذ أنهم قالوا (ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وبتنصيب الإمام بنصيبهم له، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسول عليهم السلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله)٧.

هنا أجد أن القول حق، وأن القول صدق، إذا كانت الإمامة يُعني بها إمامة دينية، أما إذا كان يُعني بها إمامة سياسية فهذا أمر آخر، أرجئ المناقشة فيه قليلاً.

وعلى هذا فإنهم يقولون ويرون أن من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام، إنما هو نفس صاحب الشريعة الإسلامية، أي أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام، جنباً إلى جنب، وسواء بسواء، ولم يزل غارسها يتعهد بها بالسقي والعناية، حتى نمت وأزهرت في حياته، ثم أثرت بعد وفاته.

كانت الثمرة هي على الذي وضع فيه رسول الله بذور البقاء والاستمرار والدوام، (جعل الله ذرية كل نبي في ظهره وجعل ذريتي في ظهرك يا علي)^٨، والشيعية هم من التفوا حوله وأصبحوا عين الثمرة التي تركها لهم رسول الله.

وكان الالتفاف حول علي نتيجة لما قاله وأشار إليه رسول الله، إذ أنه يقول فيه (من كنت مولاه فعلي مولاه)^٩.

ينقل إلينا ابن واضح العيقوبي^{١٠} هذا في وضوح إذ يقول: خرج {صلعم} منصرفاً فصار إلى موضع يقال له غدير خم لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، ونحن بالمدينة بعد الهجرة وقبيل ارتحاله عنا، وأخذ بيد علي بن أبي طالب، فقال.. أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه.

ثم قال.. أيها الناس، إنني فرطكم وأنتم واردون على الحوض، وإني سائلكم حين تردون عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

قالوا، وما الثقلان يا رسول الله؟

قال.. الثقل الأكبر، كتاب الله سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا. وعترتي أهل بيتي.

ويقال في رواية أخرى أو مرة أخرى، أن الرسول بعد أن عاد من مكة في حجة الوداع، وقف في غدير خم وأخى علياً ابن أبي طالب، وقال (علي مني كهارون من موسى)^{١١} (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله)^{١٢}. وفي رواية أخرى أنه عندما أنزل الله على النبي قوله {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس}^{١٣}. فنزل الرسول في يوم كان الهواء فيه في غاية الحرارة، والمكان مملوء من الأشواك، حتى كان الرجل يضع الرداء تحت قدميه من شدة الرمضاء، وأمر أن يُنصب له منبر، فلما نُصب له واجتمع الناس، ارتقى محمد {صلعم} المنبر ودعا علياً إلى يمينه، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه، أخبر الناس بدنو أجله

قائلاً، لقد دعيت إلى ربي وإني مجيب.. وإني مغادركم من هذه الدنيا، وإني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترته أهل بيتي.

ثم قال (ألست أولى بكم من أنفسكم، قالوا بلى، فأخذ بيد علي ورفعها حتى بان بياض إبطه، وقال (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والي من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله)^{١٤}.

قال الزمخشري^{١٥} في ربيع الأبرار، يروى عن الرسول أنه قال (يا علي إذا كان يوم القيامة أخذت بحجرة الله تعالى، وأخذت أنت بحجزتي، وأخذ ولدك بحجزتك، وأخذ شيعة ولدك بحجزهم، فترى أين يؤمر بنا؟)^{١٦}

وفي حديث الطائر يقول الرسول.. اللهم ائني بأحب خلقك إليك، فأقبل {عليّ}.

ويقول الرسول.. (غدا لأعطين الراية لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)^{١٧}، وكان هذا الرجل الذي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كان علياً.

إن في هذا على قلته، وعلى وجود أكثر منه سواء في الأثر أو في الحديث.. في هذا ما يدل على من هو {عليّ}.

ولكن كيف التفت شيعة عليّ حوله، وكيف ميزت نفسها عن باقي المسلمين؟ إن هذا سيتضح ويفصح عن نفسه من خلال التطور الذي حدث بعد احتجاج الرسول بظاهرة الوفاة.

ففي الساعات الأولى لوفاة النبي، شجر خلاف بين المهاجرين والأنصار حول من يخلف المسلمين ويمثلهم بعد النبي، ثم لا يكاد ينخسف هذا الخلاف آخر النهار، حتى يطلع الصباح بخلاف جديد بين أبي بكر وعليّ^{١٨}.

يروى أنه لما بايع الناس أبا بكر البيعة العامة في مسجد رسول الله، بعث مولاه قنفذ إلى عليّ فقال له عليّ: ما حاجتك؟

قال.. يدعوك خليفة رسول الله.

فقال عليّ (لسريع ما كذبتكم على رسول الله)، فلما ذهب إليه قنفذ مرة ثانية، رفع عليّ صوته، وقال (سبحان الله! لقد ادعى ما ليس له).

وقد قالها عليّ صريحة في وجه أبي بكر.. (أنصفونا - إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، وإلا فبوؤوا بالظلم وأنتم تعلمون)^{١٩}.

لا.. لم يكن علىَّ يريد إمارة، وما كان مثله يطلبها، ولكنه يعلم أنه مسيح الرسول، وأن الرسول قد جعل ألا فرق بينه وبينه، وأنه مصطفى الرسول ليكون بقاء معناه فيهم، ولذا فإنه بايع أبا بكر خوفا من الفتنة، وتوحيدا للكلمة، فقد خشي أن يتفرق المسلمون بعد أن ذاق الرسول في جمعهم الأمرين، فأثر بقاء الإسلام.. آملا أن نتاح له فرصة من خلال هؤلاء الصحابة، للإرشاد والتوجيه، عسى الله أن يفيقهم من غفوتهم، ليجتمعوا على الحق في نفوسهم بينهم، في رسول الله إليهم.

وعلى.. بالإضافة إلى ذلك لم يخل بنصيحة ولا معونة إلى أبي بكر، الذي فرض نفسه على الناس بوصف الخليفة، وهو قائم الأمير، ولو كانت آمال على إمارة أو ملك، ما أعطى مثلها أعطى.

وقد ترك الخلافة بعد ذلك لعمر الذي فرضه أبو بكر أميرا على الناس، صابرا على المسلمين، خافضا لهم جناح الذل من الرحمة، حتى يفيقوا يوما لأمر إمامتهم بينهم، ولم تكن سيرته مع عمر بأقل جودا وكرما من سيرته مع أبي بكر، وقد اعترف عمر بفضلله، وعرف أنه (لولا علىَّ لهلك عمر)، ولكن عمر مع ذلك لم يرجع لعلَّ حقه، ولا أتاح له الفرصة ليلبغ أمره، ولا جمع المسلمين حوله، بل إنه وضعه في الوصية مع آخرين لا يقارنون بمثله، ولم يترك الناس وشأنهم في أمرهم من الله، فأفلت أمر الله منهم، لسوء حظهم، وضعف إيمانهم.

وجاء عثمان يجر وراءه أذيال الضعف والتهاون، ولم يسمع من علىَّ نصيحته، وقد بذلها بإخلاص له كما فعل مع سابقه، فلم يقبل منه إرشادا، فأفلت الأمور من يديه، وظهرت الفوضى قوية بين المسلمين، فثاروا عليه، حاكما بينهم، وموصوف خليفة رسول الله فيهم، وقتل بيد بعضهم، فاذا بالفتنة الكبرى تستشري بينهم فيهم.

فقد أمسى المسلمون يوم قتل عثمان وليس لهم إمام يدبر لهم أمورهم، ويحفظ عليهم نظامهم، وينفذ فيهم سلطانهم^{٢٠}.

فاذا بالجميع يسيل لعابهم على الإمارة، طلحة والزبير من ناحية، ومعاوية من ناحية أخرى، وعلى لا يريد بالمسلمين الفرقة والانقسام، ويريد لهم الوحدة والأمان، فكان لا بد أن يجمع الأمر بيديه، ويحارب من يريد الخروج عليه، وقد بايعه الناس في المدينة، على ما سنوا لأنفسهم، بعد خمسة أيام أو ثمانية على الأكثر من مقتل عثمان.

وقد بدأت الفتنة الأولى عندما صرخت عائشة مطالبة بدم عثمان من علىَّ، فالتف حولها نفر من المسلمين، وساعدها طلحة والزبير، وخرجت لعلَّ في موقعة الجمل، تصرخ من فوق هودجها تحت أنصارها أو شيعتها على محاربة شيعة علىَّ أو أنصاره، فكانت الدماء تسيل وتسفك، أنهارا تجري دون

ثمن يستحق أن تدفع من أجله، فكان هذا قاسيا على بعض المسلمين، الذين رأوا أن هذا أمر ما كان يصح أن يحدث بين مسلم ومسلم، فاعتزلوا الفتنة، وصاروا في عزلة وسموا معتزلة.

ولكن هل استقر الأمر لعلّي بعد هذا في ربوع بلاد المسلمين؟ لقد استقامت له الأمور في الحجاز، وفي الكوفة بعد تسليم الزبير له، وفي البصرة عندما قهر طلحة، ولكن معاوية والي الشام لم يستسلم، وإنما أثر أن يأخذ الإمارة لنفسه ولا يتركها لبني هاشم ارتدادا إلى فرقة الجاهلية مهما كلفه هذا من ثمن.

ولقد أدرك أنه لا يستطيع أن يقف في وجه عليّ، من حيث الدين والعلم مقارنة نفسه به، لأنه يعلم جيدا أن عليّا يفوقه ديناً وعلماً، ويعلم أيضا أن المسلمين لا يجهلون ذلك، ولذا فقد اتخذ من مقتل عثمان سُلها، يرتقي به إلى مطامعه، وكانت كل مطالبه تتركز في ظاهر الأمر في أنه يريد أن يأخذ القصاص من قتلة عثمان، وإمعانا في الخدعة فإنه ادعى أنه معاذ الله أن يتهم عليّا بدمه، ولكنه لا يقبل أن يتهاون عليّ في دم أمير المؤمنين وخليفة المسلمين، ومن هذه النقطة أخذ يحرض أهل الشام على عليّ، لأنه متهاون في أخذ القصاص من الظالمين.

فلما جاءت معركة صفين، وكادت الهزيمة تزحق أنفاسه، دبر له عمرو الخديعة الكبرى، التي فرقت المسلمين عن عليّ، لضعف إيمانهم، ووهن عقيدتهم، فلقد أمرهم عليّ ألا يهتموا بما يسميه فريق معاوية {كتاب الله}، وأن يضربوا جيشه ضربة رجل واحد بلا انقسام، ولكن فريقا أبي، وآخر صمم على القتال، وثالثا وافق على التحكيم، وكانوا كثرة، فرضخ عليّ لمطالبهم، وعندما اختار عبد الله بن عباس ممثلا لهم، إذا بهم مرة أخرى له يعصون، وعليه يخرجون، فاختار لهم من أرادوا اختياره ممثلا لهم، وهو أبو موسى الأشعري، ففكر به عمرو بن العاص، وكانت الهزيمة والمهزلة.

في أثناء هذا كله، كان الفريق الذي اعتزل حرب الجمل مستمرا في اعتزاله، لا يبايع عليّا، ولا يحاربه، وقد قال فيهم عليّ وقوله الحق (هؤلاء قوم خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل).

وكان هؤلاء نفر من كبار الصحابة الذين، لو وقفوا مع عليّ، لكانوا له عوناً كبيراً، من هؤلاء سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وزيد بن حارثة، وأسامة بن زيد، وسعد بن مالك، ومحمد بن مسلم الأنصاري.

هؤلاء المعتزلة بالرغم من أنهم لم يحاربوا مع عليّ، إلا أن قلوبهم كانت معه، وكانوا يودون لو انتصر على الفئة الطاغية، ممثلة في معاوية، ومثال ذلك سعد بن أبي وقاص، الذي كان يقول (ما كنت لأقاتل رجلا - يعني عليّ بن أبي طالب - قال له رسول الله.. أنت مني منزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي).

وأما عبد الله بن عمر، فقد رفض أن يستخدم القوة والعنف في حل المشكلات القائمة بين المسلمين، جاعلا شعاره ونهجه..

من قال حي على الصلاة أجبته..

ومن قال حي على الفلاح أجبته..

ومن قال حي على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله، قلت لا، ولكنه رغم قوته وجراته، ظل إلى آخر أيامه حريصا على ألا يكون له في الفتنة المسلحة دور ونصيب.

يقول أبو العالية البراء..

ولقد كان قلبه مع عليّ رضي الله عنه، بل وكان معه يقينه فيما يبدو، حتى لقد روي عنه أنه قال في أخريات أيامه (ما أجدني آس على شيء فاتني من الدنيا إلا أنني لم أقاتل مع عليّ الفئة الباغية).

هذان الرجلان يمثلان بقية من اعتزلوا الفتنة، من حيث إن قلوبهم كانت مع عليّ، ولكنهم لم يحاولوا نصرته، فهم بذلك كانوا ناقصي فهم وإيمان في عليّ.. ولو أدركوا أن فتنه هي الفئة المسلمة، وأن الإسلام لا يستقيم له قيام إلا مع من يسلم الإنسان نفسه له، رائيا فيه معنى وجه الله، والحق من الله.. إذا أدركوا ذلك ما كانوا ليركوا عليّا، ولكانوا معه يدا واحدة تنصره وتشد أزره.

إن المسلمين الذين التفوا حوله لم تكن منهم إلا فئة قليلة جدا تؤمن به، ولو آمن به كل من التف حوله لكانوا أطوع له من البنان ولا تنصر على معاوية، وقتلت الفتنة في مهدها، وعاد المسلمون إلى التثامهم أمة واحدة.

هكذا يتبين لنا ببساطة أن الشيعة هم من ناصروا عليّا، والمعتزلة هم الذين اعتزلوا الفتنة، راثين أن هذا أصلح لهم. ويروي النوبختي قائلا.. (من الفرق التي افترقت بعد ولاية عليّ، فرقة اعتزلت مع سعد بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، وزيد بن حارثة، فإن هؤلاء اعتزلوا عن عليّ، وامتنعوا عن محاربته والمحاربة معه، بعد دخولهم بيعته والرضا به، فسموا المعتزلة، وصاروا أسلاف المعتزلة إلى آخر الأبد، وقالوا لا يحل قتال عليّ، ولا القتال معه، والأحنف بن قيس قالها لقومه (اعتزلوا الفتنة أصلح لكم).

واستمر الاعتزال بعد ذلك عندما سلم (الحسن) الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، وفيهم يقول الشهرستاني^{٢١}، (وهم سموا أنفسهم معتزلة، وذلك عندما بايع الحسن بن علي عليه السلام معاوية، وسلم

إليه الأمر، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس، وذلك أنهم كانوا من أصحاب عليّ، ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة، فسموا بذلك (معتزلة).

ولكن هل استمر المعتزلة معتزلين؟، وهل استمر الشيعة ناصرين؟ إن هناك تطورا في كليهما، قد سار في إطار من هذه المبادئ الأولية لهما. وقد انقسمت المعتزلة إلى أقسام وفرق، وكذلك انقسمت الشيعة إلى فرق، وإذا نظرنا فإننا نجد أن هناك ثمة صلات رُبطت بينهما، فما هي تلك الصلات؟، وما هي تلك التطورات؟

لقد تطور المعتزلة من مجرد موقف سلمي، كان له أثره بدون شك، إلى آراء وأفكار، وهذا على يد واصل بن عطاء، الذي وقف من الفتنة موقفا، اختلف اختلافا كبيرا عن أسلاف المعتزلة، فهو لم يكتفِ باعتزال الفتنة، بل إنه جوز خطأ عليّ وإن لم يثبتته، وهذا عكس الأسلاف الذين كانت قلوبهم تميل إلى عليّ بكلها وترى الحق معه.

يقول البغدادي على لسان واصل، (قد علمنا أنهم ليسوا بمحققين جميعا، وجائز أن تكون إحدى الطائفتين محقة والأخرى مبطلّة، ولم يتبين لنا من الحق منهم ومن المبطل، فوكلنا أمر القوم إلى عالمه، وتولينا القوم على ما كانوا عليه قبل القتال، فإذا اجتمعت الطائفتان، قلنا قد علمنا أن إحداكما عاصية لا ندري أيكما هي).

وقد نثلهذ واصل على أبي هاشم عبد الله محمد بن الحنفية (٩٨ هـ ٧١٧ م)^{٢٢} وأبو هاشم هو إمام الفرقة الكيسانية بعد أبيه محمد بن الحنفية، وهي إحدى الفرق للشيعة، سميت بذلك نسبة إلى كيسان مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقيل نثلهذ للسيد محمد بن الحنفية رضي الله عنه^{٢٣}.

وهم يقولون (بأن الدين طاعة رجل)، (فن اعتقد أن الدين طاعة رجل، ولا رجل له فلا دين له). ولأنهم شيعة فإن إمامهم الأكبر هو عليّ بن أبي طالب.

إذن بالرغم من أن واصل قد نثلهذ على أبي هاشم، إلا أنه لم يأخذ منه أهم شيء عند الشيعة، وهو وجوب الإمامة، والإيمان بعليّ بن أبي طالب إماما.

إذن لم يكن واصل تلميذا بمعنى المريد، ولكن نستطيع أن نقول إنه مستمع أكثر منه متعلم، لأنه سرعان ما ترك أبا هاشم إلى الحسن البصري، ولكنه لم يلبث قليلا حتى اعتزله هو الآخر، بعد أن نشأ بينهما خلاف بشأن منزلة مرتكب الكبيرة، هل هو مؤمن أو كافر، فقد قرر واصل أن صاحب الكبيرة في منزلة بين المؤمن والكافر، وأخذ يردد رأيه في نفر من أصحابه، في ركن من أركان المسجد، دون أن يأخذ برأي الحسن البصري. فما كان من الحسن إلا أن قال.. اعتزل عنا واصل.

ووضع واصل بن عطاء أصول المعتزلة أربعاً، وزاد أبو هزيل العلاف واحداً فصارت خمساً..

١- توحيد الذات والصفات.. ذلك أن الله صفات هي عين ذاته، فالله عالم بعلم، وعلمه ذاته، وقادر بقدرته، وقدرته ذاته، وحى بحياة، وحياته ذاته، ذلك أنه من المستحيل أن تشارك صفة من صفات الله قدم ذاته، ووجود ذاته.. فاعتبروا تلك الأسماء أو الصفات، وجوها للذات أو هي الذات.

٢- العدل الإلهي.. إن الله عادل لذلك فإن من المستحيل عليه أن يظلم، وهو بعدله يعطي كل ذي حق حقه ثواباً أو عقاباً، وحتى يفعل ذلك فهو يترك للناس حريتها، وهو لا يتدخل في إرادتها، فالإنسان لديه حرية مطلقة، يفعل بها، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

٣- الوعد والوعيد.. الإنسان حر، وهو يخلق أفعاله، فإن فعل خيراً كان الثواب جزاءه والجنة مأواه التي وعد بها، وإن أتي شراً فالنار مأبه والجحيم عذابه، وهذا هو وعد الله ووعيده للمؤمنين والكافرين.

٤- المنزلة بين المنزلتين.. وذلك أن صاحب الكبيرة ليس مؤمناً ولا كافراً، وإنما هو يقع في منزلة بين المنزلتين، بين الكافر والمؤمن.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا مبدأ أخلاقي عملي، لا يتصل بالبحث النظري، ولكنه واجب على كل مسلم.

هذه هي الأصول الخمس اشترك فيها المعتزلة، وطورها بعضهم وأدخل عليها تعديلات كثيرة.

وبالرغم من اتفاق المعتزلة في هذه الأصول الخمس، إلا أنهم قد اختلفوا بعد ذلك في أكثر من موضوع، مثل موضوع الإمامة مثلاً، فبعضهم يميل رأيه إلى الشيعة، وبعضهم يميل إلى الخوارج، والبعض الثالث يميل إلى رأي أهل السنة.

أما الذين اتفقوا مع الشيعة فهم الذين قالوا إن الحجة في الإمام المعصوم وليس في الإجماع^{٢٤}. يتضمن هذا الرأي فكرة لدى الشيعة، وهي ضرورة وجود الإمام بين الناس، وبناء عليه فإن الرأي له والأمر بيده، فهو ملجأ السؤال عند السائل، وكلامه هو الحق، وقوله الصدق.

وقد رمى بعضهم (مثل البلخي) عمرو بن العاص ومعاوية بالإلحاد، إشارة إلى تضامنه مع عليّ، وإيمانه به، واتفق معه أبو جعفر الاسكافي، وجعفر بن حرب، وهم في هذا يشبهون أسلافهم، أمثال سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، من حيث إنهم يميلون إلى عليّ وينفرون من معاوية.

إذاً كما قد عقدنا صلة بين الشيعة والمعتزلة، فإنه ينبغي علينا الآن أن نعرف تطور فرق الشيعة وفلسفتها، فربما تكشف لدينا صلات أخرى.

انقسم الشيعة إلى فرق وكان هذا لسببين..

السبب الأول.. هو الاختلاف في تعيين الأئمة، ويرجع هذا في رأيي إلى أن لكل متعلم مُعلم من طبيعته ونوعه، ولكل فريق إمام يناسبه ويعطيه علمه، ولكن كان ينبغي في نظري أن يرى هؤلاء الأئمة أنهم أعضاء في جسد واحد، وعليهم أن يترابطوا برباط نسيجه المحبة، وبهذا التجمع فإنهم يبقون على رسول الله فيهم، ولا يقسمونه أشلاء فيما بينهم فيفقدونه معهم، ويعمهونه فيهم.

أما السبب الثاني في الانقسام بينهم فإنه يرجع إلى اختلاف آرائهم في تكفير كل من خالف علياً، فبعضهم يقول الخلفاء الذين وصفوا بالراشدين كفار، ظالمون، مغتصبون ما ليس لهم حق فيه، والبعض الآخر منهم يجد أن ما ارتكبه أبو بكر ومن بعده عمر وعثمان من خطأ، هو ليس كبيرة تستحق الكفر. والشيعة على هذا الأساس خمس فرق، كما ذكرهم الشهرستاني، فهم كيسانية، وزيدية، وإمامية، وإسماعيلية، وغلاة^{٢٥}. وأهم فرقهم الآن، الإمامية والزيدية، وعن الإمامية تفرع الاثنا عشرية والإسماعيلية.

فأما الزيدية فهي تنسب إلى زيد بن الحسن بن عليّ،

وقد تلمذ زيد على واصل بن عطاء في الأصول^{٢٦}، ونتج عن هذه العلاقة بين زيد وواصل ثورة كبرى من فرق الشيعة الذين رفضوا زيدا من بينهم، لأنه قبل أن يتعلم من رجل جوز أن يكون عليّ، على خطأ في قتاله مع الناكثين والقاسطين^{٢٧}، ولكن زيدا لم يبالي لقولهم.

وأهم ما يقوله الزيدية.. هو أن الإمامة تتركز في أولاد عليّ من فاطمة، وقد جوز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، وفي ذلك يقول (كان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل الصحابة، إلا أن الخلافة فوضت لأبي بكر لمصلحة رأوها، وقاعدة دينية راعوها، من تسكين الفتنة وتطيب قلوب العامة، فإن عهد الحروب في عهد النبوة كان قريبا، وسيف عليّ من دماء المشركين من قريش وغيرهم لم يحف بعد، والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي، فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل، ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد، فكانت المصلحة أن يكون القائم بهذا الشأن من عرفوه باللين والتؤدة والتقدم بالسن والقرب من الرسول صلى الله عليه وسلم).

من هذا يتبين لنا..

أن الزيدية قد أدركوا حكمة من تولى أبي بكر للحكم، لتبرير تصريف عقولهم، وهي حكمة تبين لنا كم كان المسلمون ضعيفي الإيمان في رسول الله، وهم الذين لقبوا أنفسهم بالمسلمين له.. ذلك أنهم لم ينزهوا

محمدًا رسول الله بينهم - مؤمنين به على زعمهم - عن الميل إلى العصبية، والبحث عن الإمارة والملك في أمر نفسه، أو في أمر مصطفىاه بتوجيه الله، ولو كان إيمانهم صادقًا لالتفتوا حول عليٍّ، مبعدين معاني الإمارة عن إحساسهم ووعيهم، مقدرين لهدي الرسول بتوجيه لهم لخيرهم، ولما سن الله في اختيار نبيه، {الله أعلم حيث يجعل رسالته} ٢٨.

ولمعتدلي الشيعة من الزيدية منطق آخر في الدفاع عن الخلفاء الراشدين، يعبر عنه ابن أبي حديد ٢٩ بقوله (إن عليًّا أفضل الخلق في الآخرة وأعلاهم منزلة في الجنة، وأفضل الخلق في الدنيا وأكرمهم وأكثرهم خصائص ومزايا ومناقب، وكل من عاداه أو حاربه أو أبغضه فإنه عدو الله سبحانه وتعالى وخالد في النار مع الكفار والمنافقين، إلا أن يكون ممن ثبتت توبته، ومات على توليه وحبه، فأما الأفاضل من المهاجرين والأنصار الذين ولوا الإمامة، فلو أنه جابهم فأنكر إمامتهم وغضب عليهم، فضلًا عن أن يشهر عليهم السيف، أو يدعو إلى نفسه مجابها لهم، لقننا إنهم من الهالكين كما لو كان قد غضب عليهم رسول الله (صلعم) وآله، لأنه ثبت أن رسول الله قال لعليٍّ (حربك حربي، وسلمك سلمي)، وأنه قال (اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه) ٣٠، وقال له، (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق) ٣١، ولكنا رأينا قد رضي إمامتهم، وبايعهم وصلى خلفهم، فلم يكن لنا أن نتعدى فعله، ولا أن نتجاوز ما اشتهر عنه.

إذن يرى هؤلاء المعتدلون من الشيعة أن في تقدير الخلفاء متابعة لعليٍّ، وفي الخروج على هذا خروج عليه. فهم على هذا يجوزون إمامة سياسية للمفضول في الدين مع وجود أفضل منه دينًا، في هذا يتلاقى هؤلاء مع أهل السنة، ومع فريق من المعتزلة منهم جعفر بن بشر، وجعفر بن حرب، وكثير النوي، الذين قالوا (الإمامة من مصالح الدين، ليس يُحتاج إليها لمعرفة الله تعالى وتوحيده، فإن ذلك حاصل بالعقل، لكنها يُحتاج إليها لإقامة الحدود والقضاء بين المتحاكين وولاية اليتامى والأيتام، وحفظ البيضة، وإعلاء الكلمة، ونصب القتال مع أعداء الدين، وحتى يكون للمسلمين جماعة، ولا يكون الأمر فوضى بين العامة، فلا يشترط فيها أن يكون الإمام أفضل الأمة علمًا وأقدمهم عهدًا، وأسدهم رأيًا وحكمة، إذ الحاجة تنسد بقيام المفضول مع وجود الفاضل والأفضل).

في كلا الفريقين كما هو ملاحظ، ينصرف لفظ "إمامة" إلى المعنى السياسي، من وجوب حاكم ينظم شؤون البلاد، وهناك خلاف واضح بين الشيعة الزيديين، وبين هذا الفريق من المعتزلة في تحصيل المعرفة الدينية، كما هو واضح من النص الأخير الذي يبين أن المعتزلة يرون أن تحصيل الدين يكون بالعقل، بينما يرى الشيعة أن المعرفة تؤخذ من الإمام، فهو ضرورة للدين، كما هو ضرورة للدنيا.

كان اتفاقهم إذن في جواز المفضول مع وجود الفاضل والأفضل، واختلافهم في كيفية تحصيل العلم. وسنعلق على هذا الرأي بعد قليل.

وأما الإمامية..

فإنهم يرون أن أبا بكر وعمر وعثمان مغتصبون لحق (علّي) في الخلافة، وأن إمامتهم للمسلمين غير صحيحة ولا تجوز.

والإمامية يعتقدون..

أن الله أمر نبيه أن ينص على علّي من بعده، وكان يعلم أن ذلك سوف يثقل على الناس، وقد يحملونه أنه محابة ومحبة لصهره وابن عمه، ولكن الله أعاد على النبي الوصية، ولذا فقد امتثل الرسول للأمر وخطب في الناس قائلاً، (من كنت مولاه فعليّ مولاه)^{٣٢}.

والإمامية يقولون..

نحن شيعة علّي وتابعوه، نسلم من سالمه ونحارب من حاربه، ونعادي من عاداه، ونوالي من والاه، إجابة وامثالاً لدعوة النبي {صلعم} اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. وحُبنا وموالاتنا لعليّ وولده، إنما هي محبة وموالاة للنبي وإطاعة له^{٣٣}.

وأهم مسألة يدور عليها كلام الإمامية..

هي مسألة الإمامة، فهم يعتقدون أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة وهي أساس الدين، وفي ذلك يقول الكليني في كتابه الكافي عن لسان أبي جعفر (ومن يعرف الله عز وجل، ولا يعرف الإمام منا أهل البيت فإنما يعرف ويعبد غير الله)^{٣٤}، وقال الرضا (الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء.. إن الإمامة خلافة الله، وخلافة رسول الله، ومقام أمير المؤمنين، وميراث الحسن والحسين. إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، إن الإمامة أَسُ الإسلام النامي وفرعه السامي).

ويقول الكليني.. (الله عز وجل أعظم من أن يترك الأرض بغير إمام عادل، إن زاد المؤمنون ردهم، وإن نقصوا شيئاً أتمه لهم، ولا تبقى الأرض بغير إمام).

وفي عصمة الإمام فإنهم يقولون.. (إن العبد إذا اختاره الله لأمر عبادته شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعي بعده بجواب، ولا يحيد فيه عن الصواب، فهو معصوم

مؤيد، موفق مسدد، قد أمن من الخطأ والزلل والعتار، يخصه الله بذلك ليكون حجة على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم).

ولالإمامة فروق يبسطونها بين الإمام والنبي، فالنبي يبعث في زمان بعد زمان، والإمام قائم في كل زمان، وقد يكون الإمام إماما مستقرا فهو صاحب الحق في التوصية لخليفته من بعده، أو إماما مستودعا فهو يحمل أمانة الإمامة لضرورة موقوتة ثم يردها إلى صاحبها ولا حق له في التوصية لغيره^{٣٥}.

والإمامية يتفقون مع المعتزلة في تفسيرهم للعدل الإلهي، وعلاقته بحرية الإنسان، فهم يبرهنون على حرية الإنسان المطلقة بعدل الله، إذ أنه من المحال أن يعاقب الله إنسانا عن فعل تدخل إرادة الله في تسييره.

ولما كان الإنسان حرا في اختيار أفعاله، فإن معنى الحسن والقبيح عنده، معنى عقليا صرفا، فهو يفعل ما يراه بعقله أنه حسن، ويمتنع عن فعل ما يراه بعقله أنه قبيح، وفي هذه النقطة فإنهم قد خالفوا الأشاعرة الذين قالوا ليس الحسن إلا ما أقره الشرع، وليس القبيح إلا ما قبحه الشرع.

يقول الإمامية.. (إن العقل مستقل بحسن بعض الأفعال وقبح البعض الآخر، ويحكم بأن القبيح محال على الله لأنه حكيم، وفعل القبيح مناف للحكمة، وتعذيب المطيع ظلم، والظلم قبيح وهو لا يقع من الله تعالى).

وهذه النقطة هي من النقاط التي تربط بين الإمامية من الشيعة والمعتزلة أجمعين، ولكن المعتزلة يعتبرون هذه النقطة من أصول الفكر، ولا يختلف فيها اثنان منهم، أما الشيعة فإنهم يرونها من مجال أحاديثهم، بعد عقيدتهم في الإمام، وهي الأساس الذي يقوم عليه بعد ذلك أي تفكير.

ولكننا نجد أن الإمامية قد انقسمت فريقين بعد جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن فاطمة، وكان هذا الانقسام نتيجة لاختلافهم في الإمام، فقد رأت فرقة أن الإمامة في إسماعيل وهم الإسماعيلية، وأخرى رأتها في ابنه موسى الكاظم، وهم الاثنا عشرية، وقد سُموا بذلك لأنهم قالوا إن الأئمة اثنا عشر آخرهم وهو محمد بن الحسن، هو المهدي المختفي الذي ينتظرون ظهوره (ليملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا).

تعليق..

هذا البحث قد تناول الخطوط العامة بين فرق الشيعة، وفرق المعتزلة، ولم يدخل في تفاصيل توضيح كل جوانب الفريقين، ولذا فإنه ناقص في كليهما نقصا كبيرا. ولكنه على ضآلته ونقصه، فإنه قد

تناول مواضيع هامة لم أستطع أن أكبح جماح نفسي، في أثناء عرضها أن تتدخل، ولكن هذا التدخل مني لم يكن كافيا لإيضاح ما أشعر به، فأثرت الإيجاز حتى لا يضيع الخيط مني، في وسط زحمة من أفكارى، لذا فقد فضلت أن أجمع تعليقاتي التي تفاعلت في نفسي عما فهمت، ممن ربطت به نفسي، وحاولت أن أمسح فيه وجودي، عله يغفر لي ويرحمي من ذنب وجودي بعيدا عنه إلى وجود يقوم به.

لقد تناول البحث قضايا هامة، ولعل قضية الإمامة هي أهمها.

ولا نقول إمام إلا ويتجه الذهن إلى الحاكم الذي يقود المسلمين، وينظم لهم شئونهم. إذ أن المسلمين قد خلطوا بين الإمامة الزمنية، والإمامة الدينية أو الروحية، وكان هذا نتيجة طبيعية لأن الرسول قد تركزت في يده الإمامتان، والرسول قد جعل من الإمامة الدنيوية خادما لنشر دعوته الدينية. ولكن المسلمين وجهوا أنظارهم إلى الإمارة وسال اللعاب عليها، فكانت النتيجة هو إغفال معنى رسول الله بينهم فيهم، والتكبر عليه في عليّ، فكانت دورة من دورات الشيطان مع قائم ودائم الرحمن.

فعندما غربت شمس الحياة ليوم من أيامها، مع غروب ذات محمد، لم ينتظر المسلمون صباح اليوم الجديد في ذات عليّ، ولكنهم عاشوا في ظلام الليل يتخبطون، ولا يتركون للصباح أن يشرق عليهم، لم يحاولوا النظر إلى الشمس تشرق من جديد حولهم، وإنما آثروا إغماض أعينهم إلى أن تختفي الشمس من بينهم، كلما آذنت بشروق الأيام تتوالى، جاهلين أنهم يطفئون نور الله فيهم بأيديهم وأفواههم.

لم يكن أبو بكر يجهل ما لعليّ وقد خاطبه قائلا (ليس مثلي من يطلب البيعة من مثلك)، وكان عمر يقول ويعرف أنه (لولا عليّ لهلك عمر).

ولكنهما مع عليهما بمكانة عليّ فيهما، فإنهما لم يحاولا أن يوجها النظر العام إليه تكليفة رسول الله عليهم دينيا وروحيا. وكان ذلك نتيجة للخرج القائم عندهما بين الدين والدنيا، والصراع بينهما في نفوسهما. فكلاهما يريد لنفسه المعنيين. فلم يكن شأن المسلمين مع الله وصلاحتهم فيه هو ما يعينهم إلا بقدر ما يصلح به شأنهما لهما مع الله، على صورة من فعلهم في حدود فهمهم الاجتهادي، دون التحري السليم لما ترك فيهم رسول الله، لنظرهم ولأمان كسبهم، ونخير جمعهم في اجتماعهم على إمامهم، أخرجه الله ورسوله لهم، وأفصح في أمر من يصلح ليصلي بهم إلى بيته قبله إيمانهم، ليكون إمام دنياهم، لصلاحتها بدينهم، فأشار إليه مكلفا أهل الأمر من بيته (مروا أبا بكر فليصل بالناس)^{٣٦}، ولا تزكوا أنتم أنفسكم عندهم. ولم يحزن عليّ إلا عليهم عندما تنازل عن الإمارة لهم، لأنه يعلم أنه دوام رسول الله، ولا يستطيع الناس منعه ما قسم الله له، وكان يود لو أنهم فتحوا لنور الله صدورهم، وساعدوا الناس

للاستقبال من إشراق الحياة ومن مائها، ليُحيوا في نفوسهم الجذباء بذور النماء وزهور الصفاء، وهو مفتاح كنوز القلوب لهم. ولو فعلوا لكشف لهم من الدين، ما بقي قرونا غامضا عليهم، وما كشف لهم حتى الآن إلا اليسير منه، وعلى يد أئمتهم من أبنائه.

لقد ورث على الأرض ممن زويت له الأرض وجعلت له مسجدا وطهورا، وهو مورثها يوما، (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)، فهل يبالي من زويت له الأرض، بإمارة وقتية زمنية، لرقعة منها! فهو ما كان يريد لها إلا حبا لله في الناس، ربما استطاع من خلالها، مزاولا أو مخلفا منهم فيها، أن يعلمهم في أنفسهم شيئا، أو يساعدهم على كشف الحق في نفوسهم، ويحاول أن يجمعهم على حب الله ورسوله بينهم، فما أراد على الحكم، لذات الحكم، وهو الحاكم بالله وبأمر الله ورسوله، من وراء حجاب النفوس، ولكن ليخدم من خلاله الناس، وييسر لهم قبول الهدى منه.

فهل فهم الناس في على أنهم به يكونون في شهادة محمد رسول الله؟ لقد تحولت شهادة لا إله إلا الله عندنا إلى ألفاظ يلوكمها اللسان، دون أن ينفعل بها وجدان، فلقد عزلنا الله في فهمنا عن وحدته، بإقامة وجود لنا معه، ومهما فهمنا وقلنا فإننا لا نستطيع أن نقيم لنا وجودا بعيدا عنه، لأنه لا وجود إلا فيه، ولا وجود إلا به، ولا وجود لوجود إلا له.

أما الإبقاء على الحياة منه فينا، بدوام وجودنا فيه نكلايا حية تكبر وتنمو، فإننا نكسبه مع ظلال رسول الله بيننا، دائمين فيه نبع الحياة وسر الوجود، فعه نشهد أن لا إله إلا الله، ماسحين وجودنا في وجوده.. وجه الله.. وذكر الله.. ورسول الله.. مدركين أن معية الله لنا لا تعرف إلا به، ولا تشهد إلا معه لمعيتنا فيه.

لقد أعلمنا الرسول عن نفسه كيف مسح وجوده في وجود ربه، فدعا إليه راثيا أنه لا يدعو إلا به.. آملا فينا أن نتبع خطاه، ونسترشد من ضياه، ليقوم فينا على مثال مما قام ربه معه.

إن رسول الله ضرورة حتمية لرحمة الله لمن يطلب الرحمة من الله.. إنه يقوم ويتقلب في الساجدين، فهل بحثنا - نحن المسلمين - عن قام فيه رسول الله ليقوم فينا على ما قام فيه؟

إننا جماع المسلمين على مر العصور لم تشغلنا قضية رسول الله، ولا بيت الرسول الموضوع فينا، وما كانت الكعبة إلا رمزا له، فتعلق المسلمون بالرمز، وتركوا المرموز، تركوا آل البيت، وعبدوا حجارة البيت، وسموا هذا دينا وعبادة ومناسك.

قتلوا فلذات الرسول وتركوا الدم يسيل منها أنهارا، دم يصرخ فيهم لقد قتلتم أنفسكم لأنكم قضيتم على منبع الحياة فيكم.

كيف تسلمون، وليس هناك من تسلمون له قلوبكم، ليكشف لكم فيها عن الله قابعا في أعماقكم؟ لقد كان آل محمد هم محمد فيكم، فما أخذتم منهم وما أدركتم عنهم، إلا بشرا مثلكم، فأنتم الذين قبرتم الحق فيكم، والبشرية المكرومة لكم. شرح الدين معنى الرسول كآدم، وكيف ضرب الله به مثلا لبني آدم بالحق بعليٍّ ومعاوية، والحسين ويزيد، بعد المثل المضروب بمحمد وأبي سفيان، وهاشم وأمّية من قبل، كشفاً لنا موس الفطرة الدائم، لقد كانت أحداث هذه الفتنة دورة من دورات بروز الشيطان في معاوية، ولكن الدورة قاربت على الانتهاء ليظهر الرحمن مرة ثانية سافرا بوجهه الكريم بالإنسان.

إذن لم يتجاوز الشيعة الحق عندما التفوا حول عليّ، راثين فيه بقاء الرسول، وكان اختلافهم على الأئمة بعد ذلك، نتيجة طبيعية، لأن أنوار الذات المحمدية وصفاتها ظهرت في جمع من أفراد أهل البيت، ومنهم امتدت إلى قلوب الكثيرين، ولو أن هذا الجمع توحد لكان بروز الرسول بكامله في جمعهم.. ولكن نقطة الضعف عندهم، أن التابعين منهم لإمام أنكروا على الآخر إمامته، وذلك يرجع إلى ضيق في الفهم وحصر لمعنى الرسول في ذات واحدة، وما كان الرسول إلا معنى يقوم في كل من يصلح للقيام فيه بصفة من صفاته، منارة للحب والألفة بين الناس الذين مسحوا وجودهم في وجوده، وهو الكفيل ببقائه فيهم دوماً، أما التشييت والفرقة فهو تمزيق لمعاني الوحدة في الرسول بينهم وقضاء على ظهوره فيهم. وما اختلفوا إلا بعد الذي جاءهم من العلم. أما الإمامة السياسية الزمنية، أو الإمارة، فهي أمر آخر، له حكمه وله أسبابه وأهدافه، يقيمها الله فيهم بهم منهم رداً لأعمالهم (كيفما تكونوا يوئى عليكم) ٣٧.

أما المعتزلة الأوائل، فإن نقصهم في الإيمان هو الذي حال بينهم وبين الوقوف بجانب عليّ، مع إدراكهم أنه خير الأئمة، وزبدة الإسلام.

وأما المتأخرون منهم الذين قالوا إن العقل هو الذي يوصل للإيمان، وليس هناك حاجة إلى إمام، فإن في هذا مغالطة للعقل نفسه، ذلك أن العقل إذا فكر فهو في حاجة دائماً إلى أن يفهم، وهو يقوم بإدراك النقص الدائم فيه، ومن نقصه فإنه يحتاج إلى عقل أكبر منه، قد فهم ما لم يكن يفهم، وأدرك ما لم يدرك.. ويدرك دائماً أنه مهما حاول الوصول فإنه لا نهاية في بحثه، ولا يقين كامل في فكره، لأن الحقيقة واليقين ليست أفكاراً تفهم، وإنما هي أحاسيس تقوم في نفس الإنسان، إذا كشف عنها عقله بكلام، قيل إنه فكر ومنطق.

والعقل أمر هام إذن، لأنه يعرف الجهل في وعيه، ويطلب الأكل دوماً.. يطلب العقل الأكبر، والرسول الأعظم، والذات الأقدس.

إن العقل عندما يتكلم دون إحساس، فإن كلامه يصبح أجوف، لا حياة فيه، وهذا ما حدث عند المعتزلة، الذين تكلموا عن الله دون أن يكون له مدلول في إحساسهم، فقد عزلوه، ثم نزوه، وكان التنزيه العقلي له مستقيماً، وكان جميلاً لو أكملوه في توحيدهم للوجود من حولهم، مع وجوده المطلق في الكون.

ولكن اتضح عزلهم لله عنهم، في ذكر الصلة بين صفة العدل فيه، وصفة الحرية والإرادة في الإنسان، لذا فقد فصلوا إرادتهم عن إرادته، وحرّيتهم عن حرّيته، ولم يدركوا أن إرادة الإنسان بنفسه، هي إرادة الله به، ولم يعوا أن حرّيتهم هي حركة الحياة من الله فيهم.

لم يقدموا لنا تفسيراً للجنة والنار، ولو عقلوا لأدركوا أن الجنة والنار معاني تقوم في الإنسان نفسه بحق الله فيه، وبمراد قانون الحياة والطبيعة به.

ففي أعماقه يكمن الحق، إذا خالف الحق فيه، تكشف له العذاب والنار من الحق الذي معه، وإذا سائر الحياة فيه، كانت السعادة والجنة له.

إن الحق فينا منادينا أن نبحث عمن يساعدنا على كشف هذه الأكوام من الظلام التي تخنقه، وتمنعه عنا من الظهور لنا، إنه يتوسل إلينا، ويصرخ في أعماقنا.. هلموا إلى الشمس.. إلى النور، فهيا بنا نلبي نداءه، ونبحث عن وجه الله بيننا ورسول الله فينا، فإذا أصلحنا به اعوجاج أنفسنا، لعرفنا بيننا الخبيث من الطيب، والصالح من الطالح، ولكان تجمعنا والتفافنا حول نقطة الحق التي بنورها يزهر الباطل، هو طريقنا للخروج مما نحن فيه، مما لا نرتضيه ولا يرضينا.

ولكن أين الصدق فينا؟ أين الجدية والعزم في تقدير معنويات حياتنا؟ أين نحن من هذا؟ وأين هذا منا؟!

ندعو الله أن يوفقنا، فسعادتنا في القرب منه، وشقاؤنا في البعد عنه، دعاؤنا أن يرعانا دوماً، ويغفر لنا زلاتنا يوماً، وأن يعاملنا برحمته ولا يعاملنا بعدله، وهو أرحم الراحمين.

المراجع..

الملل والنحل.. الشهرستاني

فجر الإسلام.. د. عثمان أمين.

ضحى الإسلام.. د. عثمان أمين.

أصل الشيعة وأصولها.. محمد حسين آل كاشف الغطاء.

رجال حول الرسول، الجزء الأول.. خالد محمد خالد.

الخلافة والإمامة.. عبد الكريم الخطيب.

الصلة بين التشيع والتصوف.

عقيدة الشيعة تأليف.. دوايت، م دوتلدس.

الفتنة الكبرى.. د. طه حسين.

تم بحمد الله وفيض من رسول الله

علياء رضاه رافع محمد رافع.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ الصلة بين التصوف والتشيع.
- ٢ الملل والنحل.
- ٣ سورة الإسراء - ٩٤ - ٩٥
- ٤ سورة الأنعام - ٩
- ٥ سورة الحج - ٧٥
- ٦ سورة غافر - ١٦
- ٧ الملل والنحل للشهرستاني.
- ٨ حديث شريف: "إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وإن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب." أخرجه الطبراني، والسيوطي، وغيرهم من المحدثين.
- ٩ حديث شريف، يوم غدیر خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بيدَ عَلِيٍّ رضي الله عنه، فقال أَلَسْتُ أَوَّلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بَلَىٰ قَالَ أَلَسْتُ أَوَّلَىٰ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالُوا بَلَىٰ قَالَ فَهَذَا وَلِيُّ مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ اللَّهُمَّ عَادِ مِنْ عَادَاهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ١٠ حمد بن إسحق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي كاتب ومؤرخ وجغرافي مسلم عاش في زمن الدولة العباسية وهو أحد مؤرخي أواخر القرن التاسع الميلادي.
- ١١ حديث شريف: "قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ: أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ." صحيح البخاري. و"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَلِيٍّ: أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ." أخرجه النسائي.
- ١٢ من حديث شريف "من كنت مولاة فعلي مولاة، اللهم والي من والاه، وعاد من عاداه." أخرجه ابن ماجه وأحمد. وفي رواية زاد فيه: وانصر من نصره، واخذل من خذله.
- ١٣ سورة المائدة - ٦٧

- ١٤ حديث شريف، يوم غدیر خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلى الله عليه وسلم، بيد علي رضي الله عنه، فقال أَلَسْتُ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بَلَى قَالَ أَلَسْتُ أَوَّلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالُوا بَلَى قَالَ فِهَذَا وَلِيُّيُّ مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ اللَّهُمَّ عَادِ مِنْ عَادَاهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ١٥ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨ هـ / ١٠٧٤-١١٤٣ م) من علماء العربية، وأئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب.
- ١٦ حديث شريف جاء في كتاب "ربيع الأبرار"، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨ هـ / ١٠٧٤-١١٤٣ م) من علماء العربية، وأئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ومصادر متعددة في المكتبة الشيعية.
- ١٧ حديث شريف: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرٍ: لَأُعْطِينَ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ." صحيح البخاري، وأخرجه مسلم باختلاف يسير.
- ١٨ الفتنة الكبرى.
- ١٩ الخلافة والإمامة. عبد الكريم الخطيب.
- ٢٠ الفتنة الكبرى.
- ٢١ الملل والنحل.
- ٢٢ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام.
- ٢٣ الملل والنحل للشهرستاني.
- ٢٤ ضحى الإسلام. أحمد أمين.
- ٢٥ الملل والنحل.
- ٢٦ ضحى الإسلام. أحمد أمين.
- ٢٧ الناكثين طلحة والزبير وعائشة. القاسطين معاوية.
- ٢٨ سورة الأنعام - ١٢٤
- ٢٩ يعتبر ابن ابي حديد ايضا من المعتزلة الذين يميلون الي الشيعة.
- ٣٠ من الحديث الشريف: "... اللَّهُمَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ [وفي رواية] زَادَ فِيهِ: وَانْصَرَّ مِنْ نَصْرِهِ، وَاخْذَلْ مِنْ خِذْلِهِ". كما رواه الترمذي.
- ٣١ قَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: "وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيَّ: أَنْ لَا يُجِبَنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ." صحيح مسلم
- ٣٢ حديث شريف، يوم غدیر خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلى الله عليه وسلم، بيد علي رضي الله عنه، فقال أَلَسْتُ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بَلَى قَالَ أَلَسْتُ أَوَّلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالُوا بَلَى قَالَ فِهَذَا وَلِيُّيُّ مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ اللَّهُمَّ عَادِ مِنْ عَادَاهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ٣٣ أصل الشيعة وأصولها. محمد حسين آل كاشف الغطاء.
- ٣٤ الكليني هو محمد ابن يعقوب، وهو عند الشيعة كالبخاري عند أهل السنة، كتابه الكافي، في ثلاثة أجزاء في الأصول، والثاني والثالث في الفروع.

- ٣٥ فاطمة الزهراء والفاطميين. عباس محمود العقاد.
- ٣٦ لَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ، فَقَالَ: مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ. صحيح البخاري.
- ٣٧ حديث شريف: "كما تكونوا يولّ عليكم". رواه الديلمي والبيهقي.

(٢)

الوحي منك وإليك

حديث الجمعة

٤ ذو الحجة ١٣٨٠ هـ - ١٠ مايو ١٩٦١ م

تصحيح التاريخ الهجري: ٢٥ ذو القعدة ١٣٨٠ هـ

باسم الله الهادي .. باسم الله الحي .. باسم الله القيوم .. باسم الله الرحمن الرحيم .. باسمه نبدأ وبه نستعين .
نحدث دائما عن الأمين، والرسول الأمين، والوحي الأمين، والروح الأمين، ولا نُعْمَلُ عقولنا لنذكر
من يكون الرسول، أو الوحي الأمين، وغير الأمين؟ وما معنى الوحي؟ وهل يتصف الوحي بغير الأمانة،
كما يتصف بالأمانة؟ وهل هناك رسول غير أمين في مواجهة الرسول الأمين؟

الواقع أنه لا يراد بالوحي إلا ما يقوم في النفس من العلم، عما يقوم بها من الوعي عن الحياة من الحي
القيوم، رب الملائكة والروح .. رب الإنسان ورب رب الإنسان، الوجود وموجد الوجود، اسم الله
ومعناه للإنسان، عن الإنسان بالإنسان.

فإذا كان الوحي هو المعلم للمعلمين من الحكماء والرسل والأنبياء، وهو في الوقت نفسه المعلم للنحل في
أوكارها وفي جبالها وفي أعراشها، في حلها وترحالها، وهو الآخذ بنواصي الأشياء من الكائنات في
هياكلها من الأحياء، هاديا طريقها للرشاد، وطريقها لمظهر المقاومة والعناد. فإذا كان نصيب
الإنسان، في الرباط به، قائم بوصف المغيرة له معه، كان الإنسان دون الحيوان، الملهم من نبع الذات.
إذا تأملنا في هذا أمكننا القول بأن الوحي بالنسبة للإنسان هو شقه الغيبي، وهو بداية العلم يتلقاه ويتعلمه
المتعلم الموحى إليه من معلمه الموحى، روحا له، فيعلمه ويعلمه، إذا ما أوتى الحكمة فأوتى بها الخير
العظيم، فيصبح معلما وموحيا وحكيما (إذا رضي الله عن امرئ جعل له من نفسه واعظا، يأمره
وينهاه)^١.

فالوحي في صورته التي عرفها الفقه عند أهل الكتاب أو عَرَفَهَا الأثر عند أهل الخبر، أو عَرَفَهَا التاريخ فسردها من أهل الرواية، إنما هو خطاب بقول أو بوعي أو بتوجيه من الغيب لإتيان فعل يصدر من مصدر غائب عن المخاطب، مدرك منه، أو ظاهر له، يحمل إليه كلاماً بلفظ أو إلقاء بإلهام، يقع في نفس المخاطب وقد يكون بلا لفظ وبلا صوت، ولكنه يحمل له معنى من معاني الحياة أو معنى من معاني الوجود، أو أمراً بتكليف يخص أو يعم، بحال لا يتشكك فيها المخاطب، من أن هذا الإلقاء صادر إليه وليس صادراً منه. فإذا كان هذا الخطاب يحمل أمراً بتكليف أو توجيه أو علم، لا يستقيم مع العقل أو مع معروف الشرع عند المخاطب، كان المصدر من نفسه المنحرفة، وهذا يحمل معنى الاختبار للمخاطب، لتوجيه القوى الكامنة في العقل، إلى الوعي والتقدير السليم. فإذا اختل ميزان العقل، انزلت النفس، وظهرت بسلطانها على الذات، وعبثت بها في الظاهر والباطن.

تأملوا في عبارة الرسول وهو يقول (عرض عليّ جبريل ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت لا والله إنها لشبعة وثلاث جوعات، أشبع فأحمد الله أو أجوع فأتضرع إلى الله)^٢، ثم استمعوا إلى الرسول وهو يقول وقد جاءه الملك في غار حراء، وقدم له رقاً من حرير فيه كلام - سواء في غيبة أو في وعي وتمام صحو - فقال له اقرأ فقال ما أنا بقارئ.. إلى آخر ما روى الرسول.. فهل ذاك الذي عرض عليه بطحاء مكة ذهباً هو عين من قال له اقرأ؟ هذا جبريل في تعريف الرسول، وهذا جبريل في تعريف الرسول، هذا هو الوحي في عرف الفقه، وهذا هو الملك في عرف الفقهاء.. فهل كلاهما واحد؟

وهناك صورة أخرى من الوحي يقدمها الرسول بقوله (نزلت عليّ آية الكرسي يحملها سبعون ألف ملك)^٣، ثم هناك الأحاديث القدسية رواية عن نطق الذات العلية، المدرك للرسول سماعاً أو إلقاء في روعه أو قياماً به نبعا من ذاته، وهي صورة متميزة للوحي إليه، على ما عرف عنده من مصدر الغيب عليه. فالوحي مصدره الأصيل هو الإنسان بقيامه من الله، في قائمه في الله ذي المعارج، صدورا عن الحق لأصل الحق له، أو لقائم الحق لمعيته، أو لقادم الحق به. وقد جمع الرسول جبريل، لمعنى الوحي عنده، إلى أهل بيته في حديث العباءة، كما جمعه على نفسه لموصوف الأخ له، كما جمعه على الأعلى لموصوف الرفيق الأعلى، للعلمية على ربه.

دخل عليه أعرابي ليس عليه آثار السفر، ثم وضع ركبتيه على ركبتيه، وقال له ما الإسلام يا محمد؟ فأجابه، وسأله ما الإيمان يا محمد؟ فأجابه، إلى آخر ما سأله وآخر ما أجابه، ثم انصرف الرجل فقال الرسول ردوا عليّ الرجل فلم يجدوه خارج المسجد عقب خروجه مباشرة، فقال لهم الرسول: هل تعرفون من الرجل؟ قالوا الله ورسوله أعلم، فقال: هذا هو أخي جبريل، جاء يعلمكم دينكم.. فهل هذا

هو من قال له اقرأ؟ هل هو من عرض عليه بطحاء مكة ذهباً؟ هل هو من أوحى إلى النحل أن اسلكي سُبُل ربك ذللاً؟

إذا عرفنا أن الوحي ملأ، كما يصفه رسول الله، وهو يقول أخي جبريل، وكما يقول بل الرفيق الأعلى، في طلب رقيه رقياً لا يتوقف، وكما ينبئ عن الملاء الأعلى أخاً لأهله، وفرداً منه بقوله (إن الملاء الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أنتم)٤. إن أهل هذا الملاء في طبيعة لهم تخرجهم عن قيود المكان والزمان. يتواجدون على ظهر أي كوكب أو أرضه، أو في سمائه لقيام برسالة، ولا يعوقهم ذلك عن الاتصال بإخوانهم من نوعهم، أينما كانوا. ولا يقيدهم عالم أو مكان تواجدهم عن الانتشار بمعانيمهم إلى حيث يريدون، فهم بنوعهم وحيث هم، عالم في وحدة من مفرداته، قائم بذاته.

إذا عرفنا ذلك، كان هذا الملاء والملاء الأعلى، والملاء الأعلى ومن هو أعلى من ملاء، في معارج الله لا تنهاى أمراً يدرك، وكان كل ملاء بين ملائين يحمل خبر الأعلى للأدنى، من أرض بدئه، ملاء بينهما، وهو ما أريد بمعنى الوحي أو الناموس، وهو ملاء قابل للتوحيد مع الأعلى ومع الأدنى، كان الإنسان في حقيقته جماع الثلاث بتواجد له، في العوالم الثلاث.

وقد عبر مؤسسو الأديان عن الوحي، بتعبيرات مختلفة.. فمنهم من قال الناموس بمعنى قائم القانون أو مقيم.. ومنهم من قال الملك، بمعنى الكائن من النور، ومنهم من قال الروح، بمعنى اللطيف للذات، ومنهم من قال الرب، بمعنى الأصل للفرع، وبمعنى المتولي إلى المتولى من الأكبر.. ومنهم من قال آله أو الإله، معنونا المرتقى إلى عوالم الغيب عن قائم الشهادة.. وهكذا.

ولم يناقض القرآن هذه التعبيرات المختلفة عن الوحي أو يعارضها ولكن جمعها كلها مضافة إلى لفظ الله الجامع للغيب والشهادة، إذ يقول في كثير من المواضع، قال الله، كما قال {أرباب متفرقون خير أم الله}٥. نعم هم أرباب لكم، ولكنهم ليسوا أرباباً مع الله بل عباد مكرمون.. آلهة مع الله؟ نعم هؤلاء يرتقون، وهم معان سماوية راقية، تغيب عنكم شهوداً، وتغيب عنكم حساً، وتغيب عنكم فهماً، أو لحاقاً بالأعلى، ولكن آلهة مع الله؟ بل عباد مكرمون!!

لقد خص القرآن، وخصت الرسالة المحمدية، لفظ الله، للحقيقة المجردة، الشاملة، ثم ألحقت بهذه الحقيقة أموراً، سمتها مضافة إلى هذا اللفظ بالعباد، بالذكر، وبالوجه لله، وبالروح، وبالنور، كقوله تعالى {وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث}٦، {وأقم الصلاة لذكري}٧. ذكر الله القديم.. فالذكر إنما يشير مضافاً إلى الله إلى الإنسان علماً عليه، ذكراً محدثاً لذكر قديم أزلي، لم يأت عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً.

إنسانية الله الصمد، صمدية.. إنسانية الله السرمد سمردية.. إنسانية الله الأبد، أبدية.. إنسانية الله الأزل، أزلية.. إنسانية الله إلهية هي حجابها الأعظم، القديم، المتجدد. به يظهر، وبدونه لا يدرك، ولا يعلم. هو في كنزيتة وتنزيهه وتعالیه.. يحيي الوجود في حجابها من إنسانية ذكره السرمدي، في حجابها من النور والظلام، تتواجد مفرداتها قبل تواجد الوجود المرعي منها الذي توجده بخبرتها، يدا الله بما علمت وعلمت في تجوالها في عوالم الله، بحقيقتها لحقها وحقيتها.

حريتها في الانطلاق من عوالم الله، سكونا مع الله في أنفسها، لا تتسع لها السماوات أو الأرض، متسعةً لله ذكرًا له، لها تقام الصلاة، بالصلة، للتواجد به، هي التي تستقبل بمعانيها، مُثلاً عليها له، في بيوت الصلاة بمعانيها، لحرمها لها فيها. {جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس...} ^٨.

عرفاتها حجيج الناس سواسية، لا فرق بين أميرهم وصغيرهم، تحت شمس الله المشرقة.. تحت شمس وجه الله، تتخلل ذواتهم أنوارها، وحرارتها.. نار الله موقدة، بورك من فيها وبورك من حولها، تطلع على الأفتدة، إذ تحيا بها النفوس، فتحي معها العقول، فتشرق معها الضمائر، فيصبح الإنسان على نفسه بصيرة، وإن أبدى معاذيره.. تطلع على الأفتدة، هي بصيرة الإنسان بنفسه، بالقيوم عليه، يعلمه فيعلم السر وأخفى، ويعلم به معلمه، في السر والنجوى.

فالوحي من حيث الذات، إنما هو ملأ التعليم من المعلم، ظاهراً أو مستوراً. ومن هذا قال القوم (الشيخ جبريل المريد) ^٩، وفي هذا يقول القرآن، {إنه لا يأس من روح الله [أمینا معلماً] إلا القوم الكافرون} ^{١٠}، ويقول الكتاب {... أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء} ^{١١}...

وما اقتصر تعليم الروح لعالم الإنسان على الأنبياء، ولكنه شمل الناس، فإذا أخرجهم للناس بتكليف كانوا رسلاً، وإذا قام عليهم بتعريف كانوا لأنفسهم أنبياء، وكانت عقولهم المتصلة هي النبوة لنفوسهم المزكاة المدركة المتقبلة لما يأتي به العقل بصفائه وإدراكه، من الروح، بحريتها وانطلاقها.

فالوحي طبيعة في الإنسان، وفي سائر الكائنات الحية، {ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها} ^{١٢}، وقسط الإنسان منه في جميع عوالمه أوفر من سائر الكائنات. وشرف الإنسان به، أن يرتقي بتطوره إلى صلة تقوم بين داني معناه بنفسه، وبين الأرقى بمعاني الرب له، إدراكاً به، لقيام إلهه، قائماً بهما. وهذا ما عناه الحديث القدسي من الرسول عن الأقدس بقوله (ما ظهرت في شيء مثل ظهوري في الإنسان) ^{١٣}.

يعتقد المسلمون لمحمد إسلاماً للحق معه، أن شرف الرسول قام به لقابليته للاتصال بالوحي إليه، وهو أمر شاركه فيه سائر الأنبياء والحكماء، وأهل المعرفة، ويشاركه فيه سائر الناس ما صلحت طبائعهم له.

ويشاركه ويشاركهم فيه سائر الكائنات الحية. ولكن شرف الرسول وتمييزه لم يقيم على أساس القابلية للوحي، فقد كان هذا أمراً طبيعياً فيه بمولده، وشاركه في هذه القابلية الكثير من الناس، وقد ظهر بذلك الكثيرون من متابعيه، ظهور من سبقه به من الناس من قبله.

ولكن شرف الرسول قام بقيام قديم الإنسان، في جديد الإنسان، في قائم معناه، بوصف العبد لجديده، وبوصف الرب لقديمه، محو للقيام الجديد، وقياما به، للقيام القديم. فكان الجديد المدرك، مسيح القديم الغير مقدر، لإنسان المثل العليا في الله، لا حد له، ولا غيب له، ولا ظهور له إلا بالإنسان، ذكراً أزهياً، وذكرًا محدثاً فيه. فكان بذلك الرسول هو المثالية المقبولة، عند الإنسان الأزلي، ليكونها الإنسان المحدث ليصبح بها ذكراً للقديم، وإنساناً أبدياً.

إن الرسالة الروحية القائمة في هذا العصر، بما تقدم من آيات الطبيعة الإنسانية المحدثه، في قابلياتها، وإمكانيات القيام الإنساني للملأ الأعلى، تظهر جميع صور الوحي، وتكشف عن الناموس، وتقوم بها الربوبية والألوهية والعبودية الإنسانية، في أكمل وأقرب وأشرف صورها.

بذلك تقوم أساليب الاتصال بروح الحياة القائم، والروح الأعظم القائم عليه، والروح القيوم على ما يقوم عليه، وروح الحياة الأعظم اللانهائي على أساس إظهار الدين كله للناس كافة، وفي جميع ألوان هذا الاتصال، بجميع مستوياته، مع الكشف عن طبيعة وقائم إمكانياته، تقوم رسالة الروح لرب العالمين.

فالمخاطبة الداخلية والخارجية والإلقاء والإلهام باللفظ أو بالمعنى، من دائرة القائم أو القيوم أو المحيط، أصبحت أمورا مدركة في هذه الرسالة، بقيامها، واستعمالها، وبيانها، وكشف مقومات القيام بها، أو القيام فيها. فالكثابة التلقائية عن طريق الهيمنة الجزئية على اليد أو اليدين، أو الهيمنة على الجهاز العقلي، أصبح أمراً عادياً، يدرّب الوسطاء له في جميع الدوائر. وكذلك التبليغ عن طريق القراءة على صفحة الفضاء بحروف النور، أصبح أمراً ممكناً وعادياً في هذا الاتصال. وأرقى منه التعبير التصويري عن المعاني، إنباءً عن الماضي، كحكمة مبلغة، أو إنباء عن المستقبل، كآية مقامة أو تكييفاً للحاضر، كتوجيه مصحوب بالاختبار، ومتميز للخصوص لا يدرك إلا بالصفاء. وأكبر من هذا النظر المصحوب بتبادل الحديث الداخلي مع الروح المتصل.. وأكبر منه تكييف الوسيط، على ما يراه كشفه، من إمكانيات الروح عند مرديها، حول وسيط لها بينهم، يأخذ إمكانيات المربي أو المعلم.

والواقع أن أرقى صور الوحي ما ينتهي إليه الإنسان من الحكمة بقيام المعرفة وتحصيل العلم، عن طريق الذات والنفس والعقل والروح، بالوعي الذي يقوم، في مفردات المعنى الإنساني، وفي هذا يقول

عيسى، (إنجيلي في صدري)^{١٤}، عندما سُئل من أين تأتي بهذا الكلام يا معلم؟ ويصف أتباعه رسالة روح القدس بقولهم: قوم أناجيلهم صدورهم.

هذا وحي راقٍ.. هذا إنسان هو كتابه.. هذا كائن هو علمه.. هذا وجود هو نفسه.. هذا رسول وجوده، وجوده وحيه.. وفي هذا يقول القرآن عن محمد {ما كذب الفؤاد ما رأى}^{١٥}، {وما ينطق عن الهوى}^{١٦}، إنما ينطق عن العلم.. عن المعرفة.. المعرفة لها فيه قيام وكيان، {إن هو إلا وحي يوحى}^{١٧}.

أوجده الأعلى لنفسه، موصولاً به غير متخلٍ عنه.. أول العابدين من قومه لكوثره، فكان أول عابدين لعليه، فعلم في علمه عن نفسه أن الإنسان على نفسه بصيرة، علم ما كان.. علم بدء وجوده، بدء الوجود له، رسولا لكونه ولعالمه. أوجده الأعلى بعثاً لأول العابدين له، بمعناه في قديم معناه، فعرفه آخر الأمر، قبله، رفيقاً له، لتكاثره، فكان آخر الأمر عنده، به لنفسه، قائم كوثره، فقام به آخر الأمر، لقائم عينه له، فكان في موجوده المحدث أمراً وسطاً، هو الأول والآخر لموجوده لحق قديمه لوجوده، فاطلع في نفسه على ما سيكون، في آخر الأمر به، فعرف ما يكون، فقال لأُمته، (أعلمني الله في موقعي هذا، وفي كرتي هذه ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، سلوا ما شئتم)^{١٨}.

وقد ضرب عيسى عليه السلام مثلاً يحققه لنفسه من يتابعه في سيره إلى ربه، لمعنى رفيق أعلى، وفي سيره بربه إلى اللانهائي فيه، فقال كتاب إحاطته {ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون}^{١٩}، ولم يؤاخذهم الرسول بما لم تتحمل عقولهم أو لم تتقبل نفوسهم، مما لا يطيقون، فما أرسل إلا رحمة للعالمين، فقال (اذهبوا فأنتم الطلقاء)^{٢٠}، وتألف قلوبهم وبشّرهم برحمة الله المهداة به فقال (أمة مذنبه ورب غفور)^{٢١}.

كان العلم قياماً في موجوده، عليه الصلوات والسلام، كما كان هو حق معناه، وكتاب نفسه، {ألم نشرح لك صدرك}^{٢٢}، فكان في مرتقاه أم كتابه، عند ربه يتكاثر، بتواجده، بألواحه وكتبه، فعرف أنه أم الكتاب، يحو ويثبت فيها بقلم القدرة، وما قلم قدرة الله إلا العبد نفسه. ففتح باب الرجاء والمغفرة للناس، فقال (أتبع السيئة الحسنة تحبها)^{٢٣}.

وقال القوم من بعده، اللهم إن كنت كتبتني بفعلي، في كتابي عندك، في أم الكتاب لقائم نفسي، شقياً أو محروماً، فاحُ اللهم شقاوتي وحرمانِي. فعنى ذلك أنه يقول، أن وفقني يا إلهي ووليي، وافعل بي في فعلي، يا روح قياي وقائم عيني، وساكن قلبي، ومحرك إرادتي، وفقني أن أمحو حرمانِي وشقاوتي وطردي إلى فعل حسن، وخلقني بخلق حسن، يسره لي، فأنت الميسر لكل أمر، والقائم في كل قيام..

اللهم أنس الحفظة ذنوبي، واستر عيوبي، وقوم نفسي وجوارحي. هذا رجل موحد لا يشرك بالله في نفسه، ويرى أن لكل إنسان أم كتاب له عند ربه، تشمل كتب حياته بعمله.

فما هي أرق صور الوحي؟ إن أرق صور الوحي هي تفتح الإنسان لنفسه.. هي العلم بالنفس وكشف كنوزها.. هي التأمل السليم والنظر الصادق، المثمر للانفعال والتطور.. هي تحصيل الحكمة من الوعي المستقيم في أطوار الذات سافرة، فكتاب الله يكشف عن ذلك، وهو يقول {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق} ٢٤.

هذه أرق صور الوحي، وقد صلب البصر البصيرة بالوصلة بالله موجود الكون والكينونة، سيعرف الإنسان من تلقاء نفسه، وقد تفتحت نفسه في ناموسها بآيات الله، وقد تفتح الكون من حوله في ناموسه بآيات الله، فلم يك في عمى عنها فيعمها الله، كما يعمونه في أنفسهم، وهم ينظرونه، في الاتجاهين الداخلي والخارجي، والأصلين بالآباء والأبناء.

لهم عيون قلوبهم ولكن لا يبصرون بها، وقلوبهم يسمعون ولكنهم لا يدركونه.. يسمعون في وجيب ودقات قلوبهم، كما يسمعون في هدير الأنهار.. يسمعون في أصوات الرياح.. في حفيف الأشجار، في زئير السباع.. في تغريد الطيور.. يسمعون في أصوات الطبيعة، ترعد فترهب وتهدأ فتسعد.. يسمعون في كل شيء فلهم آذان ال-قلوب ولكنهم لا يسمعون بها.. لهم قلوب تعقل، ولكن لا يفقهون بها، يملكون بالبعوض يقلقهم ويضجرهم.. ويمرون بالحلب في لمحات تسعدهم، لا يفرقون بينهما، ولا يشعرون بالحلب معه، ولا بالرهبة منه، ولا بالخشية له.. لهم قلوب ولكن لا يحيونها ولا يحيون بها.

هكذا هي جوارحهم عاطلة، ما أعملوها، وما قاموها ليتعاملوا بها معه فيحيونها بالمعاملة معه وبالتخلق بخلقه بها.

لهم أيد هي لله عضد، بها يوسع خلق السماوات والأرض، وبها يمسك الأرض، فالأرض جميعا قبضته، يوم يقوم بنوره في العبد، ليجعله له يدا. ولكنهم لا يحيونها، ليحياء الله، فيكون عبدا، (زويت له الأرض) ٢٥

هذا هو الوحي.. فأنتم مصدر الوحي، ما تأملتم في أنفسكم، وحمل عالمكم ما علم من معلوم عنده، فنبه به غافلا إلى ما فيه فاستيقظ قلبه، أو أدرك حسه أو تنبه لمعينة الله معه.

إنما يعظم الله بواحدة {أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تنفكروا} ٢٦، والرسول يركز هديه في أمرين، (ابداً بنفسك [مستهديا] ثم بمن تعول [هاديا]) ٢٧، (ولأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها) ٢٨، وها هي الرسالة الروحية في هذا العصر تجدد تعاليم الأديان مجتمعة، في دين واحد، هو الإيمان

بروح الحياة الأعظم اللانهائي، والاتصال بالأرواح المرشدة، من قديم الجنس البشري، وعلى رأس الجميع إنسان الله وعبدته ورسوله، وكل من على الأرض من أنبيائها هم لهم الأبناء، وأئمتهم منهم الكلمات والعباد، في خدمة أخوتهم وآبائهم، وأبنائهم من المادة، مرضاة لهما وتكليفاً منهما.

والرسالة الروحية تحذر من السير وراء الحس وإغفال إعمال العقل. وتحذر من الاندفاع، وتنصح بكل ما سبق أن نصح به الرسول، والأنبياء والحكماء من قبله، والأئمة والعارفون والعلماء لدائم النبوة، والهدي من بعده، (إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى)^{٢٩}، فهي تدعو إلى التثبت من موضع القدم قبل الارتكاز عليها، لتحريك الأخرى بإعمال العقل، لفهم كل ما يقدم للحس عن طريق الاتصال. كما تدعو إلى حسن اختيار الرائد الأرضي من الجنس أو الوسيط المتابع. وتجعل من طهارة المسلك في الحياة، أول شرط لسلامة وصدق الاتصال عن طريقه.

إنكم في هذه البشرية عالم من المعاني ولستم عالماً من المباني. إنكم عالم للوحي، يوحى منكم، ويوحى إليكم، ويوحى بكم، أمة وسطاً، توحون منكم إلى من تحبون وتريدون، بما يوحى إليكم ممن سبق.

إن الوحي.. إنما هو إدراك الحياة على ما هي الحياة، والعمل بقوانينها، وإعمال الخير للآخرين لكسب النفس. وإن الدين هو إدراك الحياة، على ما هي الحياة، لإحياء النفس. وإن الاستقامة على الدين، إنما هي استقامتكم في الحياة، على معرفة بقوانين الحياة، وإعمالها، فتزدادون حياة على حياة، وتزدادون نمواً على نمو، في تواصل بالحياة والنمو، بها فيها، بالحق في أنفسكم من الله.

تأملوا قوله تعالى {أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء}^{٣٠}، وقوله {نفخ على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا.. بكرة وعشيا}^{٣١}، وتأملوا قول الرسول (الحج عرفة)^{٣٢}، أي الحج معرفة، أي حج من عرفه.. فالحج الصحيح أن يحج قلبك إلى عقلك راشداً، أو أن يحج عقلك إلى قلبك متحققاً متخلصاً مما سوى الله، لله فارغاً. وهذا هو الاتصال والوحي إليك في كماله.. فالحج إنما هو فيك، منك إليك، الحج إنما هو في معانيك.. الوحي إليك هو أنت {إن هو إلا وحي يوحى}^{٣٣}.

الدين إنما هو الحياة في حياتك، يثمر ثمرته، يوم تستقيم في قوانين الحياة.. والكتاب إنما هو في بصيرتك بها تبصر فتقرأ، إذا رددت البصر إلى البصيرة فأبصرت، ولحقتك من اللطيف الخبير لاحق، فأبصرت بك بجراحة حية لك، ففجرت الأرض في ذاتك عيوناً.. عيوناً ناظرة وعيوناً عذبة وعيوناً صافية، وعيوناً واعية.. الله من ورائها محيط.. والله من أمامها بوجهه محوط.. لا تلحقه الأبصار ويلحق الأبصار وهو اللطيف الخبير.

نسأل الله أن يقوم طريقنا فيه. وأن يقوم أمرنا به، وأن يركز وعينا وعقولنا ونفوسنا ذكرا له، ذاكرين له مذكورين منه، من فضله ورحمته.. ونسأل الله أن ينزل سكينته على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وأن يدفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم، إنه هو الأعز الأكرم.

لا إله غيره ولا معبود سواه. نسأله الرحمة والمغفرة لنا ولكافة أمة محمد وللناس أجمعين. نسأله الرحمة والمغفرة للبشرية جميعا وللناس جميعا.

أضواء على الطريق

من هدي الروح المرشد السيد سلفربرش..

(ليس لدينا زمن كالذي تفهمونه، لأنه ليس لدينا أرض تدور حول محورها ونعتمد على الشمس لتهبها الليل والنهار. كيف تحسبون البارحة والغد إن لم توجد تقاسيم الليل والنهار؟ إنهم هنا ينتظرون. وهم لو عرفوا أنهم ينتظرون لحطموا فكرة الانتظار، إنه سجن من صنع النفس).

{ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها }^{٣٤}.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ حديث شريف: "إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه يأمره وينهاه." أخرجه الديلمي، وجاء في الجامع الصغير للسيوطي.
- ٢ إشارة إلى الحديث الشريف: "عرض عليّ ربي لي جعل لي بطحاء مكة ذهباً قلت لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما وقال ثلاثا أو نحو هذا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك." سنن الترمذي
- ٣ إشارة إلى ما جاء في الأثر عن أكثر من سورة، منها الأنعام والكهف، فيقال أن كل منهما نزلت ومعها سبعون ألف ملك، وكذلك ما يخص بعض الآيات الشريفة، ومنها آية الكرسي، أخرج أحمد في مسنده، عن معقل بن يسار: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "البقرة سنام القرآن وذروته، نزل مع كل آية منها، ثمانون ملكا واستخرجت {الله لا إله إلا هو الحي القيوم} من تحت العرش فوصلت بها."
- ٤ حديث شريف ذكره الشعراي في "لطائف المنن" مشيراً إلى أن الحكيم الترمذي رواه في نوادر الأصول، كما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي، وكذلك تفسيرات بعض الصوفية للقرآن الكريم بنص: "إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإن الملاء الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أنتم".
- ٥ سورة يوسف - ٣٩
- ٦ سورة الشعراء - ٥
- ٧ سورة طه - ١٤
- ٨ سورة المائدة - ٩٧

- ٩ قول صوفي لم نستدل على قائله.
- ١٠ سورة يوسف - ٨٧
- ١١ سورة الشورى - ٥١
- ١٢ سورة الشمس - ٧-٨
- ١٣ حديث قدسي يردده الصوفية ولكن بلا سند.
- ١٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق. وربما تشير إلى الآية: (مَلَكُوتُ اللَّهِ دَاخِلُكُمْ. (لو ١٧-٢١.
- ١٥ سورة النجم - ١١
- ١٦ سورة النجم - ٣
- ١٧ سورة النجم - ٤
- ١٨ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٩ سورة الزخرف - ٥٧
- ٢٠ حديث شريف: "معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم! قال: فإني أقول لكم ما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء." السيرة النبوية لابن اسحق، وابن هشام، كما رواه والطبري في "تاريخ الأمم والملوك"، والنسائي والبيهقي في "السنن الكبرى".
- ٢١ حديث شريف: "دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِي عَارِضَتِي الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا ثَلَاثَةً أَسْطُرٌ بِالذَّهَبِ - لَا بَمَاءٍ الذَّهَبِ: السَّطْرُ الْأَوَّلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَالسَّطْرُ الثَّانِي: مَا قَدَّمْنَا وَجَدْنَا، وَمَا أَكَلْنَا رَبِحْنَا، وَمَا خَلَقْنَا خَسِرْنَا. وَالسَّطْرُ الثَّلَاثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ." أخرجه الرافعي في (تاريخه) عن أنس ابن مالك. المحدث الألباني. المصدر: ضعيف الجامع.
- ٢٢ سورة الشرح - ١
- ٢٣ حديث شريف: "اتَّبَعَ اللَّهُ حَيْثُمَا كُنْتُ، وَاتَّبَعَ السَّيِّئَةُ الْحَسَنَةَ تَمَحُّجَهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ" أخرجه الترمذي وأحمد.
- ٢٤ سورة فصلت - ٥٣
- ٢٥ إشارة إلى الحديث الشريف: "إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا فَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَزْنَ: الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ..." أخرجه مسلم في صحيحه.
- ٢٦ سورة سبأ - ٤٦.
- ٢٧ من حديثين شريفيين ذات صلة: "ابداً بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيءٍ فلاهلك، فإن فضل من أهلك شيءٍ، فلذي قرابتك فإن فضل من ذي قرابتك شيءٍ فهكذا وهكذا، وهكذا." أخرجه مسلم والنسائي. و"خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى. وابدأ بمن تعول." صحيح البخاري وصحيح النسائي. أيضاً من الحديث الشريف:
- ٢٨ استلهاما من حديث شريف يخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام علي بن أبي طالب: "فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النعم" أخرجه البخاري ومسلم.

٢٩ من حديث شريف: "إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفْقٍ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى." أخرجه البزار والحاكم، وكذلك البيهقي باختلاف يسير. وأخرجه أحمد " إِنْ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرَفْقٍ".

٣٠ سورة الشورى - ٥١

٣١ سورة مريم - ١١

٣٢ حديث شريف: "الحجُّ يومُ عرفةَ". أخرجه البخاري ومسلم.

٣٣ سورة النجم - ٤

٣٤ سورة النازعات - ٤٦

(٣)

الإنسان الروح المتجسد للذات الموعود في الذات الموجود ذكر الله لذكر الله.. وعبد الله لعبد الله في الموجود المطلق باسم الله لاسم الله مسيح المسيح إلى مسيح الوجود

حديث الجمعة

٢١ ذوالحجة ١٣٨١ هـ - ٢٥ مايو ١٩٦٢ م

هل أتى على الإنسان لفرده بنوعه وجمعه لجنسه، حين من الدهر، لم يكن شيئاً مذكوراً؟ هل يدري الإنسان متى بدأ وجوده وجنسه؟ إنه لا يدري ولا يستطيع أن يدري، إلا إذا تجاوز جنسه نوعاً وزماناً! ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. فلا أقل من أن ينظر ويتأمل، فلينظر الإنسان بحاضره ولاحقه وبقديمه لسابقه، مِمَّ خُلِقَ {خُلِقَ من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب}¹، وإنه على رجعه لقادر في كرات متواصلة..

{إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً}²، نظوره في جلود نبدلها، {ما ننسخ من آية أو ننسها نأتِ بخير منها أو مثلها}³.

خُلِقَ الإنسان من تراب الأرض لقلبه وجلبابه ومما لا يعلم من رجع السماء من الروح والطاقة، وعلى صورة ثابتة أنبتناه من الأرض نباتاً، وجعلنا منه بشراً مملكة نباتية، وجعلناه أزواجاً وجددناه أفراداً، ثم جعلناه أمشاجاً جلباباً وثياباً ودثاراً، هشيماً تذروه الرياح، فنطلق من سجونها بأشباحها في صورها الأرواح لمجتمع وعالم روحي ناري أو نوراني {قد علمنا ما تنقص الأرض منهم}⁴، {وما تغيض الأرحام وما تزداد}⁵، ألم تروا أنا جعلنا بعبادنا، لقائم حقائقنا، سفن خلاص، بها {نأتي الأرض ننقصها من أطرافها}⁶، {ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض}⁷.

أغرتم الحياة الدنيا، وما الحياة الدنيا في الحياة الأخرى، قائم لبابكم، بما نفخنا فيكم من روحنا، إلا متاع، جنة من جنان، ونار من نيران، ففي أنفسكم لهما كلكم بجلودكم، وهي جلاب لبوت قلوبكم، لجديد بدئكم، أفلا تبصرون؟ إنا نريك آياتنا في أحداث وفعل الكون، في الآفاق من حولكم، وفي أنفسكم لانعكاسكم فيكم، فلم إلى أنفسكم لا ترجعون، فتبصرون جوانبكم لعوالمكم؟ أفلا تذكرون بما إليه هديتم وبه تهتدون؟

ما الحياة الدنيا إلا لهُو ولعب، يعشقها السطحيون، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور، تستهوي اللاهين العابثين بالحياة، ولكنها بواقعها كتاب الحق للمتأملين المتقين، {وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما إلا عيين} ^٨، {لو أردنا أن نتخذ لهُوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين} ^٩، وما كنا في أمرنا عابثين، وما كنا في فعلنا لاهين.

تأمل الإنسان في أمر نفسه من بدء نشأته، كلما كان له بدء بنشأة، فرداً أو جمعا {والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا} ^{١٠} (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) ^{١١}، {الله يتوفى الأنفس حين موتها، والتي لم تمت في منامها} ^{١٢}، وبقي الإنسان متأملاً في أمر نفسه، أخطأ أو أصاب، لا ينفك أبداً عن التأمل في أمر نفسه، مهما قل نصيبه من هذا التأمل، فهو الموصوف بالعقل وبالم تأمل المستنير. وباعد الإنسان بينه وبين ما يطلب من الاجتماع على الحق أو المعرفة عنه، في أمر خلقه وحقه، بجهله عنه، باحثاً عن خالقه بعيداً عن قائمه، ولما كان في ظاهر قيامه مخلوقاً مادياً على ما هو مدرك عنده في حدود وعيه، فكر في الأكبر منه من موجودات الوجود، ثم فكر في الألقى إليه من كائناته.

فعبّد نفسه للشمس بوصفها الأكبر، وعبّد نفسه للأرض بوصفها الأقرب والألقى، فلما ارتقى وعيه عن المادة، وطلب ما وراءها، عبّد نفسه لنفسه، وعبّد عقله لعقله، وعبّد فردّه لجمعه، وعبّد جنسه لفردّه.

فلما أدرك التوقيت لما عبده له، ظاهراً لإدراكه، وبدأ يرتقي بمعنوياته في معبوده، وقدّر بوعيه أن معبوده يجب ألا يكون موقوتاً، فكر في معاني الوسيلة إليه، وفكر في معاني الرسالة منه، فرأى في المكونات معاني الرسالة منه، بتواجدها علماً على ما وراءها، من غير المدرك لعقله.. فتقرب إلى غير المدرك، بمعاملته مع المدرك، لعقله ونظره، فتقرب إليه بالشمس، ورآه بصفاته في صفاتها، وبقدرته في قدرتها، رسولا من مقصوده إليه بالحق بعث {جعلنا الشمس عليه دليلاً} ^{١٣}.

ثم تجول العقل الإنساني فيما وراء الأشياء، بحثاً عن الحقيقة، مراحل أخرى، محاولاً إدراك موضعه من الأشياء ورباطه من الحقيقة، مشوقاً إلى قيام الوصلة معها، حتى انتصرت مجاهدته وكشف عنه

غطاؤه فظهرت فيه الحكمة في أصدق صورها، عروجا إلى أكل لتمام كمالها، مرجوا منه، في إدراك باطنه مرتبطا بظاهره.

تم له ذلك بكشف القناع بين ظواهره وروابطها بمعارج بواطنه، فسعد بإدراك جمال الصلة بين ذاته في حقي أنانيته بمعانيه في واسع هويته، وذاته بخلقه، قائم جنته لعارجه، بجنانه في تقييده، بانطلاقه من قيوده في طليق موجوده، بروحه لقائم قلبه، مركزا للبه، مستجيبا لعقله، قبسا من نور ربه، لمعاني الأعلى برفيقه، فاتخذ من القلب بجوهره، مركزا لهيكله، وبيتا لذكره، للقاء مذكوره في قلبه بنفسه.

بذلك قام دين الفطرة وأخذ طريقه في الناس قديما، بمن لم يذكر لأهل الكتاب في كتبهم، ثم خبت جذوته، وغابت جنته بعد أن أشهدا للناس ناموس فطرتهم، فاختنى نورهم عنهم بعد أن عمل بهم، وعمل لهم، وعمل منهم، وتغلقت بالظلام جلبابا لها قلوبهم، فرجعت البشرية إلى عماها عن معناها، وامتهنت الآباء لحقائق الحق لها، فجاءت النبوة مجددة دين الفطرة بالأبوة، بأبناء من الجنس {أخوهم صالح} ^{١٤} وابن الإنسان، وسيد ولد آدم، بالأمر الوسط، يذكرونهم بأخوتهم بما تلقوا من آبائهم في قديم وجديد ودائم وصلتهم.

وأخذت النبوة طريقها بين الناس، متجددة بالأبناء، بين يقظة وغفلة النفوس، وبين نور وظلمة القلوب، وبين سكتة ولفتة العقول، حتى ختم النبوة لكسب الناس بلا تمييز بينهم خاتمها وطابعها لبني إسرائيل عيسى بن مريم، وللناس كافة من جدد دين الفطرة مجددا الحكمة القديمة، مجددا معرفة الآباء، مجددا معاني الوحدانية للإنسان، للتعريف عن وحدانية الرحمن، في وحدانية الله، بين ظاهر الإنسان بقيامه لعالمه وكونه، وباطن الإنسان بقيامه لقيومه وقائمه، كافة للناس قدوة وأسوة، معرفا ومحققا قيام الله على كل نفس بكسبها، عبد الله وابن عبد الله وأبو عبد الله.

وبذلك فتح للبشرية مرة أخرى أن يتواجد منها بينها معاني الآباء لها بعثا من الحكماء، لا بدء لهم، ففتح للآباء من القدامى ما يشاقون إليه من أن يتواجدوا على أرض نشأتهم مرة أخرى مجددين أثوابهم في معاني الأبناء، ليفيضوا بعلمهم ومعلومهم على أبناء الأرض من سلالة الأبناء لهم، لا انقضاء لجديدهم، حتى يعرف الإنسان ربه وإلهه وحقه في نفسه بالتعارف بين الجديد والقديم له في أمره، بدورة خلقه إلى صمد حقيقته. وهو ما عناه الرسول بقوله (خلفت الله عليكم) ^{١٥}.

وتوالى الآباء مبعوثين في معاني الأبناء، وعاد الأبناء من الأنبياء مجددين لأنفسهم بين الناس ليتوفوا إلى حقائقهم. فكان محمد أول العباد وأول الحقائق وأول العابدين لبعده بعثا لأول العابدين قبله. بهذا كان رسول الله لبعده وقبله، ومتم الكاملين للأكل باقتدائه، ومؤهل الطالبين لمعرفة هديه، ومكمل النبيين

إلى قائم حقه، وهادي الصديقين لقيام عينه، حوض الحياة للمفتقرين، وإمام الرعاية والراعين، عبدا لله لعبد الله ورفيق أعلى وربا للعالمين، من رب العالمين، في الله ذي المعارج لا شريك لله ولا إحاطة به.

به عُرِفَ الله، فكان هو العلم للإنسان عن الإنسان عند الإنسان، سيد الأولين ولا أول له، وسيد الآخرين ولا آخر له، به يُقَدَّرُ الرب للإنسان بالإنسان، فيقَدَّرُ الله حق قدره، وبه يُقَدَّرُ الإنسان لله حق قدره، وبه يُقَدَّرُ عبد الله لعبد الله حق قدره، فتقَدَّرُ العبودية لله حق قدرها، وبه تفاض رحمة الله على ما يليق برحمة الله، وبه تكتب صحائف الخلق بيضاء مطهرة، ويمحي ظلام صحائفهم سودا مغبرة، (أتبع السيئة الحسنة تحمها) ^{١٦} بهديه وشفاعته ووسيلته وقدوته، برحمة الله فيما يأتي الناس مجددا به من رحمته.

ربه المعطي دائما وأزلا، وهو يده لقائم القاسم أبدا وسرمدا، صاحب الخلق العظيم. الناس أقربهم منازل في قائمه أحاسنهم أخلاقا الموطؤون أكفأ، يوم يدخلون فيه وفي عهده وميثاقه، فيكسبون الحياة به، وقد لحقتهم فيوضات نظراته الربانية، وقد نفخ فيهم من روحه، فاجتازت أنواره أسوارهم إلى قلوبهم، فقام وتقلب فيهم بالسجود للأعلى، فعرف به العابد ما يكون العبد وما يكون المعبود.

يحيا به الحي، منه الحياة التي لا موت بعدها، ويموت عن نفسه إليه، الميتة التي لا شقاء ولا مسئولية بعدها، أقرب الناس منازل منه يوم القيام به فيه لهم أحاسنهم أخلاقا، الموطؤون أكفأ الذين يألفون ويؤلفون.

ما كانت القيامة عنده، وعند عارفها وقائميها إلا قيامه، أمة هو لها إمام وهي له علم، وهي في قيامها علم على معلومها من معبودها، على ما قام فيها بالحق عبادا لربه، عباد مكرمون على جانبي الحياة، من ظاهر الحياة على الأرض أو في باطن الحياة في سماواتها ومراقبها، من عوالم الروح، أو في ظاهرها في السماوات، لباطنها على الأرض، سماء دنيا.

إذا ردّدنا ذلك بيننا به متواصين، وقلنا به مؤمنين وموقنين، وإذا فكرنا فيه وتأمّلنا إليه مفتقرين، أدركنا أن الدين لا يقوم إلا في المعرفة عن الإنسان، وأن المعرفة عن الإنسان لا تقوم إلا في المعرفة عن الإنسان المعلوم، وأن المعرفة عن الإنسان المعلوم لا تقوم إلا في المعرفة عن العبد المرقوم، وأن العبد لله معلوم عبد الله، ما كان لنا عندنا على أتم ما يكون، إلى موعود تمام، إلا محمد الله، لقائم ومعنى رسول الله، في قديم وقادم لقائم له بيننا لا ييتر، هو لنا جميعا بالحق كوثر ونحن له جميعا لقائم الحق به مظهر.

فإذا قلنا بقديم الإنسان للحق وجودا، وبقديم العبد له بالحق تواجدا، وعرفنا أن هذا الإنسان في قديمه ما عُرِفَ وعَرَفَ إلا بتواجده في جديده من قديمه دائما، وأن الإنسان في تعاليه هو عين الإنسان في

تدانيه، يوم يتعالى بسابق، ويداني بتواجد له بلاحق، فتساءلنا بيننا، ومن يكون السابق ومن يكون اللاحق لعلنا منا؟ ما وجدناهما إلا من عرفناه لنا، في الحاضر مثله عندنا رسول الله، من شهدناه بيننا حاضرا، وعلمنا على السابق واللاحق لمعنى الموعود، للقائم الموجود، في كل نفس، لكل نفس، ممن هو على كل نفس، كافة للناس.

إن المعرفة في محمد، هي المعرفة في الإنسان (المحمد) .. وهي المعرفة في العبد المحقق، متعاليا إلى إنسانه الممجّد، مدانيا بجديد عبوديته، لدائم رسالته، مبعوثا بجديد من خلقيته، إلى البشرية بحقيقته، لعين عنوانه خلقا وحقا.

ولذلك قامت دعوة محمد ورسالته، يدعو إلى ربه ما دعا إلى نفسه، {وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا}، {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان}، وقامت دعوة ربه إلى خلقه في الدعوة إلى عبده {اسجدوا لآدم}، ولا تفرقوا بين الله ورسوله. فما كان العبد في محمد غير وجه الرب له، منطلق موجود لمعاني وجه ربه بذوات وبروح وجوده، هو المقيد بموجود الحق لمعاني العبد، للمطلق، لقائم الرب، للرب الأعلى، للإنسان الغيب، لإنسانه للشهادة، يشهد لقومه، بعنوانه، لدائمه للريادة.

من هذا قال مقالته، لم تدرك لنا، (ما عرفني غير ربي) ٢٠، وهو ما يتحقق للمعلم، يوم يزدوج في موجوده لوجوده، فما عرف هو نفسه في عليمه لقيومه، وإن عرف أنه بنفسه ما كان فيه شيء غير ربه، لقائم الحق بقيامه مشهودا له فيمن قامه، شهد الأعلى له في الأدنى منه بلا انقضاء لشهوده ووجوده، فغابت عنه الإحاطة بنفسه في خلقه وفي حقه، لكاتب علمه عن المطلق، بقيامه في إطلاقه بانطلاقه.

خلقه الأعلى به فيه منه فسواه فعّله، وفي أي صورة ما شاء ركه، ثم إلى نفسه أضافه فحققه، وعن معاني خلقه أماته فأقبره، ثم من قبره أقامه فبعثه وأحياه فنشره، يقوم ويتقلب في الساجدين، روح قدسه دائما ومن قديم، فني عنه وبقي بالرب له، ويفني متابعوه عنهم ويبقى العبد به لهم، وجوها لربه، وبعثا لنفسه، وحشرا لكوثره في مجال خلقه لقائم حقه.

لقد عرف محمد شرف الإنسان له في أمره، من غير معروف له يحيط به، إذ لو أحاط بنفسه لأحاط بربه، وعرف شرف العبد بالحق لذاته في أمره مضافا إلى أمر ربه لشهوده، في قائم أمر وجوده. عبّد نفسه لربه رفيقا أعلى، فوجد ربه لقائم عينه، يعبد نفسه لرب له بدوره، فأدرك أن الملائة الأعلى يطلبون الحقيقة على ما يطلبها هو، وعلى ما يطلب هو لنفسه، في طلبه لمن يصدقه ويتابعه فما علم يعلمه، فعرف أن العبد هو المطلوب الرب أيضا، كما هو الرب لطلب العبد، فقام يعنون بافتقاره ومجاهدته الملائة الأدنى

الطالب للملأ الأعلى، فأمن في معراجهِ لمراقبه لا تتناهى بالغيب، وطلب إلى الناس أن يؤمنوا بالغيب معه مثله على ما آمن به. وأعلم وأعلن وأشهر أن الرب يبحث عن عبده، كما يبحث العبد عن ربه، في هذا المجتمع البشري وفيه يلتقيان، (المؤمن مرآة المؤمن)^{٢١}، وجه لوجه في الله. فأمر وهدي {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}^{٢٢}.

عرّف ربه ليس بغيب عليه، وعرفه لا يغيب على الناس ما طلبوه طلبه. فهو القيوم عليهم قائم الأعلى لقيامهم به، وهو على كل نفس قائم الحياة لها، ومن وراء كل نفس هو المحيط المعبود عندها. فدعاهم إلى ربه وربهم في معيتهم، ووصفهم بأخوته، دعوة الأخوة في البشرية (إذا جئت في القيامة دعوتكم بيا إخواني)^{٢٣}، وشهد وأشهد الناس جميعا لله، بقوله لقيامته بهم لهم، (خلفت الله عليكم)^{٢٤}.

بقيامه وبعثه بربه، قام رب الناس على الناس سافرا باسمه اللهم.. الله لهم.. الله هم.. ربا على الناس وراعيا لهم، مقوما به لأمرهم، وأقامه ملكا على الناس وخادما لهم، مزوية له الأرض، وخليفة له مخضعا لهم بسلطانه، رحمة بهم بحاكمية الله وأمرأ له.. إلها للناس وإنسانهم، وجها يشهد بينهم، وأمرأ الله لا يحاط به، وغيبا عليهم، لا يظهر لهم فيهم إلا بعنوانه لأمرهم، وعينهم، وبذلك دب الحق على الأرض بينهم على مثلهم ومن أنفسهم، خفيا عليهم، على سنن من قديم فعله ودائمه، فقال الرسول بمن قامهم هاديا بهم، ومُعَلِّما ومبشرا ومحذرا، (خلفت الله عليكم)^{٢٥}، وقال الكتاب معه ميسرا بلسانه {أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها}^{٢٦} بعباده لمعنى سفن الخلاص (أخفى الله الولي في الخلق)^{٢٧}.

الله يأتي الأرض يوم يدب عليها بمن آوى من أهلها إلى نفسه، وأضاف إلى حقه، يتيما عن داريه، بعيدا عن خلقه في عالميه بغيبته عن عالمي المادة والروح لقائه بإرادته في معناه، وعن معنييه بالكثيف واللطيف، عبدا وأمرأ للرحمن، خرج من فردّه إلى جماع قومه، خروجا من العزلة عن المطلق، في الناس، كزا على نفسه بالأنانية له، منطلقا من الأنانية لعبوديته في قيده إلى أنانيته لربه، مطلقا في وجوده وجها واسما له، وقبسا من نوره.

إن محمدا عرف ربه والأعلى، على ما يليق أن تكون المعرفة بالحق، وعرّف الله على ما يليق أن يكون التعريف عنه، فقامه له اسما، وكتّابا، فظهره له رسولا، ودامه به مرسلا، وقربه للقلوب رحمة، فظهره له عبدا، وبشره للناس كافة، إنسانا وحقا، وظهره كلمة وابنا، ووعدده وجهه وأبا، وقامه حقه وآبا، وأسفر به أمره وفعله، شفاعة وطلبا، وقامه الساعة، هو ذكراها، وهو عين معناها، وهو رَجُلُها، وهو قيامها ومجلاها (بعثت والساعة كهاتين)^{٢٨}، مشيرا لأصبعيه تعريفا عنه وعنّها لله أمرين، وزمانين، وحقين، ورسالتين، وإنسانين.

الساعة عنده، وعند من آمن، وعُرف لمعنى قومه وأُمته، هي لمحّة اليقين.. هي لمحّة التلاق.. هي كينونة (كن) على ما أراد ناطقها. إنها واحدة في حياة كائناتها، كلمح بالبصر أو هي أقرب، يسعدها الكائن البشري، يوم هو بها إلى ربه في قلبه يتعارف، ومعه في معناه يلتقي يقينها له لقديمه، ويقينه بها لحديثه منه وقائمه به، يعرف بها أن الله أقرب إليه من حبل الوريد، وأنه على نفسه قائم، وأن الرسول قد صدق، وأنه ما حمل من ربه إلا صدقا، وأنه ما حمل قولاً، ولكنه حمل فعلاً وأمرًا، وأن المؤمن بالله ورسوله يفنى عنه إليهما، بلبه وقلبه وقلبه ثالث وأقانيم قيامه، يبعث بهم لسعيد الكلمة لهم لقائمه، في مطلق الوجود لقائم الله، بقائم الحق منه له فيه.

هل يؤمن الناس حقا أن الله أقرب إليهم من حبل الوريد؟ أم أنهم في هذا المعنى ينافقون أنفسهم! إذ لو أنهم آمنوا أنه أقرب إليهم من حبل الوريد حقا، ما فسق منهم فاسق، وما قسى منهم على أخيه طاغ، وما انحرف عن الجادة منهم منحرف.

ولكنه وهو أقرب إليهم من حبل الوريد، حقا وصدقا، فإنه في رقة وحنان عنهم بهم عليهم يتحجب، حتى يتكشف للناس لأنفسهم يوما على معاييرهم من خلق ذواتهم ونفوسهم بماديهم من عملهم بصورة لعملهم بموجود مقابل لتواجدهم، بأمانة وجوده لهم بالحياة، وأقرب إليهم من حبل الوريد فعلا، فيعرفونهم لهم الشاكر والمجود، المحب والحقود، المنزلق والمستقيم، في محاسبة أنفسهم، {فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره} ٢٩، {كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا} ٣٠، حتى يأخذ كل كائن بمعايير نفسه وبمعايير قدرته، {أعطى كل شيء خلقه ثم هدى} ٣١، وكفى بكل نفس على نفسها حسيبا ورقيبا وسائلا ومجيبا، مريضا وطيبيا، موجودا ومتواجدا، مؤمنا مرآة لمؤمن في قائم مؤمن، {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى} ٣٢.

إن البشرية على الأرض وفي سائر عوالمها ما عرفت ولا تعرف ولن تعرف من الحق إلا ما تواجد به وجودها منه، ولن تعرف إلا ما تواجد موجودها لها.

فلن تعرف إلا قديم تواجدها عند موجودها منه، ولن تحصد إلا قادم تواجدها من قائم وجودها به. إن التواجد في هذه الأرض تحت ثراها، أو على سطحها، لسمائها الدنيا لمعناها، أو في سماوات قيامها لسموها، إنما هي تواجد ووجود واحد، متحد، لوحدة حضرتها بإنسانيتها {ألم نجعل الأرض كفاتا. أحياء وأمواتا} ٣٣.

أنتم دائما بمكانكم من السماء الدنيا، في قائم هذا التواجد، والوجود المتحد، إنما تقومون المرحلة الوسطى فيه، والقيام الأوسط منه. فالقيام الأعلى يواصل تدفقه قرونا وقرونا إلى هذا القيام الأدنى، حتى يقوم

فيه بمثاله (إنكم لا تدرون كم قطعتم من آلاف وآلافها من السنين حتى وصلتكم إلى صوركم هذه)، هذا ما يقوله الروح المرشد (السيد برش).

وقد قام الحق في تدانيه بمثاله الفردي والجماعي لوجه الحق الجامع لصفاته في قائمه بذاته، مبعوثا به بينكم إنسانه دب على الأرض في مثالكم فردا وبيتا وجمعا لمثاليتم رسولا من أنفسكم، جعل الله في اقتدائه ومتابعته، محو نباتيتكم وحيوانيتكم وجماديتكم، بعثه الله من عاليه بإنسان حقه قيوم ربه بقائه، أحياء من أعلى وبعثه حيا من أدنى، جماع الحياة، بجمع الحياتين، في أحد متزاوج، فكان بينكم لآدمكم لعلمكم وشهودكم محمدا رسول الله، وما كان محمد جديدا على التواجد على الأرض، فقد تواجد الإنسان في معاني قديمه من قبل، باسم الذكر لحقي الإنسان لآدمه، كلما كانت هناك أولية بآدم لها، كان هو رسول الله إليه، على صورة ما هو قائم لآدم زمانكم، لجديد بدء لعالم المستقبل، الذي تعد وتتهيأ له رسالة الروح القائمة، في هذا العصر، لتنام دورة، لآدم، وبداية لأخرى، نفاذا للنبا العظيم في دورته.

ففي مجال أقدم منه وأقدم، تواجده آدماء لدائم دورته، وتواجدته قبل آدم آدما، ومئات الألوف من الأوادم لحقيقة آدم، بإنسان قيومه لقائه وقيامه. فحق أن نعلم أن الذي تواجده محمدا رآده إلى معاد، باعته مقاما محمودا وأحمد، عطاء غير مجذوذ، على مثال أكل وأكل، في قديم تواجد، وعلى أكل وأكل في باق يتواجد، في أكل وأكل لقائم موجود.

جعل منه النقطة والدائرة، في تواجد الأقدس من كائن الذات والإنسان والعالم، والوجود والحقيقة، بين قديم لا بدء له من عين معناه، وبذلك كله ليس هو بدعا فيه، بل هو الجديد لقديمه بذلك كله، لا انتهاء له، وبعين معناه، وبعين أطواره ومعراجه، يكون أمره لأمر متابعيه على أمره، في الله لذواتهم، بدءا من ذاته، لهم، يقتدونها ويكسبونها، بها تبعث ذواتهم في عوالمهم.

يتواجد من الكمال المطلق مدانيا في مراحل على أكل وأكل ليتكامل لنظرنا ومتابعتنا، ولا يظهر على أرضنا إلا بوجه من وجوه كمالاته، كمالاته بعد كمال، لابن والأب والآب والغيب والمثال، فالأرض لا تطبق وطأته في اجتماع، بمقام وحال.

فإذا تواجد بوجه من وجوه كماله، واصل ينشر وينتشر، ويتسع ويتسع، ويتجدد ويتجدد، بعين وجه من وجوه من معانيه، لا يظهر بأكمله، (ما عرفني غير ربي)^{٣٤}، لا يحيط به إلا الأعلى به، ولا يظهر مستقلا عن الأعلى له، فهو العبد دائما، وهو الابن دائما، قائما بربه وظاهرا بسر أبيه. إنه الآدم لربه، وإنه جديد آدم ووليد لآدمه.

فالأرض في إحاطته، ولا تصلح لظهوره لأنه بمعناه أرحب وأكبر منها، (زويت لي الأرض) ٣٥، ولكنه يظهر بوجه من وجوه مدانته وقربه، فإذا تم انتشاره، وقام في الناس اعتباره، وكل جديد تواجده، على مثال من قديم وجوده، بدأ أن يتخلى بموجود كماله، لجديد يتواجد منه على مثاله، تخلقا بأخلاق الأعلى، ليتصاعد ويتصاعد بكالاته، ويتجدد ويتجدد بكلماته، (كيف بكم وقد نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم [فأمكم منكم]) ٣٦....

على مثاله من سابق في سبق تواجد، وهكذا في مثال من لاحق في لاحق يعمل، ويختفي، ويظهر، ما أدرك السابق في أزله بقيام، وما انقطع اللاحق في أبده بدوام، بين انتشار فارتقاء، أو تداني بتلاحق وبقاء، في دورة دائبة دائمة، لا تفتت أبداً، ولا تتوقف سرمداء، لدورة إنسانه، لحقه وعنوانه، دوام رسالته، في متجدد أمته، بكوثر ذواته لأحدية ذاته.

بهذا يعرف الناس وصف الصمدية للحق لله، بقائم معانيها لمعاني الصمدية لقائم الجنس للإنسان، في مشاهد لمعاني الصمدية لمشهود العنوان، فتتعارف النفوس والعقول إلى معاني الأحدية لله، في أحدية الإنسان في معناه، وإلى معاني الواحدية لله، في واحدية الإنسان بسبقه، وكوثره، ومجلاه، {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد} ٣٧، ولك كوثر لا ييتر جعلناه.

وبذلك قامت القلوب وهي على تنافر في فتق، وعلى متابعة في رتق، في قائم إنسان السلام، فما اجتمع قلبان على الله طلبا، إلا كان الله معهما، موأما بين طبيعتهما، وفعلهما، وما يصدر عنهما، فما اجتمع اثنان على ذكر الله، إلا كان الله ثالثهما، وما قام ثالث وجودهم في موجودهم بهم لهم عليهم، إلا كان الله أحديتهم لحقهم، ومعيتهم، لواحديتهم، بأسمائه وصفاته، فرفعت بيوت الله من الناس برجال، ووضعت بيوت الله من الناس برجال، صبغة الفطرة، قامها وقدمها المسلم لله بإسلامه لرسول الله.

هكذا تكشف قانون الحياة مع عبد الله وإنسانه، ورسول الله وحقه، لقائم ذكره، ووجهه وعنوانه. وبذلك كانت البشرية بأحديتها، لآحادها، في غناء عن كل غير لمعناها، من عديد مثالها.

وما كان عليها بالله، وقد علمت به، فيما علمت عنه، إلا في علمها عنها منه، وأنه ليس هناك لها، إلا ما يوجد في وجودها ومعناها، فالرسول بقوله (خلفت الله عليكم) ٣٨، كشف لها أمرها لله وللأعلى، فالملك منها والجان لها والإنس ليس غيرها، والإنسان في وحدة جمعها، علما على معلومه بها، هو حقها من الأقدس ومن الأعلى، لإنسان معناه لمعناها، ولإنسان جديده لجديدها.

فكان الإنسان في دين محمد، هو اسم الله، ووجه الله، ويد الله، وكتاب الله، وعلم الله، وعبد الله، وأذن الله، وهيكل ذات الله، لقيام بيت الله، ومعنى الله، وغيب الله، وشهادة الله. فقيم يطلب الناس لهم

هُدَاة من الغيب، لمعنى غيرهم، وقد أصبحوا لله هم به علم الغيب والشهادة، بدائم بينهم، وبقديمه عليهم، بجوار الرفيق الأعلى، وفي بيته من دارهم، بقبره في قلوبهم، لمقابرهم، يبعث منهم لهم بهم لحقهم (أول من تنشق عنه الأرض أنا) ^{٣٩} عانيا أرض قلوبهم. فكيف يطلبون ما هو محقق لهم بينهم بكسبهم، من أنبياء أو أولياء، أو هُدَاة يختفون عنهم لطلبهم في حالهم بجهلهم، ويشهدون لهم بقلوبهم عبادا للرحمن يدبون على الأرض بينهم، وقد تفتحت به بهم أبواب الحقيقة لهم، فهو روح القدس لقلوبهم، يلقي الروح من أمره أمرا لله عليهم من جوامع الكلم بأزواجه بينهم وعليهم في سماوات وجودهم، وقد أمروا بقول الله منه هاديا {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر} ^{٤٠}، وتؤمن بالله، كلما تجدد بهم لهم {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم} ^{٤١}.

أعطيت به البشرية حريتها كاملة، {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر} ^{٤٢}، وقام الله على مفردات جنسها، من وراء الكل محيط {إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا} ^{٤٣}. وأشهد الله به عن سر قيامه بها، فأعلن أنه أينما ولى الناس وجوههم، بقائم وجهه بهم، شهدوا وجهه تجاههم. فقيم يكون تمييز الأنبياء؟ وعمن يكون الإنبياء، بعد محمد الحق من ربهم، كان الله به قائما على كل نفس، عليه البلاغ الدائم، ولربه الحساب القائم؟ (خلفت الله عليكم) ^{٤٤}.

هذا هو الحق من ربكم.. وهذا هو الحق من إلهكم.. وهذا هو الحق من رسولكم، فما كان الله فردا من الناس، وما كانت الرسالة فردا من الرسل، وما كان الإيمان فردا من المؤمنين، وهذا هو الحق، من حقي أنفسكم، جاءكم رسولا من أنفسكم. فلا تطلبوا الله بعيدا عن وجودكم، أو بعيدا عن جوارحكم، فهو يتخلل بنوره ذواتكم، ويتواجدكم بحقه، بمباني خلقه، بالحياة لكم، لا إله إلا هو، إليه المصير، ومنه التواجد والوجود.

بالغ في الوجود أمره، لا يعزب مثقال حبة من خردل، عن علمه، وعن سلطانه، وعن وجوده. آمنوه على ما وصف نفسه، وتخلقوا بخلقته على ما ظهر بها بعبدته وحقه، ورسوله ووجهه، ونصبه، وعلمه، كوثرًا بحقه وكوثرًا بخلقته، حتى تدركوا في تخلقكم بأخلاقه ما يكون الله في إدراككم لخلقيتكم، تقوم في معاني حقه، بعثا من قائم خلقه، استجيبوا لنداء الرسول، وهو يقول (تخلقوا بأخلاق الله) ^{٤٥}، واستجيبوا لنداء الله، وهو يقول {استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم} ^{٤٦}.

هذا هو الدين، قام على ما عرفه العارفون.. وهذا هو اليقين، على ما قامه الموحدون.. وهذا هو العلم، على ما علمه المعلومون.. وهذا هو النور، على ما تذوقه المؤمنون.. وهذه هي الطريق، على ما طرقها

المتقون.. وهذه هي الرحمة، على ما كشفها عباد الرحمن، الذين تولتهم رحمة الله، وتولت بهم الناس، رحمة من حق الناس بالناس، هونا على الأرض يمشون وعلى أرض القلوب يفيضون.

هلا آن لنا أن يكون لنا إلى الله مرجعا في أنفسنا؟ أما آن لنا أن يكون للدين موضع في عقولنا؟ أما آن لنا أن نضع الدنيا في موضعها من قيامنا، وأن ندرك أن الشهوات إن هي إلا اختبار وفتنة لنا، في موضعها منا؟

أما آن لنا أن نجعل من الدنيا لنا جنة وجود، ومن الآخرة لنا دنيا تواجد بسجود، بعملنا وإرادتنا؟ أما آن لنا أن ندرك أننا نستطيع في قيامنا هذا، أن نمسح كُتبنا من الماضي، بأمانة الحياة لنا، وإرادة الله فينا، بأعمالنا في الحاضر؟ (أتبع السيئة الحسنة تحبها)^{٤٧}، فنكتب كتبنا عن المستقبل بأيدنا وإرادتنا، بما نريد لنا، {ن والقلم وما يسطرون، ما أنت بنعمة ربك بمجنون}^{٤٨}.

أما آن لنا أن نخرج من التواكل إلى التوكل؟ أما آن لنا أن نخرج من الانحול والإهمال إلى الإدراك والإعمال؟ أما آن لنا أن نخرج من سجون العماء إلى ساحات العراء؟ أما آن لنا أن نخرج من الظلام إلى النور؟ أما آن لنا أن ندخل بالنور على الظلام؟ أما آن لنا أن ندور دورة الليل والنهار، أياما لله، وعصورا في دهور؟

أما آن لنا أن نتعارف إلينا في أنفسنا؟ أما آن لنا أن نقوم بالحق عبادا لله؟ أما آن لنا أن نستمع فنتبع أحسن القول، فنموت عما نحن فيه قبل أن نموت على ما نحن فيه؟ أما آن لنا أن نلاقي الرسول، لقاءنا في قيامنا حقا للإنسان، لنجتمع به على حقه من اللانهائي اجتماعا على الرحمن مع العلم والعنوان؟

أما آن لنا أن نستدعي غيبنا إلى حاضرننا؟ أما آن لنا أن نرتقي بحياتنا عن أجسادنا؟ أما آن لنا أن نوحده الله؟ أما آن لنا أن نشهد أنه لا إله إلا الله؟ أما آن لنا أن ندخل حصن لا إله إلا الله؟ أما آن لنا أن نجعل لا إله إلا الله في حقها على فئنا؟ أما آن لنا أن نقولها بصدق؟ أن نقولها بحق؟ أن نقولها بيقين؟ أن نقولها بإيمان؟ أن نقولها بتطور؟ أن نقولها بتخلق، فندخل بها على محمد رسول الله، حصنا وقياما لها، نفوسا مطمئنة، ندخل بها في عبد الله أجنة، هو لها قائم الرحم والجنة؟

السموات للأرض لنا نعال قدميه، لقائم وقيوم الحق له بسمائه وأراضيه.. والجنات للعارفين قيام معانيه.. والسموات والأراضين للمؤمنين مظاهر مبانيه.. المعرفة في معرفته، والعبودية لله، في قيام العبودية له، في قائمه بها بالمؤمنين.. والربوبية ناظرة راعية في متابعتة، لمن كان على معناه، فيمن تولاه، بمن قامه بمعناه، أمرا يدرك لمدركه، بالإفاضة بنوره، من معناه إلى من عناه.. والألوهية في إكباره عن العلم به، لا يعلم إلا لمن كان في عين معناه، في الأعلى لقائم مولاه، وقد خرج من الغيرية عنه، إلى

العينية له، لعين أعلاه، به يُعرف اللانهائي بالتنزيه والتقدير، وبصفاته يتصف المعروف المعبود، القريب المداني، الداني الذي المتوحد الأحد، للعلي والأعلى، بالقيام والإكبار والتقدير.

إذا كان ذلك لنا مع محمد، فماذا نطلب من كائن من بعده، إلا أن يكون محمداً؟ يتواجد لنا، ويتواجد بنا، ويتواجد بيننا رحمة منه، وجزاء لنا، أمة خير، مواصلة لبلاغه وبيانه، ورسالة رحمته بيننا. يتلو كتابه في الناس على مكث، ويبينه على مكث، لا عوج له، قيماً به، لا ينفك عن قيامه مقيماً له، لا يحتجب في مقامه، يقوم ويتقلب في الساجدين قامت صلة القديم به، واستقامت في الجديد له، يبدأ ويعود في لباس من خلق جديد، شائته الأبر، أما هو فقد أعطى الكوثر، يقوم ويتقلب في الساجدين، كلمات لله.

لا إله إلا الله محمد رسول الله

اللهم إن حالنا على ما تعلم، فأنت به أعلم، ونحن له وإن علمنا لا نعلم.. اللهم برحمتك فقومنا.. اللهم إنك قد عطلت العذاب عنا، برد أعمالنا إلينا، بحمد رحمة منك، ممهلاً مرجئاً لنا، وقد قلت له وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون^{٤٩}.. اللهم فأضفنا إليه وقد استغفرنا منا.

اللهم إنا أصبحنا نشك في أمرنا من أنفسنا! هل هو فينا على ما وعدت؟ وهل هو بيننا على ما أعلمت؟ وهل تواجدناه على ما قدرت وهديت؟ إنا نرى بما علينا من أنفسنا سائدة لا مسودة، وقد اشتدت وطأتها علينا، ما لا تستريح له قلوبنا ولا تقبله عقولنا، ولا تسكن معه نفوسنا، وإن كان حالنا محفوفاً برحمتك، قائماً بحكمتك، ولكن حالنا فيه ما يشككنا في أمرنا ولا شك لنا في أمرك.. اللهم إن كان أمرك بإنسانك قائماً اليوم بيننا، ولا بد أن يكون، اللهم فللناس فعرفه، ونفعهم به وجمعهم لخيرهم، عليه فاجمعهم، وعليهم فاجمعهم.

اللهم حيث هو، إن كان ولا بد أن يكون، فأظهره.. اللهم حيث جعلته فمكّنه.. اللهم على ما أقفته ففي الناس قدمه واحفظه وأيده.

اللهم على ما أنزلت الحق إليه، في أحواض رحمتك، من سماوات قدرتك.. اللهم في الناس بالسماوات فأنشره، وبعرزتك فمكّنه، وفي الناس فأفقه، وبالناس على الناس فأنصره وأيده.

اللهم اجمع القلوب عليه وألف النفوس معه، وأنز وجدد العقول به، وقوم الجوارح له، واجمع الذوات عليه.

اللهم رتل به الناس ترتيلاً، على ما أمرته أن يرتلهم ترتيلاً... اللهم اجعل رتل الحق قويا عزيزا منصورا.. ورتل الباطل هزيلا ضعيفا مخزولا.

اللهم إنك بشرت وأنت الصادق {لأغلبن أنا ورسلي}..٥٠. اللهم إن أهل الحق يقولون اليوم مقالة عبادك، بنوح من قبل، {.. أني مغلوب فانتصر}..٥١. اللهم ادفع عنا البلاء، مما نعلم، ومما لا نعلم، إنك أنت الأعز الأكرم، والمحيط الأعلم.

أضواء على الطريق

من هدي السيد الروح المرشد سلفربرش..

(أنتم خلال حياتكم الأرضية لا تظهرون إلا جزءا فقط من وعيكم الأكبر، الذي سوف نتعرفون عليه في الأيام التي تلي عبوركم لبوابة الموت. وحتى عندئذ لن تنتبهوا في الحال لكل وعيكم لأنه خلال التطور فقط حتى في دنياكم، يستطيع الأكثر ثم الأكثر من الوعي أن يظهر خلال صاحبه).

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة الطارق - ٦-٧
- ٢ سورة الإنسان - ٢
- ٣ سورة البقرة - ١٠٦
- ٤ سورة ق - ٤
- ٥ سورة الرعد - ٨
- ٦ سورة الرعد - ٤١
- ٧ سورة التوبة - ٣٨
- ٨ سورة الدخان - ٣٨
- ٩ سورة الأنبياء - ١٧
- ١٠ سورة مريم - ٣٣
- ١١ قول للإمام عليّ كرم الله وجهه. المحدث: السيوطي. المصدر: الدرر المنتثرة.
- ١٢ سورة الزمر - ٤٢
- ١٣ سورة الفرقان - ٤٥
- ١٤ سورة الشعراء - ١٤٢
- ١٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٦ حديث شريف: " اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخُلُقٍ حسنٍ " أخرجه الترمذي وأحمد.
- ١٧ سورة النساء - ٦٣
- ١٨ سورة البقرة - ١٨٦
- ١٩ سورة البقرة - ٣٤

- ٢٠ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكّاني بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".
- ٢١ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يُكفُّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ٢٢ سورة آل عمران - ٦٤
- ٢٣ إشارة لقول المسيح عليه السلام بعد القيامة أنه قال للمجدلية: "اذهي إلى إخواني وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" (يوحنا ١٧: ٢٠). وتلك كانت المرة الأولى التي يدعو فيها تلاميذه بكلمة أخوتي. قبل القيامة، كان يسوع يدعو تلاميذه "أحبائي"، "عبيدي"، أو "تلاميذي".
- ٢٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٢٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٢٦ سورة الرعد - ٤١
- ٢٧ مقولة للإمام عليّ (عليه السلام): إن الله أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته، فلا تستصغرن شيئا من طاعته، فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته، فلا تستصغرن شيئا من معصيته، فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم. وأخفى إجابته في دعوته، فلا تستصغرن شيئا من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عبادته، فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله، فربما يكون وليه وأنت لا تعلم.. بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.
- ٢٨ حديث شريف: " بعثت أنا والساعة كهاتين"، (وفرق بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام) صحيح البخاري، ورواه أحمد ومسلم والترمذي.
- ٢٩ سورة الزلزلة ٧-٨
- ٣٠ سورة الإسراء - ١٤
- ٣١ سورة طه - ٥٠
- ٣٢ سورة النجم - ٣٩
- ٣٣ سورة المرسلات - ٢٥-٢٦
- ٣٤ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكّاني بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".
- ٣٥ من حديث شريف: "إنَّ اللهَ زَوَى لي الأرضَ فرأيتُ مشارِقَها ومَغَارِبَها فإنَّ أُمَّتي سَيَلُغُ مُلْكُها ما زَوَى لي منها وأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ... أخرجه مسلم في صحيحه.
- ٣٦ حديث شريف. أخرجه البخاري ومسلم بلفظ: "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم". وعبارة "فأمكم منكم" للسيد رافع
- ٣٧ سورة الأنبياء - ٣٤
- ٣٨ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٣٩ من الحديث الشريف: "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا نخرُ وأنا أولُ من تنشقُّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا نخرُ وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفّعٍ ولا نخرُ ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا نخرُ." صحيح ابن ماجه.
- ٤٠ سورة آل عمران - ١٠٤

- ٤١ سورة الفتح - ٢٩
- ٤٢ سورة الكهف - ٢٩
- ٤٣ سورة الإنسان - ٣
- ٤٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٤٥ استلهاما من عدة أحاديث: "إن الله تعالى مائة خلق وسبعة عشر من أئاه بخلق منها دخل الجنة." رواه الطيالسي والبخاري والترمذي والحكيم والبيهقي والطبراني، وأبو يعلى. وأيضا الحديث الشريف: "إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة"، ذكره الحافظ العراقي بهذا اللفظ في تخریج كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، كما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي. وأخرجه الطبراني
- ٤٦ سورة الأنفال - ٢٤.
- ٤٧ حديث شريف: "اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَ تَحْتَهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِمَخْلُوقِ حَسَنٍ" أخرجه الترمذي وأحمد.
- ٤٨ سورة القلم - ١:٢
- ٤٩ سورة الأنفال - ٣٣
- ٥٠ سورة المجادلة - ٢١
- ٥١ سورة القمر - ١٠

(٤)

الإنسان

في ذاته بصفاته في أطواره، هو الطريق والبعث والقيامة

والحياة

في قائمه بعث قديمه وكتاب قادمه

حديث الجمعة

١٩ محرم ١٣٨٢ هـ - ٢٢ يونيو ١٩٦٢ م

أستغفر الله، لي ولكم، وللناس أجمعين.

وأعوذ به وأستهديه، أقرب إلينا من حبل الوريد.

روح حياتنا، ونور إدراكنا، وقوام ذواتنا، ومعنى نفوسنا.

نشهد بوحدانيته لا إله غيره، ولا موجود معه من أعلامنا وعوالمنا، ونشهد رسوله من أنفسنا، ممتدا بنوره من نوره فيمن يعلمنا ويدركنا، أو يحمل إلينا منا أي فكر أو نظر، صادقاً صادراً لنا من معانينا، من مصدره من جماع أنفسنا لقائم الحق علينا فينا، بقيامنا له في قيومه بنا، قائماً على كل نفس منا، أعطاها خلقها وهدايا، فيما اكتسبت، بما كسبت، لقيامتها من قيامها، إن تعمل مثقال ذرة خيراً تراه، وإن تعمل مثقال ذرة شراً تراه.

تدرك النفس لذلك يوم يرد إليها عملها، حاكماً عليها، أو محكوماً منها، فنحن نقول لا إله إلا الله، ونتناجى بلا إله إلا الله، ونعمل ونسعى إلى لا إله إلا الله، مؤمنين بها أو غافلين عنها.. مؤمنين أننا في سعيها وعملنا، مقامين وقائمين في لا إله إلا الله، أياً ما طرقنا من سبيل إلى هدى من حظنا وسعادتنا، أو إلى ضلال من شقوتنا وتعاستنا، في عزلتنا مؤمنين بأنفسنا بعيدة عما حولها وعما فيها، غير مدركين عن الحق لها، أو غير آبهين له عليها ومعها.

إننا في حياة نقومها، تقوم على قوامها من أيام معدودة على أرضها حقبة من الزمان، نشرق فيها بموالدنا، ونغرب عنها في منظورها ومدركا بغيابنا عنها، بما ندعوه في رحلتنا بموتنا. نحن في طفولتنا نبدأ أهلاً، يكتمل بدرها بتقواها، مرعية ممن يرعاها، في ناموس فلاح من زكاها، ثم تتناقص لكي لا نعلم من بعد علم شيئاً، حتى ندخل في محاق، وفي ظلام كامل مهدا لمولد هلال جديد، في مكان وعالم جديد قريباً أو بعيداً، بغيابنا عن مجابهة مصدر النور لكرتنا، للظهور بنور الأكبر في بيئة كرة أخرى، نقوم في هذا في دورة منتظمة، بأشهر معلومة، في زمان يبدو أنه لا ينقضي، ولا نعرف له بداية، في كرات نقومها ونبدئها، لا سلطان لنا عليها، ولا علم لنا متى نبدأها أو ننهيا.

تولد الأهلة، وتغيب الأعلام والأدلة، بين تكامل لبدور، وتتناقص من كمال. وها نحن مع هذه الأهلة والبدور، في حركة الوجود ندور، بين قبر ونشور، بين بعث وقيامة، أو بين قيامة وبعث، بين زرع وحصاد، أو فرق وجمع، وتجمع وحشر، بعلم فجعل، أو جهل فعلم. هذه هي الحياة، على ما نشهدها، وعلى ما تغيب علينا، وعلى ما نقدرها، وعلى ما ندركها، وعلى ما نجعلها، ويدق علينا فهمها، وهي لمدركا لا يدركها إلا بجمعه لشقيها، في وحدة معناه بها صامدة.

إن هذه هي الحياة! والدين إنما هو في أن نعرف ما هي الحياة، حتى نحيا.. وأن نتذوق به ألوان الحياة حتى تتطور فيها وزداد منها، وأن نقوم في أطوار الحياة حتى نتكامل فيها دورتها، وأن نوائم بين مفهومنا عنا ومفهومنا عن الحياة حتى نتحقق بصبغتها في فطرتنا، وأن نعرفنا من نكون بظاهرنا ومن نكون بباطننا حتى نستقيم لنا في أمرنا وشأننا، ومن نكون بقادمننا ومن كنا بماضينا حتى نحسن العمل بقائنا.

بذلك نعرف من نكون بمادياتنا، ومن نكون بإدراكاتنا، ومن نكون بطاقتنا، ومن نكون بعجزنا، حتى نغير ما لا يرضينا بما يرضينا، فنقدر من نكون في قيودنا، ومن نكون في حريتنا وانطلاقنا وقدراتنا، حتى نتمكن من أن نسبح في رحابة الوجود، ونسعد بالوجود لموجودنا.

هل يمكن أن نعرف ذلك كله، أو شيئاً منه، دون من يأخذ بيدنا، ودون معلم لنا، ودون مرشد من بيننا، ودون مثال نحتديه، ودون باب نرتجيه، ودون إمام لطريق في سبيل نقتديه؟

إن الدين بلَّغنا وتكفل لنا، بأن الله موفر المعلم منا بيننا، على دوام في فعل، ودوام في قيام، في كل لون من علم، اقرأ.. {اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ، وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم}¹، {إنا أعطيناك الكوثر، إن شئت لك هو الأثر}²، {رسول من أنفسكم}³، {يقوم ويتقلب في الساجدين}⁴ بـ {النور الذي أنزل معه}⁵، وجعل له {يمشي به في الناس}⁶،

فيسويهم بنفسه، ويملاهم بنور الله، روح قدسه، لمعناه من ذات حقه، بكتاب يتلوه في الناس على مكث له به، تاليا معلما مبينا.

فكيف نقول بضرورة القلم، والمعلم به، معلما بالقلم في كل علم، وما كان القلم، إلا ذات الإنسان للإنسان، ولا نطلب المعلم وقلمه بناء، في العلم للإنسان عن الله، ومعرفة الله علم؟ وكيف نطلب العون عند كل حاجة! ولا نستعين بالخبير عند كل عجز! فكيف يكون العلم بالدين، بمعزل عن حاجة للمعلم، وليس المعلم للدين إلا القدوة به وما صحت الصلاة إلا للقبلة إليه، وما كان الهدي، وما كانت القلائد في التقليد والمتابعة إلا انطبعا عليه؟ فحاجة المتعلم للمثال ضرورة في علم الدين، وهو الطريق والحق والحياة، وما كان الدين، إلا علم الحياة، وكسبها، والاحتفاظ بها.

الله يقول {ما قدروا الله حق قدره} ^٧، هو {الرحمن فاسأل به خبيرا} ^٨ من {عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما} ^٩. فيهم القدوة وفيهم الأسوة، {يبيتون لربهم سجدا وقياما} ^{١٠}، فيهم العلم والإدراك لمعاني الحياة، والهدي والقلائد.

(هذه الدار أول أبواب جهنم) ^{١١}، في علمهم وشهودهم، يبيتون لربهم ركعا وقياما، فهم القريبون من الله، الراهبون له، يقولون {ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما} ^{١٢}، ربنا لا تجعل أمرنا فيها عندنا غراما بها، على ما أشهدتنا وأریتنا عن المغرمين بها، ممن نعاشر وممن نحيا بينهم من يئتنا. فقال رب النار للنار {يا نار كوني بردا وسلاما...} ^{١٣}.

ربنا.. لقد كشفت عنا الضر وهديتنا السبيل، {إنها ساءت مستقرا ومقاما} ^{١٤}. ربنا إنا لا نتناقل إلى الأرض، كما يتناقل أبناء المادة وأبناء الظلام، بما هديتنا منعما. ربنا وقد أردتنا كلمة منك وذكرنا لك، بقديم إرادتك وأزلي فعلك، {ربنا أتم لنا نورنا} ^{١٥}، وصعد إليك بقدرتك جودا وكرما منك كلمتنا، بالعمل الصالح، من فضلك، إليه هديتنا.

ربنا.. أوجدتنا لنفسك، ولنصنع على عينك، ربنا لا تتركنا لأنفسنا، ولا تُحْكَم في مصائرنا أهل الطاغوت منا، وأهل الظلام بيننا. ربنا وحد جمعنا، وأحي قلوبنا، وانشر في الناس ما وفرت لنا، مما أنزلت علينا من نورك، به هديتنا، ونسبت الاهتداء إلينا، لقائنا بك، انتسابا لآبائنا. ونحن المنسوبون إليك والمنسوبون لأبوتنا منك عبادا لك تفعل بنا، لتفعل لنا.

فعلت بأبوتنا الخير والهدي لنا، رسالة برسول من أنفسنا، ونسبت الهدي والخير لمن فعلت به، ولمن فعلت له، تواضعا منك، وتكريما وإكبارا لنا، بقائنا لمعاني العبيد لك، وإكبارا لمعناك بهم، عند عابدك، لإدراك معنى معبودك في وحدانية العابد والمعبود فيك لك، قائم كلمتك بالإنسان لروحك وقدسك.

تنزهت إلهنا وتعاليت في معنك بانفرادك عن العبد والمعبود، وعن الرب والمربوب، وعن الخلق والخالق والخلوق، فجعلت الإنسان في وصف أسمائك وصفاتك بجمعه وفرده، في شتاته واجتماعه، خالقا وما خلق، هو من خلق الأعلى والرفيق الأكبر لعين موجوده في موجود أحديتك بصمد قيامك وناموس فعلك.

كل الفعل منك ولا فعل لك! كل الفعل لعبادك ولا فعل لهم! يا من أوضحت أمرك، فكان الوضوح معجما على قالك، وما كان هناك إعجام في أمرك على طالبك وعانيك.

جعلت العلم عنك، في العلم عن عالمك، في علمه عن نفسه، فشرعت وجعلت علم عبادك عنك، في علمهم عن أنفسهم، في اقتداء من عرفك. عرفوك يوم عرفوهم، وجعلوك يوم جهلوهم، ووصلوك يوم وصلوهم، وقاموك يوم قاموهم، وبعثوك يوم بعثوهم.

يوم حاسبوا أنفسهم، حوسبوا وانتهى حسابهم، وكسبوا وأدركوا الحياة واستقامت في الحياة طريقهم، وقد رأوك فيهم الحياة، فشهدوا أنه لا موجود سواك ولا حق إلا إياك. فأشهدتهم أنهم عبادك بإشهادهم أنهم عين عبدك ورسولك، فشهدوا أن محمدا رسول الله، والحق لمعناهم من ربهم في الله بالله، فقاموا معه الله أكبر. ليس له صفة ووصف الأشياء وإن قامت، وليس له وصف المقيدات وإن أعلمته، وليس له حصر بالوجود وإن اتسع، ولا يتقيد بالإنسان وإن كان للوجود وسع.

وصلوك يوم تابعوه، وتابعوه يوم وصلوك. هديتهم إليك بإحاطتك، وفقد أنفسهم، وهدهم إليك بنورك وهديك ساريا فيهم عبادا لك، بحق عبوديته، لقائم وقيوم حقك. أشدهم نورك في أنفسهم، فشهدوك لا إله إلا أنت، ولا وجود لهم. فأشهدتهم أنفسهم في نورك، فشهدوه لا عبد غيره، ولا رسول سواه، يوم شهدوه قائم أنفسهم على ما شهدوك لهم، أقرب إليهم جبل الوريد.

قاموا بكما للقلب والقلب ولا وجود لهم، بل نصب ومعانيها، وكلمات وأممها ومبانيها وعباد مكرمون، أقداس للأقدس، في اللانهائي لهم، للانهائي معنك عندهم، فتنزهتم عندهم عنهم وعن الغيرية لهم، فرأوهم لكم بهم تواجد بالله تم، لتواجد بالله أكبر، لجديد بدء لهم، في قيام بالرسول أعظم، لجديد إيمان بهم، في معراج لا يتوقف، ولا يجذ عطاؤه، فهما جديدا متجددا في الله ورسوله، وقيامهما في شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدا رسول الله، لله في مطلقه ولا نهائيه، وللإنسان بحقه، في مسحه في موجوده، لدوام موجوده، باطن الآب والآب والابن، لقائم الذات والروح، في كلي وجوده لموجوده بظاهره.

هكذا كان الناس، قبل أن نكون، وقبل أن يكون لنا محمد حقاً مرسلًا، وهكذا سيبقى الناس بعد أن نفارق نحن الدنيا والناس، ولا نكون من الناس أو من ساكني العوالم النجمية، وهكذا هم الناس، أيًا ما كان حالهم أو زمانهم، أو مكانهم، سواء جهل أو يجهل الناس، أو عرف أو يعرف الناس، محمدًا رسولاً لله.

إن رسول الله معنى خالداً في الله، وإن محمد الله الذي عرفنا، قياماً لهذا المعنى، آدمًا فيه، إن عبودية الله، إن إنسانية الله، إن آدمية الله، التي مثلها لنا رسول الله، إنما هي قضية، لا ينقطع لها حامل، ولا يتوقف لها من الغيب والشهادة عامل، ولا يجوز لها في الجديد بالجديد تواجد.

إنها في مفردات الناس، لحقهم وكسبهم، من الحق في أنفسهم، كما أنها في جماع الناس، لإمامتهم وقيادتهم وصلاح أمرهم، كما أنها في جماعات الناس، لوحدهم ودعوتهم لبشريتهم، كما أنها في وجود الناس عبر الزمن، وعبر العوالم، وعبر السماوات، لحقهم وخلافتهم، عن الوجود المطلق لربوبيتهم ومثالياتهم.

إنها كشف الغطاء للموجودات عن سر تواجدها، وعن روابط وجودها بموجدتها، وما روابطها من وجودها بوجوده، برسول إليها من مرسله، في قائم وجودها به مرسلًا إليها، تعلم به فيه عن أطوارها في قيامها، بقائم وجوده، لموجوده لها، موجدتها له.

إنها الطريق.. إنها العلم والمعرفة.. إنها الاستقامة والجادة.. إنها العمل والكسب.. إنها الحياة وتزايدها.. إنها التواجد والتطور.. إنها المسير والدليل، والحوض والسييل.. إنها الخروج من العدم إلى الوجود.. إنها الخروج من التوقيت إلى الأزل والأبد والسرمد.. إنها الحياة.

إنها الإنسان في مظهر الحياة.. إنها خلاص الإنسان من خدعة الإنسان، في مظهر الإنسان بأمانة الحياة، يخدع الإنسان الشبحي نفسه بوصف الإنسان الحقي له، وهو ما زال إنسان نبات الأرض.. وبتوهمه في قيام لبيت الذكر، وهو لم يدخل بعد معنى الإنسان لحيوان الحياة، وإن الدار الآخرة لحيوان لو كانوا يعلمون^{١٦}، لو كانوا يعلمون أمرهم وأمر الحياة لهم بأطوارهم، في موتهم عنهم بقائهم لهم، قبل موت أجسادهم في حاضر أجدائهم.

إن الغطاء ما كان ولن يكون أنانية ما حجب، إن اللباس ما كان ولن يكون أنانية اللابس، إن الغلاف ما كان ولن يكون ما بين دفتيه من ألواح الكتاب. إن هذه الذوات التي تتحركون بها، والتي تقومون بها، والتي تعبرون عن أنانيتكم من خلالها، والتي تظهرون بباطن وجودكم، في قيام ظهوره بظهورها، ما

كانت ولن تكون في معاني الأناثية لكم، إنكم ذكاءات وجود، ليس هو موجود أغلفتكم. إنه لبابكم وقلوبكم لمعانيكم.

فإذا رفضتم معاني الأناثية فيكم لكم، بالله ورسوله، للعقل والنفس، بالروح والنور، بالرأس والقلب، بالطاقة والحركة والفعل، بما تُحصّلون من فعل معانيكم وعوالم قيامكم، {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى} ^{١٧}، تخلقا بأخلاق الله الذي لا خالق له، وتواجدا في وجود الله الذي لا موجد له، بأمانة وجوده عارية لكم، حتى تعرفوا من كسبكم وتحصيلكم وعملكم وخلقتكم، أنكم تواجدتم بتخلّقتكم بأخلاقه، وكنتم محدث ذكره لقديمه، بترديد اسمه وذكره، قائم مذكوره، فعرفتم عظمة المذكور، في تخلّقتكم من فعلكم، بأطواركم بذكره، وعرفتم عظمة الموجود، بمحاكاة وجوده، بيوت حضرته، وعوالم صنعته.

إن مجرد المحاكاة والمتابعة للرب مع عبده، تجعل منكم أربابا خالقين، تقولون للشيء كن فيكون. وإن مجرد الذكر لاسمه قرين وجهه، يجعل منكم وجوها للمعروف المذكور، (ازرع كلمة الله في أرض ناسوتك) ^{١٨}، تكن كلمة الله بأرض ناسوته، {إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه} ^{١٩}، {ما قدروا الله حق قدره} ^{٢٠}، هو {أقرب إليكم من حبل الوريد} ^{٢١}، وهو القائم على كل نفس لوجه إحاطته.

إن ذكر الله باللفظ، محيي للذاكر، وإن قذف اللفظ بالهمة إلى القلب، محيي للمقذوف عليه، (إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد، وإن جلاؤها لذكر الله) ^{٢٢}. إن القلوب بين الجوانح هي أرض الله، وعالمه وبيته لم يتخلق بعد فأحيوها يا عباد الله بذكر الله، اقدفوا بكلمة الله على أرض قلوبكم تخشع وتهجع لذكر الله وتفارق نفوسكم طغيانها وتخلص من بهتانها.

لو أنزل ذكر الله.. لو أنزل كلام الله.. لو أنزل كتاب الله على جبل {لرأيت خاشعا متصدعا من خشية الله} ^{٢٣}، فما بال هذه القلوب أقسى من الجبال! يقذف عليها ذكر الله، ويردد لسمعها كلام الله، فتسمع كلام الله لاهية، وتنظر ذكر الله مستهترة غير عانية، وترى وجوه الله فتظاهرها مغاضبة مجافية.

هذه هي طبيعة هذه الأرض وأهلها، بما كسب قديمها، وبما ورث جديدها، فهل تحرر الناس من قديمهم، وقد حرّهم الله بجديد لهم، قدوة وأسوة في مولد إنسان على الفطرة، رحمة للعالمين، وهدية للمؤمنين، وأبوة للناس أجمعين، أغفلوه فما صانوه، وما حرصوا عليه، بكوثره رأوه، وبالإيمان والتقوى وعدوه، ومنهم من تواجدوه وتجددوه، فما كان أبترًا كما زعموه، وما بالمادة انتسبه من انتسبه، ولكن بالروح والنور صاروه، يوم هم لله ورسوله اتبعوه، (كيف بكم وقد نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم [فأمكم منكم]) ^{٢٤} فهو إنسان الإنسانية، هو إنسان الأبوة وهو إنسان البنوة.

ما بالهم لا يعملون عقولهم، ولا يذكرون غيوبهم! ما لهم يحنون الظهور بالركوع والسجود، لماديات معانيمهم، ولا يمتدون بأنظارهم وأيديهم إلى كنوز قلوبهم، فيستخرجون منها لعقولهم ما أودع الله فيها فيهم، لمغانيمهم ومعانيمهم!

قلوبهم قالية لاهية، وعقولهم سافلة لاغية، ونفوسهم غير مشتعلة خامدة، وذواتهم لا حراك بها خاملة، وحكمة الله فيهم عاطلة، لا يستقبلون ماء السماء، ولا يستقون عيون الأرض فياضة بالماء. لا يعرضون أنفسهم السقيمة لأضواء الشمس لنهارهم، ولا يريحونها في ظل السكينة ليلهم، عقولهم مرهقة مشوشة، ونفوسهم مكدودة مهوشة، وذواتهم مهزوزة مضطربة. تمر بهم الأيام فتقطعهم، ولا يقطعونها، بما هو في إمكانهم، يوم يحيون من موات ذواتهم، بيعث حي معانيمهم.

ينتظرون سكرة الموت، في خوف ورهبة وجزع، إذ لا حق لهم ينتظرهم، بعملهم، كسبوه، بل الحق عليهم سوف يلقاهاهم بجزاء يصطلوه، (ما مات أمروء إلا ندم، إن كان قد أحسن أنه لم يزد. وإن كان قد أساء أنه لم يقلع)^{٢٥}.

ليس في الموت إلا الندامة للموتى، ولكن الموت الذي يحمل السعادة، إنما هو السعادة للأحياء ماتوا قبل أن يموتوا، إنها لحظة السعادة، إنها لحظة الساعة تصادفك في ساعة الحياة الزمنية، في قائم الحياة الأبدي، كلمح بالبصر أو هو أقرب، يوم يكشف الله عنك غطاءك، يوم يرتد إليك البصر، يوم تعرف معنك منه.

فتعرف عبودية الجسد لك أنت، والربوبية على الجسد لك أنت، أنت بروحك المرسل، وأنت بالعقل الرسول، إلى النفس لهما، مرسلًا إليها، هي أنت. أنت بعقلك رسول روحك إلى نفسك.

فما كانت طريق الله لك إلا أنت، فالطريق إنما هي تطور نفسك، وتحرر عقلك وانطلاق روحك. إنها الحياة يوم يدركها مدرك، ويقومها قائم، فيعرف أنها الحياة، وأنها الساعة، وأنها اللقاء لأشتاته، وأنها العمل والعطاء والجزاء بأبنائه وأسلافه لأحده لواحدية حقه وخلقه، وأنها اجتماع الغيب على الشهادة في أنانية الإنسان بحاضره، لتقديمه وقادمه، بموصوفه عبدا بنفسه بآدمه، وربما بعقله لرحمانه قائم روحه لحقه وقدمه، فهو السيد بروحه بقائمه، لحقه، بإحسانه لنفسه، وإعماله لعقله.

هذا هو الدين.. وهذا هو الرسول.. وهذا هو أنتم.. وهذا هو الله.. فمن لا إله له أقرب إليه من جبل الوريد في يومه لحاضره، فلا إله له في غده، إذ لا إله له في يومه، إذ يبعث المرء على ما مات عليه خروجا من هذه الدار أو عودا إليها، برد السماء له لخسران كرتة على أرض الصدع لجلدته.

إن الذي يشهد أنه لا إله إلا الله في يومه، هو الذي سيبقى شاهداً لا إله إلا الله في غده، وإن الذي يشهد أنه لا إله إلا الله في يومه، إنما هو ذاك الذي شهد أنه لا إله إلا الله في أمسّه.

إن الذي لا يشهد أنه لا إله إلا الله في حاضره، يجب أن يعلم من هو، وأن يتخلى عن هو، بمصاحبة من شهد أنه لا إله إلا الله، حتى يغير ما بنفسه، ف (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخال) ^{٢٦}، (المؤمن مرآة المؤمن) ^{٢٧}، (والمؤمن مرآة أخيه) ^{٢٨}، وهذا هو جوهر الحياة لأهل هذه الدار، قدرة قدر ما فيها عدا ذكر الله وما والاها، ارتباطاً به لقائمه ومعناه.

{قل إنما أعظكم بواحدة، أن تقوموا لله مثنى وفردى، ثم تفتكروا} ^{٢٩}، وقبل أن تعملوا بما به هديتم، لا تتصفوا بما به بشرتم، فعندما تجهلون أنكم الجهلاء، فإنكم لا تطلبون العلم عند العلماء، وبداية العلم لكم هو علمكم بجهلكم بكم وعنكم.

إذا عرف الإنسان جهله كفاه ذلك أن يكون عالماً، وإذا طلب العلم عند أهله، كفاه ذلك أن يكون متعلماً، وإذا ارتبط بحجة بمن يعلمه، وطلب عنده العلم عنه، كفاه ذلك أن يكون سالكاً، وأن يكون بالله متصلاً وإليه واصلاً.

إن الدين للكافة ميسر بمصدره من الواقع.. وإن الدين للكافة مبسط ما عرف كل فيه موضعه من جماعته. ولكن الناس يعطلونه لهم بتعطيل أنفسهم عنهم، بتعقيد الأمور عندهم لهم بجهلهم وكبريائهم، وبتعقيدها ممن زعموا أنفسهم معلمين، فتنة لهم، إذ هم يطوفونهم، ويطوفون بهم، ويطوفون معهم، حول توافه الأشياء، وتوافه الأمور، وتوافه المعاني، دون أصولها، وقيمها وجليها وخطيرها، من شهادة أنه لا إله إلا الله وشهادة أنه محمد رسول الله. يتفهبون ويتمشدون، ولياً بالسننهم يتنطعون، وبتوافههم يفتخرون وعجبا يتيهون، وينفخون أوداجهم بزخرف القول كالحلم يقذفون، وبأحاديثهم يصرخون، ولبراكين الغضب الإلهي يمثلون.

اللهم هادي العمي، أنر بصائرنا، وارفع الغشاوة عن عيوننا.

اللهم مُسمع الصم، افتح لقولك آذاننا، وإصغاءنا وتقبلنا.

اللهم منور العقول، أنر عقولنا، ورقى أفكارنا، ووفر حظنا من المعرفة عنك، بجلي وعينا عنا، منك لك، فيك، بنا.

اللهم محيي الموتى، ابعث قلوبنا بالحياة، وأنزل عليها وأفض منها ماء الحياة، وانشر فيها ومنها نور الحياة. اللهم رب الفلق، افلقها عن الظلام وعن عوالم العدم.

اللهم رب الرقي، ارتقها بعوالم الحياة وبعوالم النور. اللهم ألف بين قلوبنا، وزكي نفوسنا، واجمع فيك عقولنا وأهدافنا وأهواءنا ونشاطنا، وحيويتنا، وطاقتنا ووجهتنا.. اللهم اجعل منا عبدا لك، لا تعدد فيه، ولا تعدد معك.

اللهم بحمد فحمدنا.. اللهم بروحه فابعثنا.. اللهم بروحه فأحينا وانشرنا.. اللهم بوعيه فقومنا، وأقم وقوم بنا.. اللهم اجعل منا أمة له وعبدا لك، وذاتا له وقياما لك، وروحا منك ومعنى له، ووجودا لك، وجمعا له وفردا فيك ووجها لك.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين. نستغفرك وتوب إليك، اللهم فول أمورنا خيارنا بعفوك، ولا تول أمورنا شرارنا بعدلك، وخذ بنواصينا إلى الخير برحمتك، حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، يفظين وغافلين، بحكمتك يا أرحم الراحمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة العلق - ١ - ٥
- ٢ سورة الكوثر - ١٣
- ٣ سورة التوبة - ١٢٨
- ٤ استلهاما من عدة أحاديث: "إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر من أتاه بخلق منها دخل الجنة." رواه الطيالسي والبخاري والترمذي والحكيم والبيهقي والطبراني، وأبو يعلى. وأيضا الحديث الشريف: "إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة"، ذكره الحافظ العراقي بهذا اللفظ في تخریج كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، كما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي. وأخرجه الطبراني
- ٥ سورة الأعراف - ١٥٧
- ٦ سورة الأنعام - ١٢٢
- ٧ سورة الحج - ٧٤
- ٨ سورة الفرقان - ٥٩
- ٩ سورة الفرقان - ٦٣
- ١٠ سورة الفرقان - ٦٤
- ١١ مقولة مأثورة لم نستدل على مصدرها، ولكن المعنى مفهوم من السياق.
- ١٢ سورة الفرقان - ٦٥
- ١٣ سورة الأنبياء - ٦٩
- ١٤ سورة الفرقان - ٦٦
- ١٥ سورة التحريم - ٨
- ١٦ سورة العنكبوت - ٦٤

- ١٧ سورة النجم - ٣٩
- ١٨ استلهاما من تعاليم السيد المسيح وهو يدعو حواريه أن يزرعوا "الكلمة" أي كلمة الله، أي المسيح في أرض ذواتهم.
- ١٩ سورة فاطر - ١٠
- ٢٠ سورة الحج - ٧٤
- ٢١ استلهاما من {ونحن أقرب إليه من جبل الوريد} - سورة ق - ١٦
- ٢٢ معنى هذا الحديث الشريف جاء بأكثر من صيغة: "إنَّ هذه القلوبَ تصدأ كما يصدأ الحديدُ، قيل: يا رسولَ الله فاجلاؤها؟ قال: قراءةُ القرآنِ." أخرجه ابن عدي في ((الكامل في الضعفاء))، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء))، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) باختلاف يسير. و"إنَّ هذه القلوبَ تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء، قيل: يا رسول الله وما جلاؤها؟ قال: كثرة ذكر الموت، وتلاوة القرآن. أخرجه الخرائطي في ((اعتلال القلوب))، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)). كما أخرجه البيهقي، والطبراني، والديلمي، بلفظ: "إنَّ للقلوب صدأ كصدأ النحاس وجلاؤها الاستغفار".
- ٢٣ سورة الحشر - ٢١
- ٢٤ حديث شريف. أخرجه البخاري ومسلم بلفظ: "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم." وعبارة "فأمكم منكم" للسيد رافع.
- ٢٥ حديث شريف: "ما من أحد يموت إلا ندم. قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع." أخرجه الترمذي، وابن عدي، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد، والديلمي في الفردوس، والبغوي في شرح السنة.
- ٢٦ حديث شريف: "لمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل." أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ٢٧ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه." أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ٢٨ نفس الحديث الشريف.
- ٢٩ سورة سبأ - ٤٦

(٥)

الإيمان وعباد الرحمن

الإيمان بالشهادة، في الإيمان بعباد الرحمن وما في قلوبهم
والإيمان بالغيب، في الإيمان بالرحمن هم وجوه له وهو رب
لهم

والإيمان بالله، في تلاقي القلوب، مع أعلامه بهم

حديث الجمعة

١٧ ربيع الأول ١٣٨٥ هـ - ١٦ يوليو ١٩٦٥ م

أعوذ برب الناس في الناس أشهده، وأستعين بملك الناس في الصالحين أقصده، وأومن بإله الناس في
العارفين أنشده، استجابة لرب العالمين بالرسول أسمع وأرشده، وإليه أشكره وأحمده، هو مالك يوم
الدين أتقيه وأرهبه، لواجب الوجود أحبه وأعبد.

إن واجب الوجود هو المدرك عندي بوجودي، لوجوب وجوده، مشهودا في مشاهدتي لي، ولما حولي
في مرآة شهوده، بما أفاض على قلبي وعقلي، من معرفته عنه بجوده، في معرفتي عني عبده لموجوده.

تستقيم فيه عقيدتي، وينطق لساني بشهادتي، فأشهد أنه لا إله إلا الله. بها تحيا طريقي، وتصبح النفس
بعد عداوتها صديقي، في صحبة رسول الله ورسول الله.

أشده لمعاني الحق لي، في معارج حقائق بي، قائمي قبل وجودي، وحققتي بعد شهودي، فأشهدني
محمدا رسول الله، ظلا له، وحقا بي، ووجه الله لمن يطلب الله لنفسه معي، في حق الله لنا، لقائمه
وقيومه بنا، بلا إله إلا هو الحي القيوم.

لقد جعل الله من البشرية على هذه الأرض ظلال إنسان حقها، به تعالى الله على المثال، ولم يعز عن
المثال، إذ عجز الجزء عن قيام الكل في الحال، ولم يبتعد بمفردات الكل عن المثال، فكلهم لآدم ولعينه

في المآل. وبيعية آدم عرفت قبلية للعقل في المجال، فتعالى الله عن عبده بحقيقته للمثال، فكان هو القبل والبعد وقيوم القيام للإنسان، لأعلام الكمال، فتنزهه عن البعد في قربيه، بتنزيهه عن القرب في سعته وبعده، فتنزهه عن الظهور كما تنزهه عن الغيب. وتعالى على التكافؤ كما تعالى على التجزئة والجزاء والمكافأة. وتضاءلت عظمتها في بعده، أمام عظمتها في قربيه، إذ قامت عظمتها في قربيه أعلاما لعظمتها في بعده، لإشهاد الجمال في وحدانيته، وتعريف الجلال في أحديته.

فتجلت للعلم والمعرفة عظمتها، في مطلقه لموجوده، عند أعلامه لموجوده، لا غائبا عن شهوده، ولا مشهودا عند عابده بقائم معبوده، فقام الإيمان، وقامت استقامته، في الإيمان بغيبه، معلوما لشهادته في قائم وحدانيته.

ليس الإيمان بالغيب المطلق هو القول بالعدم قبل الوجود أو بعده، فالعدم ليس غيبا. إن العدم هو مشهود قيامكم أشياء، لموقوت حياتكم لموجودكم أشلاء، ولكن الإيمان بالغيب إنما هو إيمان بمعلوم تعالى عن الإدراك، وتعالى عن الإحاطة به. (ما عرفني غير ربي^١، لست على صورتكم لست كأحدكم^٢).

فأنا لكم بالحياة جماع، (المؤمنون كأعضاء الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)^٣، (لو شكت مؤمن شوكة لوجدت ألمها عندي)^٤، فأنا جماعكم، وأنتم فيّ إنسان اجتماع، ما عرفني غير الأعلى لعين معناني، أنا باطن ظهوره بكم، بظهور لكم، (من كان مني كنت منه)^٥.

الأعلى للعلي لي هو لي خليل، ورفيق وحيب ودليل، وهو لي صديق وأنا له صديق، ولكن ليس لي مجلاه لكلاه في معناه أو مبناه، ولا لعليه معي، وإن لم أغايره لمعناه، ولا أريد أن تنقضي علاقتي له به، على ما هي، وأنا العلي به فيه، رفيقا أعلى لي بعليّه ومعليه، لبقائي به بموجودي، لعين موجوده لوجودي، موصوف عبده، أنا فيه دونه، يعلونني لموصوف ربي برحمته، ويمدني لقيوم إلهي بقدرته، ويظهرني لقائم حقه بعزته، ويظهرني لدائم هديه برحمته.

إن رسول الله بحقيقته هو معلوم الحق للشهادة دائما، في مبعوث خلقته، وهو عقيدة الغيب لموصوف الرب دوما في رسالته. فالذين يؤمنون بالغيب، إنما يؤمنون بحقية الرسول له، لا تدرك لهم ذاته بحقها، لنظرهم قصيرا لا يحيطون بها، ولا ينفذون إليها. ولكنهم يؤمنونهم محاطين منها بدخولهم فيها {تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب}^٦، (من رأي فقد رأي حقا)^٧، فقد أمحي موصوف العدم لذاته، وأمحي موقوت التواجد لمشهوده، لدائم شهوده، وقد أعطي الكوثر لتواجداته، بجمعه ومفرداته، أعطي بحار وأنهار الحياة، متدفقة بالحياة، للبشرية من البشرية، باسمه ورسمه، لمجده

عبد الله، ولحقه رسول الله، ولدائه وجه واسم الله. هو الطريق.. هو الصديق.. هو الحياة.. هو القيامة.. هو النجاة.. هو الخلاص.. هو السلامة.. هو كوثر السفن والكلمات.. هو دائم المعلم والآيات.

مثل أهل بيتي فيكم، وكلهم جديد آدم، وبدايات خليفة، وأوائل العابدين لوجوه الحقيقة، وكلهم نوح والباب والسفينة والطريق، كلهم سفن للحياة، وكلهم عيسى وكلمات لله ومراكب للخلاص والنجاة، {وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون} ^٨، أصحاب المتارب، أصحاب الكواكب وما وراء النجوم، سدم الوجود، كلمات الله، وجوه الله.

(مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك) ^٩، (لا نبي بعدي) ^{١٠} لأنه لا غيبة لنبوتي، (علماء أمتي كأنبيا بني إسرائيل) ^{١١}، ولا مجال لعمل النبوة على قمة المجتمع، وقد ظهرت العبودية وجها للمطلق بحقيتها بعلاقتها ووصلتها، قياما بالأعلى اجتماعا وشهودا، سفورا للربوبية بين الناس للناس حقا ووجودا، (خلف الله عليكم) ^{١٢}، (فاطمة ابنتي روجي، من أغضبها أغضبني، ومن أغضبني أغضب الله) ^{١٣}، (من كنت مولاه فعلي مولاه) ^{١٤}

إن النبوة في بيتي من بعدي، أصبحت غير ذات موضوع، على ما كانت معروفة به من قبلي، فقد كانت من قبلي أعلى مكانة في البشرية، وهي بعد مجيئي بحقي عبوديتي للانهائي حقائقتي، لمعنى وجه ربي ولقائهم حقي، أصبحت النبوة صفة تتواجد وتتعدد في الناس، للمؤمنين بالله ورسوله من بعدي. (حياتي خير لكم ومماتي خير لكم) ^{١٥}. (الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة) ^{١٦}.

أنا ظلال الحق بكوثرني، فما تكون النبوة من بعدي؟ إنها أصبحت كسب قومي، إنهم كتب رسالتي ومواصلة وجودي بحقيقتي، {كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون} ^{١٧} {جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا} ^{١٨}، {دين القيمة} ^{١٩}.

{وإذا سألك عبادي عني فإني قريب} ^{٢٠}، على ما علمتني، فهل كنت شريكا لي يوم أوجدتك فتواجدتني؟ {هل تعلم له سميا} ^{٢١}، {قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون} ^{٢٢}.

{آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه} ^{٢٣}، إيمانا متميزا هو لمن صار له نفسا له، يوم يتحد به ويتوحد معه، على ما هدى وأمر أن يخاطب الناس على قدر عقولهم. {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ، أنما إلهكم إله واحد} ^{٢٤}، إلهكم الذي عرفت وبمعرفته شرفت، وهو إلهكم، أما أنا فلا وجود لي معه، وقد وجدته ولم أشرك به، فما كان وجودي إلا بوجوده، قتلتني فيه فبعثت بالحق منه، فأنا به اليوم موجوده، ووجهه لكم وشهوده، إن أدركتم، ولعبارات الكتاب لمستم، وبنور هذا الكتاب قتم، لا يمسه إلا المطهرون منكم.

فما كان هذا الكتاب إلا نورا، مثنى ويمثنى به صاحبه في الناس، ليبين لهم، فيقوم بنوره، ويتقلب بروحه في الساجدين، لدوام تلاوته، فيصير أمة من فردة، ويصير فردا من ذواته لجمعه بأمتة، {محمد رسول الله والذين معه} ٢٥، {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد} ٢٦.

أظهره الأعلى كافة للناس، على ما كان من أمر إبراهيم لبيته من الأنبياء، {ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل} ٢٧. (أنا دعوة أبي إبراهيم) ٢٨، (وأرسلت إلى الخلق كافة) ٢٩، بؤى مكان البيت من نفسه لمعنى قلبه، بتعالیه، مع أبنائه من النبيين لمعاني صحفه وكتبه لأممهم، وأقلامه لمتابعيهم، {إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا} ٣٠.

وهذا الذي خص الله به إبراهيم وأمتة من بنيہ، هو ما جعله الله برسول الله، كافة للناس، يأخذونه لأنفسهم، فكلهم به عند الله إبراهيم، ييأون مكان البيت لقلوبهم في أنفسهم، إذا طلبوا القبلة واتجهوا إليها، جعلها لهم الله في الرسول اقتداءً، وبمكة أبرزت لدوام معناها بقديمتها بينهم منسكا وشرعة، {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مبارك} ٣١، إشارة إلى شخصه ومولده بينهم، عبر عنه في جديده ووليدہ بمولد عليّ في قائم الواقع لشاهده وشهيده.

{قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها} ٣٢، ومفهوم ذلك، وهو واضح، أن الرسول لم يرَ في بيت مكة قبلة يرضاها، ولا في بيت المقدس، متجها بنظره إلى السماء، فوجهه إلى القبلة التي تصلح لأن يرضاها، وقد وجهه إلى قلبه، وأمره {فول وجهك شطر المسجد الحرام} ٣٣، المحرم على غير الله، وأمر الناس {وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره} ٣٤، ولو ولوا وجوههم إلى قلوبهم في مصاحبتة، لتلاقوا معه بها. {وفي أنفسكم أفلا تبصرون} ٣٥، {واذكر ربك في نفسك} ٣٦.

{قل جاء الحق} ٣٧. كيف لا وقد جاء البيت بقضه وقضيضه، جاء القلب الواسع الكبير.. جاء القلب القديم.. جاء البيت القديم، جاء أول العابدين.. جاء آدم، يوم انشقت الأرض عن سيدها لمعناها ومبناها، وجعلت له وملتابعيه مسجدا وطهورا، يوم هو بحقه طواها، وأخرج منها من الناس من هو ماؤها ومرعاها.

ولدت الأمة سيدها، بمحمد، بناموس الفطرة لقبله وبعده، فكان أول بيت يوضع، يذكر فيه اسم الله لعلمنا، علما على ما لا نعلم وبشرى لما نتعلم، يوضع للناس، يحيى به الحق بينهم، جيئة ببعث من الخلق، ببعث لحق في قائم خلق، ببعث الموقوت لدائم قائم، بتطوير قلب الظلام ليشرق بالنور، مجيئا بالحق الإنساني لغيبه، في القائم الدائم بحضوره لحاضره.

كان في اقتدائه التحرر من سجن الذات للتقييد، إلى انطلاقة بلطيفها للتعبيد، عتيقا مما فات، وعتيقا مما هو آت، قيوم قائم لمعناه، بكوثر في تواجد، ظلال الأحد بالواحد، كلمة طيبة وشجرة طيبة، أصلها ثابت، وفرعها في السماء متواجد، فما ينفع الناس يمكث في الأرض، وأما الزبد فيذهب جفاء، (أنا حي في قبري)^{٣٨}، (تعرض علي أعمالكم)^{٣٩}، (أول من تنشق عنه الأرض أنا)^{٤٠}.

هكذا كان الرسول، وهكذا كانت حقائقه بكوثره، فكيف عُرِف؟ ما عُرِف الرسول بعد! ولا يُعرف الرسول، إلا يوم يعرف الناس، ويعلم الناس، ويؤمن الناس، أنه الدين كله. وأنه لهم الوجود كله.

إنه للمؤمن العلم كله.. إنه للعارف الكتاب كله.. إنه للعارج صحائف ومعارج العلم كلها.. إنه للواصل أقلام القدرة بجمعها.. إنه للمتصف صفات الحق، لاسمه الأعظم في قيامه، يجمعها وينثرها، يجمعها في أحديته، وينثرها من أحده في واحدته.

تعالى الله بتعاليه، وتداني الله في تدانيه، وتحقق الخلق بالحق في تواجده، يوم هم به يتواجدون، فأنفسهم منه يشهدون، وأنفسهم إليه يرجعون، وأنفسهم بنفسه يقومون، أول العابدين ومالك يوم الدين.

يؤمنون بالله ورسوله، فيعلمون عنهم من الله ورسوله. فيشهدون أنهم محمدا رسول الله، فيعلموهم لا إله إلا الله، فيرفعون شعار لا إله إلا الله، مكبرين له، بشعاره الله أكبر، في رضوان من الله، أعظم وأعظم، وأقرب وأقرب، وأرشد وأرشد، وأدنى وأدنى. تعالى الله عندهم عن كل وصف، إلا موصوف قيامهم بأسمائه، أسماء له وعبادا يجمعهم اسم أعظم له، رسولا من أنفسهم.

كيف يدرك الناس، وماذا يدرك الناس، وهم لا يصدقون بلاغنا لهم وقد جعلنا ناموسنا، في خلقنا، أن نأخذ من كل أمة بشهيد ونأتي بك شهيدا على هؤلاء. ولنكل هؤلاء الشهداء رحمتنا، جعلنا منك لهم خاتما وطابعا، ومثلا أعلى، لله فيه يشهدون، وأنت برحمة الله لك، وليظهرك على الدين كله بهداهم تقتديه، ففيهم تشهده وترثيه، ليظهرك على الدين كله ترتضيه، وليظهرهم بك على الدين كله ومغانيه.

فما كان الأنبياء من قبلك ومن بعدك إلا أقباس نورك من نور الله في جمعك لأحد اجتماعك، علما على الأعلى على ما علمت، وقد وصلك، وعلى الأعلى جمعك، نخاللك وخاللت، مثلت لهم رحمة التداني، وأضفت إلى الأعلى ربا لك عظمة التعالي، ليقتمدوك على حالك، ويطمعون منه لمثالك.

نخفضت لهم جناح الذل رحمة بهم على ما هديناك، وعلى ما قدرناك، وعلى ما يسرنالك، فجمعنا القلوب على الإيمان بذاتك ونفسك، لتكون للقلوب قلبا، وتكون لك القلوب والنفوس قوالبا وقد اجتمع الأعلى على قلبك، فظهرت الحق في الخلق، لا يغيب ولا يجحد.

فأين قلوبهم في اجتماعها عليك، على ما أنت، لتكون لها الحياة باجتماع بقلبك، على قائم قلب بعترتك لكوثرك، اللهم إلا من جعلناه لنا من رحمتنا، فجعلناكه منك لك في قائمك، عترة نتواجد بك، صنو كتابك، ودوام رسالتك وكوثر ذاتك وحجابك.

(تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكنم بهما لا تضلون أبدا، فإنهما لا يفترقان أبدا)^{٤١}، أنا بهم بينكم لا أغيب، وعنكم لا أحتجب.

ولكني مشهود قلوبكم يوم تشهدوني نفسا لنفوسكم وقلبا لقلوبكم، فما كانت نفسي إلا قلبا وفؤادا، لجهولكم من أمركم لأمرى، إنسانا بينكم يدب على الأرض، حقا لكم يمتد بنور الله روحا وحقا، ويمد الله به عيانا وصدقا، فينفذ نور الله إلى قلوبكم نفخا في أسواركم، من روجي لأمر الله، روحا يلقي عليكم فتنتلقون بأمر الله في الله، سبحا فيه، وتقومون به، بالحق، قيامة له، حقا وحقيقة بمعانيه.

هذا هو رسول الله.. هذا هو الحق من الله.. هذا هو إنسان الله.. هذا هو عبودية الحق حقيقة بظاهره، ما كان لها من رب غير باطنه لقائمه. إنه إنسان اجتماع الحق بشقيه عبدا وربا، في قائم إنسان خلقا وحقا.

لقد جاء رسول الله بهذا كله.. بهذه العظمة.. بهذه الرحمة.. بهذه النعمة.. بهذه الحقيقة، رحمة مهداة لتكون لنا من الله، لعين معناه، كما أعلم وعلم.

ولم يكن من حقائق الله بدعا، وقد اجتمعت فيه له أوادم الحق، بدءا من آدم حق، كان هو من أوادمه، ليكون للناس بآدمه لأوادمهم، قدوة وأسوة، في علمه ومعالمه، ليكون حياة الناس، بإدراكه في مداركه، لهم ماله من الله بخالته في حقائقه، وبمتابعته في معارجه، في خلائقهم عين خلائقه خلائق الأعلى لحقائقه.

(ما أعطيته فلائمي)^{٤٢}.. فكيف عاملوا أنفسهم فيه؟ وأدوه.. قتلوه.. قطعوه.. فقدوه.. وأنفسهم ما قاموه، وكيف يقومونه ولم يتابعوه، وكيف يتابعونه ولم يعرفوه، وكيف يعرفونه ولم يشهدوه، وكيف يشهدونه وهم عنه في أنفسهم يعمهونه، وبأنفسهم في عظيم نفسه وواسع نفسه يجهلونه، وعلى كبير نفسه لكبيرهم في عظمة ربه لعظمتهم، يكندونه، فكيف يكسبونه!

الأعلى وهو في فناء ذاته، هل هو على ما يصورونه؟ من فاقة به! وحاجة إليهم بمناسكهم ومعاملتهم يعبدونه، فيقهرهم على ما يصورونه، على ما بهم منه ليرحونه، وهو رب العزة والغنى عن العالمين كما يرددونه! إنه تاركهم لأنفسهم على ما يسمونه، بهيمة الأنعام في أرضهم، في تيه في فيافيا يرحونه، وفي بحارها يغرقونه.

نفوسهم وديناهم وأخراهم وبشريتهم وأرواحهم وأرضهم وسماؤهم قائمة بأسرار الله لموجوده بإنسانه، وهم لها لا يشهدون ولا يدركون، الرسول لقائم عنوانه، لأنهم لله لا يطلبون، وإليه لا يفتقرون، وبه لمعيتهم لا يؤمنون، فكيف هم له مع رسوله يدركون؟ جماع رسله خاصموه، في كل عصر كلما أشهدوه. الأنبياء يقتلون، والعلماء يكذبون، وبثياب الجهل مع الجهلاء، روادا لهم يتسربلوه، وبالسنة العنت يتفهبون ويتعلمون، وطغاتهم يملقون، وباسم الحقائق يقدمونهم وينتصرون، وملائكة لهم آلهين يستكبرون يقومونهم لشعوب الطغاة، ملائكة مقربين.

أليسوا هم حملة الدين! وحملة الكتاب المبين، ومشاعل العلم واليقين! {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير} ^{٤٣}، {ويتبع كل شيطان مريد} ^{٤٤}، باسم الأعلى، والله المثل الأعلى في السماوات والأرض، وما كان المثل الأعلى له إلا عبادا للرحمن.. سواء في السماء أو على الأرض، هونا يمشون، ولعباده لغايته بخلقه يتواضعون، وأحلامهم لهم أوبا معه لا يسفهبون، وهم يعلمون أنهم الجهلاء التافهين. ولكنهم في هودة وفي رفق بأيديهم يأخذون، وحديث الحق إليهم يوصلون، على قدر عقولهم، هم بها يحيطون، وهم بهم ما أحاطوا، ولهم ما لا قوا، وهم لا يدركون.

أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم، فتنبها أيها المسلمون، فإني ما أعطيت كلا منكم كل ما عندي، ولكنني أعطيت كل نفس ما تطيق، وعلى ما أمرت، بحكم الناموس، ولو كانت المشيئة مشيئتي، والإرادة إرادتي، وقد أبرزني الأعلى من أنفسكم نفسا لكم لجعلت كلا منكم عيني ومعناي في لمحات تواجد بكم. ولكنها إرادة الأعلى نفسي بيده، وحكمة الناموس أنا لها مظهر، وهو لي ولكم جوهر {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} ^{٤٥}، وقد أمرت {وأما السائل فلا تنهر} ^{٤٦}، متواصيا بالحق متواصيا بالصبر.

فأنا لا أطلب إليكم أن تروني حقا لكم من دونه، ولكن أطلب إليكم أن تروني وجهها له من وجوه له، حقا له من حقائق له، أمر هو لكم، ما تابعتوني لتكونوا له، على ما أنا له، فأنا منه حق، وله اسم، نعم الاسم (المؤمن مرآة المؤمن) ^{٤٧}، ونعم الإيمان قياما للإنسان، و{بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان} ^{٤٨} بالله ورسوله.

فلا ترتدوا عن الإيمان بالله ورسوله، وتابعوني إيمانا بالله ورسوله، واعرفوا في مؤمنا بالله ورسوله، في الله ذي المعارج، بذاته ورسوله، بقدسه وظلال قدسه، بالقدس والأقدس فيه، بالظل والأصل له، بالآدم والإنسان، بلا إله إلا الله والله أكبر، بالحي قائما وقيوما.

ما كنتم وما أنتم إلا أودام وظلال إنسان واحد، هو إنسان آدم لأرضكم، هو الأحد الواحد لكم، كلكم لآدم وآدم من تراب، وما كان آدم إلا عبد إنسانه، وظل إحسانه، وظاهر وداني قدسه، بقدس علمه لمعلومه واسمائه، وما كان الإنسان إلا روحا لآدم، وهيكلا وبیتا يذكر فيه اسم الله بمعناه لجوهره.

منه تتواجد لتظهر بيوت كلها يذكر فيها اسم الله، كلمات يتلقاها إنسان وجوده ببشريته من مطلق الوجود بجموده، فيعلمه المطلق في موجوده بالأسماء كلها لعلمه، وأعلام علمه، فيجعله الأعلى جماع وجوهه لشهوده، مشهودا لبنیه، لشهود الأعلى فيهم فيه، هم فيه وهو فيهم شجرة جنسه، وسدرة منتهى لحقية ربه، بقائمه لمقامها، عبده بمظاهر خلقه.

فما عرف آدم أسماء الله ليظهره على الدين كله، إلا يوم تواجدت الأسماء في وجوده لعين موجوده، بكلمات الله إليه ببنیه، فشهد الأعلى في مرآته، لقائمه بالأدنى فيه، علم قيامه، ويقين إحسانه، لقائم قيومه، في قائمه، لحقي معناه، ولخلق مبناه من فعله، (آدم أبو روحانيتي وابن جسمانيتي)^{٤٩}، {أنا أول العابدين}^{٥٠} (أنا سيد ولد آدم)^{٥١}، (أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر)^{٥٢}، (المهدي ولدي وجهه عربي وجسمه جسم إسرائيلي)^{٥٣}، كل مهدي ولدي، أعطيت الكوثر بدائم تكاثري.

{ووجدوا ما عملوا حاضرا}^{٥٤}، {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}^{٥٥}، (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)^{٥٦}، {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى}^{٥٧}، فتكشفت الفطرة بقوانينها وأسفرت الصبغة بحقائقها، الله قائم على كل نفس ومعها أينما كانت. فكانت تعاليم الإسلام، تعاليم الفطرة وصبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة وفطرة، {ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين}^{٥٨}، {ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين}^{٥٩}، يواصل حديثه من خلاهم في كل وقت وحين، {ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون}^{٦٠}.

المسح فطرة وصبغة رضيها الله للإنسان، رضيها الله لموجود الإنسان لواجب الوجود، قياما لمعاني واسم المطلق، يقومها ويتسمى بها الإنسان باسم الله للتعين وللشهود، بإنسانه له، يوم يصبح الإنسان عالم الغيب والشهادة، أوتي الحكمة وأوتي الخير الكثير، فكان علما على معلومه، وكانت له البشرية ظلال وجوده، لنفسه في كسبها، لرقيا وتقواها، يوم تستقيم في مبنائها لمعناها، فيستقيم المبنى لمعاني الظل بها، لقائم المعنى لها، فيتجدد بإرادة الله لأمانتها، جديد وجود لعين قديمها، وكيف يستقيم الظل والعود أعوج؟ إذا لم يستقم الآباء فلن يستقيم الأبناء.

إن الإنسان دَعَا إلى الله، بلسان الله برسول الله، أباً للجنس وأول العابدين، دعا ليكون إنسان الله، برسوله، أباً ومعلماً ورباً لهم، رسولا من أنفسكم، مشهود قيام بيننا، ظلاً مستقيماً لإنسان معناه، فكان بظله إنسان وجودنا لمعاني ظلاله.

فكيف نكون ظلاً مستقيماً له، ونحن لا نعرفه ولا نلقاه؟ ونحن لا نفنى فيه؟ ونحن لا نتفانى فيه؟ ونحن لا نفنى عنا إليه؟ ونحن لا ننهي إلى قيامه قائماً بنا، بانتفاء غيريتنا لمعاني غيره؟ فإذا نحن قدرناه لنا بيننا ليكون فينا، اخترنا أسوأ من فينا لمعناه بيننا، وكيف يستقيم الظل والعود أعوج؟

كيف نكسب الوجدانية مع المطلق، ويكشف لنا عنها، ونحن لا نعرف معنى للوجدانية مع المقيّد؟ وهو الذي يقول لنا، بحقه على لسان معناه، لمقيده بين خلقه، بموصوف خلقهم، {قل إنما أعظكم بواحدة، أن تقوموا لله مثنى وفرداً ثم تفكروا} ٦١ (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخال) ٦٢، هو الرحمن فاسأل به خبيراً، (المؤمن مرآة المؤمن) ٦٣.

أين هو الخبير؟ أين هو الدليل؟ بلّغهم، أنبئهم، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة، أنا ومن اتبعني} ٦٤، {إن ربي على صراط مستقيم} ٦٥، وقد أذن لي أن أقول لكم وأن أظهر بينكم أني صراطه المستقيم، أنا حياة الطريق.. أنا روح الحياة.. أنا حكمة الحب.. أنا نور الظلام.. أنا عرش القيام.. أنا عمد السلام.. أنا سفينة النجاة.. أنا قائد الركب.. أنا بينكم ظاهر لباطن لعوالم الغيب.

من صدق في إيمانه به، غيباً، وجدني لنفسه في نفسه له شهادة، ومن رآني حقاً، اجتمع على غيوبي لغيوبه حقائق لا إله إلا الله، أنا علمه ووجهه، أنا هيكله بيتاً.. أنا رحمته ساحة.. أنا سفينه في بحار وجوده لمطلقه، ربكاً.. أنا دليله في الصحراء رتلاً.. أنا كتبه مفضوضة ومغلقة.

أنا ال هو.. أنا ال لا هو.. أنا اسمه.. أنا علمه.. أنا حقه.. أنا ظاهر باطني له.. أنا باطن ظاهري به.. أنا كُلِّي الوجود.. أنا الظاهر بالموجود.. أنا علم الوجود، لمن أراد أن يتواجد. فما تواجد وجود، في موجوده، إلا باسمه، إلا بعلمه، إلا بطريقه، إلا باعتقاده المثل الأعلى في السموات والأرض له، بعبده وحقه لحقيقته.

كيف أنك لا تعتقد في الله لحقي وجودك، ثم تكون وجوداً فيه؟ كيف أنك تعتقد في الله لحياة موجودك ولا تكون وجوداً فيه؟ وكيف أنك لا تعتقد الله لك ولغيبك، ثم تطمع أنك تصير وجوداً فيه؟

إنك متواجد في الله، أو في نفسك، على ما اعتقدت بالله أو اعتقدت بنفسك، فإن كانت عقيدتك بنفسك على ما هي نفسك، وعلى ما تعلمها، موقوت وجود بين قوسي مولد وموت، فأنت إلى ما قدرت

وأردت. فإن وجودك على هذه الصورة ما كان إلا لإجراء تجربة على هذه الأرض، لأنانيتك، لا تنزل في قديمها عن الله، ولا تتعد في قادمها عن الله، وهي في قائمها محجوبة بماديها عن قديمها وقادمها، تعمل في حجابها لتكسب لقائمها، قديمها، وقادمها. وهي جزء في مشروع الحياة الأبدية للإنسان، بمظهر الركب البشري، فإن كسبته فقد خلقت، وإن خسرت فقد هلك. إن هي إلا كرة رابحة إن وفقت، وكرة خاسرة ما عندت. وما تعطل مشروع الحياة الأبدى بهلاكها، قيد أنملة، (كل الناس هلكي إلا العالمون..)^{٦٦}.

إن بدء الحياة إنما هو في بدء الاعتقاد حتى نقرأ فنفلح، وإن دخول الحياة إنما هو في طرق الأبواب حتى نجاب ففتح، والمجاهدة إلى الطريق حتى تعلم هو الفقه والدين، فبدون الرسول روحا لمعلوم ذات أو ذاتا لمعلوم روح، لا تطرق أبواب، ولا توج طريق، ولا تبدأ حياة.

نسأل الله أن يلحقنا برسول الله، ظلالة له، مؤمنين به حق الأعلى ومسيح الوجود، ومقيد الحق الباقي، لإنسان الله، مظهر قدس لذاته، علما على أقدم فأقدس، حتى يستقيم في الله اعتقادنا، وتستقيم في رسول الله عقيدتنا، وتستقيم لأنفسنا بالله ورسوله طريقنا فنبدا بعقيدتنا حياتنا. نسأله تعالى أن يجمعنا عليه بيننا، ذواتا وذاتا لعل قدره، وروحا وأرواحا لقائم نوره وأمره، أمة رسالته، ووجه حقيقته، لواسع وجوده، بحقه لشهوده.

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم يا من جعلت من آدم محمد إنسانا لنا وربا، وجعلته لنا منه هدية منك وخلقا.. اللهم لا تحرمنا هذه الهدية، ولا تقطع عنا بأعمالنا هذه العطية.

اللهم يا من جعلته رحمة للعالمين اجعلنا فيه علما وعالمين، على ما علمنا فعلنا، وعلمنا أنه ما علمنا يوم علمنا إلا أنت، وما تعلمنا إلا منك، وما أخذنا إلا من يدك، فما بايعنا في مبايعتنا يوم بايعنا إلا أنت يدك مبسوبة كل البسط، وموائدك ممدودة كل المدة.. وحدانية تدرك بمدركين بلا عد، وعقيدة قديمة تنال بلا حد، وحقيقة تتكاثر وتتجدد، في الواسع العليم لأحدك، لاسمك، في موجودك، لا حدود لك، لا حصر لك، لا إحاطة بك، لمتسع واحديتك في واسع أحديتك، بهذا آمنا، وعلى هذا فيك استقمنا، ورسولك من أنفسنا تابعا، كثر لا يغيب، وجديدا لا ينقطع، وقديما في الغيب يتكز ولا يتكز، متعاليا متدانيا عطاء غير مجذوذ، نحن متابعوه، بجدينا لجديده لأبدنا، وبقديمنا لقديمه لأزلنا، أبدا وأزلا له، في أبد وأزل لنا، بحق فينا قام، وفينا به يتكاثر بين يدي رحمتك برحمتك ليقوم، من أزلك لأبدك،

ومن أبدك لأزلك به نقوم ونحيا ونشهدك لا إله إلا الله، ونشهدنا فيك لك محمدا رسول الله.

أضواء على الطريق

(إنكم تشعرون بالنمو والتطور بالنسبة للحوادث التي تمر حوالبكم، ولكن الزمن لا يمر. إن روحكم تنمو والحوادث تأخذ أمكنتها حولكم. والوقت هو تقريبا مقياس علاقتكم بالحوادث. فإذا لم تكونوا متنبهين فلا يوجد زمن لأن علاقتكم بالحوادث قد تغيرت. فالزمن لا وجود له في عالمنا).

برش

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكفائي بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".
- ٢ من الحديث الشريف: "إيّاكم والوصالَ إيّاكم والوصالَ قالوا: فإنك تواصلُ يا رسولَ الله قال: إني لستُ كهَيْئَتِكُمْ إني أبيتُ يطعمُني ربي ويسقيني" أخرجه مالك، والبخاري ومسلم باختلاف يسير.
- ٣ حديث شريف: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". أخرجه البخاري ومسلم.
- ٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها من السياق.
- ٥ إشارة إلى معنى موجود في حديثه صلى الله عليه وسلم: "إن عليا مني وأنا منه". رواه الترمذي والنسائي في السنن الكبرى. و"حسين مني وأنا منه". أخرجه الترمذي وابن ماجه، وأحمد باختلاف يسير. أيضا: في حق جليليب لما استشهد بعد قتله سبعة من المشركين، فقال صلى الله عليه وسلم: هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه. رواه مسلم.
- ٦ سورة المائدة - ١١٦
- ٧ حديث شريف: مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنِي. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي". صحيح ابن حبان.
- ٨ سورة يس - ٤١-٤٢
- ٩ إشارة إلى الحديث الشريف: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق". أخرجه الحاكم في المستدرك.
- ١٠ من الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس بعدي نبي. أخرجه النسائي.

- ١١ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر". أخرجه أبو داود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها". أخرجه أبو داود والحاكم.
- ١٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٣ إشارة للحديث الشريف: " فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَنَ اغْضَبَهَا اغْضَبَنِي." أخرجه البخاري ومسلم، والحديث الشريف: "فاطمة بضعة مني وأنا منها، فمن آذاها فقد آذاني، من آذاني فقد آذى الله". المكتبة الشيعية. بحار الأنوار.
- ١٤ حديث شريف، يوم غدیر خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بيدَ عليّ رضي الله عنه، فقال أَلَسْتُ أَوَّلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بَلَىٰ قَالَ أَلَسْتُ أَوَّلَىٰ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالُوا بَلَىٰ قَالَ فَهَذَا وَلِيُّ مِنْ أَنَا مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ اللَّهُمَّ عَادِ مِنْ عَادَاهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ١٥ من حديث شريف: "حياتي خير لكم تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ ووفاتي خير لكم، تُعَرِّضُ عَلَيَّ أَعْمَالَكُمْ فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمَدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ". أخرجه النسائي والطبراني.
- ١٦ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.
- ١٧ سورة آل عمران - ٧٩
- ١٨ سورة البقرة - ١٤٣
- ١٩ سورة البينة - ٥
- ٢٠ سورة البقرة - ١٨٦
- ٢١ سورة مريم - ٦٥
- ٢٢ سورة الأنعام - ٩١
- ٢٣ سورة البقرة - ٢٨٥
- ٢٤ سورة فصلت - ٦، سورة الكهف - ١١٠
- ٢٥ سورة الفتح - ٢٩
- ٢٦ سورة الأنبياء - ٣٤
- ٢٧ سورة الحج - ٧٨
- ٢٨ من حديث شريف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ".. وسأخبركم بأول أمري: دعوة إبراهيم، وإشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت - حين وضعتني - وقد خرج لها نور أضاءت لها منه قصور الشام." أخرجه البغوي في ((شرح السنة)) واللفظ له، وأخرجه أحمد وابن حبان باختلاف يسير.

- ٢٩ من الحديث الشريف: "فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كُلِّهَا، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ". سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير.
- ٣٠ سورة النحل - ١٢٠
- ٣١ سورة آل عمران - ٩٦
- ٣٢ سورة البقرة - ١٤٤
- ٣٣ سورة البقرة - ١٤٤
- ٣٤ سورة البقرة - ١٤٤
- ٣٥ سورة الذاريات - ٢١
- ٣٦ سورة الأعراف - ٢٠٥
- ٣٧ سورة سبأ - ٤٩
- ٣٨ حديث شريف يتردد في أدبيات التصوف، يتوافق مع الحديث الشريف: "الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ". أخرجه أبو يعلى والبخاري.
- ٣٩ من حديث شريف: "تعرض عليّ أعمالكم، فما رأيت خيرا حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم". أخرجه النسائي والطبراني.
- ٤٠ من الحديث الشريف: "أنا سيد ولد آدم ولا خفر وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا خفر وأنا أول شافعٍ وأول مشفعٍ ولا خفر ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا خفر". صحيح ابن ماجه.
- ٤١ إشارة إلى حديثين شريفيين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي.
- ٤٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٤٣ سورة الحج - ٨
- ٤٤ سورة الحج - ٣
- ٤٥ سورة القصص - ٥٦
- ٤٦ سورة الضحى - ١٠
- ٤٧ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يُكفُّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبخاري والطبراني
- ٤٨ سورة الحجرات - ١١
- ٤٩ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٥٠ سورة الزخرف - ٨١

- | | |
|----|---|
| ٥١ | من الحديث الشريف: "أنا سيد ولد آدم ولا نخر وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا نخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا نخر ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا نخر". صحيح ابن ماجه. كما أخرجه الطبراني. |
| ٥٢ | من حديث شريف: "عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير". رياض الجنان: مخطوط. بحار الأنوار. المكتبة الشيعية. |
| ٥٣ | من حديث شريف: "المهدي رجل من ولدي، لونه لون عربي، وجسمه جسم إسرائيلي، على خده الأيمن خال كأنه كوكب دري، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يرضى في خلافته أهل الأرض وأهل السماء، والطير في الجو". أخرج الروياني في مسنده، وأبو نعيم عن حذيفة. كما أخرجه الطبراني في معجمه. |
| ٥٤ | سورة الكهف - ٤٩ |
| ٥٥ | الزلزلة ٧-٨ |
| ٥٦ | من حديث قدسي: "يا عبادي! إنما هي أعمالكم تُردُّ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمدني ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه". الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح. |
| ٥٧ | سورة النجم - ٣٩ |
| ٥٨ | سورة فصلت - ٣٣ |
| ٥٩ | سورة آل عمران - ٤٦ |
| ٦٠ | سورة الزخرف - ٥٧ |
| ٦١ | سورة سبأ - ٤٦ |
| ٦٢ | حديث شريف: "لمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي. |
| ٦٣ | حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبخاري والطبراني |
| ٦٤ | سورة يوسف - ١٠٨ |
| ٦٥ | سورة هود - ٥٦ |
| ٦٦ | حديث شريف جاء في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي باب "حقيقة النية ومعناها"، بصيغة: "فالناس كلهم هلكتي إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكتي إلا العاملون، والعالمون كلهم هلكتي إلا المخلصون، والمخلصون على خطرٍ عظيم". وجاء في تاريخ دمشق لابن عساكر: سمعت ذا النون المصري يقول: "الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم نيام إلا العاملون، والعالمون كلهم مغترون إلا المخلصون، والمخلصون على خطرٍ عظيم، قال الله عز وجل: "ليسأل الصادقين عن صدقهم". |

(٦)

إنه إنسان الله

يوم يقوم ويبعث الكائن البشري إنساناً
قام لقدمه عنواناً، ولقادمه بقائه حقاً وبناءً وبنیاناً

حديث الجمعة

٢ صفر ١٣٨٧ هـ - ١٣ مايو ١٩٦٧ م

بسم الله لنا معنا نستعين.

وإلى حقه ورسوله بنا نلجأ.

بهما على أنفسنا نتنصر، وبانتصارنا عليها لها نحيا، فنخرجنا مما نحن بمادينا إلى ما هو عقولنا لمعائنا، وإلى ما هو بيت الحق لنا فينا، يوم نصل برؤوسنا إلى قلوبنا حية، محرمين ملبين حاجين إلى عرفات وجودنا لنجدينا.

نحن لله بإنسانيتنا أسماء، وبهاكلنا لعوالمنا وجود ووعاء، بذكر الله نحيا، وبالصلة بحقه ورسوله نبعث، وعلى عوالمنا نقوم قبلة وبيتا يذكر فيه اسم الله، ونصبا حوله تطوف أحداث وأهداف الحياة، يوم يتخلق القلب، ويتطور القلب، إلى عالم لقائم حق، في مطلق الوجود لله.

الملك من ملك نفسه.

والحي من كانت الحياة قائمه ودائمه وحسه.

فكان لله أمره، وللوجود سره وجهره. تعالى الله عند عارفه أن يتصف أو أن يوصف، وتعالى الله عن أن يجهل عند من يعرف أو يستشرف.

تعالى الله عن الغيب.. وتعالى الله عن الشهادة.. وتعالى الله عن البعد عن الإنسان.. وتعالى الله عن إحاطة الإنسان بالله.. وتعالى الإنسان محاطاً بالله، محيطاً به، بما يحيط منه، عن إدراكه عند من ليس هو، عند من لم يصير إنساناً ووجهها لله، واسماً لله، وعبداً لله، ووجوداً لله، وحقاً لله.

فما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان، وما ظهر الله لشيء مثل ظهوره للإنسان، وما ظهر يوم ظهر للإنسان إلا بالإنسان. الإنسان مرآة الإنسان فيه.. المؤمن مرآة المؤمن.. اسم الله مرآة لاسم الله.. وجه لوجه.

كان الإنسان للإنسان، على المنشود العنوان، مرسل ورسول ومرسل إليه، هم حق واحد، ووجود واحد لأحد وجودهم.

إنسان الحق يجمع لمعناه في مبناه، إنسان الغيب لإنسان الشهادة.. وإنسان الدوام لإنسان التوقيت.. وإنسان البعث لإنسان الخلق.. وإنسان الآخرة لإنسان الدنيا.. وإنسان الدنيا آخرة لإنسان الآخرة دنيا.

إنما هما دينيان، في دنيا واحدة، بديان واحد.. إنما هما أخريان لأخرى واحدة، لآخر واحد.. إنما هما عالما خلق لخالق واحد، وعالما حق لحق واحد.. عالما بدء لقديم بدء.. بدء لبدء في دائم بدء.. بدء واحد بحق واحد، بدين واحد، بأحد لا تعدد له ولا تعدد فيه.

إنه إنسان الله، يوم يكون الكائن البشري إنسانا، وعلى قديمه عنوانا، ولقادمه بقائمه حقا وبناء وبنينا. يقوم وجودا بالموجود، ويبعث حقا بالمقام المحمود.

جاء رسول الله.. جاء حق الله.. جاء اسم الله.. جاء وجه الله، أُعطي الكوثر، فجاء ولم يغب، وظهر بالحق، لا ينقطع ولا يحتجب.

(الخير فيّ وفي أمّتي)¹، إلى يوم قيامتي، من قائم قيامتي، بعثا لقديم قيامتي بمن له عرفت، واسما له شرفت، وعبدا له قت وتكاثر، ورحمة منه بينكم ظهرت، في دائم الحياة لدائمي ما انقطعت، وفي متواصل الوجود في وجودي ما تخلفت. مع الجديد تجددت، ومع القديم تقادمت. مع المتكثر تكثر، ومع الظاهر ومن الظاهر وبالظاهر، ظهرت وتحدثت.

{أفأريت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم}²، {أفأنت تكون عليه وكلا}³.. {ومن يضل الله فلن تجد له ولياً مرشداً}⁴.. {النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم}⁵.

إنه الإنسان.. إنه العنوان.. إنه البنيان.. إنه الوجدان.. أليس هو الإنسان؟ أليس هو إنسان الرحمن؟ وهل كان إنسان الرحمن غير الرحمن؟ هل كان الرحمن غير الإنسان، برحمة الله رحمانا، وبحكمة الله إنسانا وشيطانا؟

أي منقلب ينقلبون؟ إذا طغى الإنسان بخيره انقلب إلى قائمه بفجره، وإذا انكسر الإنسان في طغيانه عاد مؤمنا إلى رحمانه.. {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر

الذنوب جميعاً} ٥٦. (إذا لم تذبوا وتستغفروا، لذهب بكم، وأتى بقوم آخرين، يذنبون ويستغفرون، فيغفر الله لهم) ٥٧. (أمة مذنبه ورب غفور) ٥٨.

وهل كان الرب إلا غفورا؟ رب غفور يذكر في النفس، ويبعث بنوره في القلب ويشرق في العقل ويستقيم في الجوارح. {إن ربي على صراط مستقيم} ٥٩، حق الله وإنسانه، عبد الله وعنوانه، منشود الله ووجدانه، رسول الله ومرسله، رسول الله ومرسله، رسول الله والمرسل إليه من الله، رسول الله من رسول الله إلى رسول الله.

(كيف بكم وقد نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم [فأمكم منكم]) ١٠، كيف بكم وقد صرتم إلى عماء؟ كيف بكم وقد انحدرتم في البلاء، وقد أظلمت عقولكم وتحجرت قلوبكم، وأسرفت في الطغيان نفوسكم وجوارحكم؟

فلمعيتكم من الله ما راقبتم، وعليها استكبرتم، وظننتم أنكم عنها اختفيتم ١١. (الحساب ليوم الحساب)، باسم الدين تمشدقتم، (والعقاب ليوم العقاب)، باسم الله هرطقتم.

وهل كان العقاب إلا يوما من أيام الله؟ وهل كان الحساب إلا يوما من أيام الله؟ فما يكون يوم الحساب؟ أليوم الله احتجاب؟ أيغيب الله عن زمانكم؟ وهل كان زمانه إلا دهركم؟ وما كانت الأيام فيه إلا مداولة الأمر بين السعادة والشقاء لأنفسكم، فيشقى سعيدكم ويسعد شقيكم، يسعد شقيكم يوم يفيق، ويشقى سعيدكم يوم يطغى بسعادته. {إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى} ١٢.

{يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد} ١٣، لن تحمدوه إلا يوم تقوموه فيحمد الله نفسه فيكم، بحمده له حمدا للأعلى. لن تحمدوه إلا يوم تقوموه فيحمد هو نفسه فيكم.

{الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا} ١٤، إذ جعله قيما على نفسه، قيما على أمره، سعيدا بوجوده، هائلا بحقه، لا يشقيه الشقاء، ولا يفتنه البلاء، ولا تطغه السعادة، ولا تغره القيادة، ملك هو العبيد، وعبد هو السيد المجيد، هو لنفسه عنده به القديم والجديد.

هكذا علمكم فهل تعلمتم؟ وهكذا يتواجدكم فهل تواجدتم؟ ضُرب على صدره ليشير إلى مكان التقوى ١٥. وقال (التقوى ها هنا، التقوى ها هنا) ١٦، فإلى أي قبلة توجهتم؟!

إن الصلاة عنده إنما هي الصلة بمن هو فيك، يوم أنه بعقلك يعينك، ففي قلبك تلاقيه فيرضيك، يوم يكشف لك عنه بك الغطاء فيحييك، وينشرك على ما يرضيه ويرضيك، لا فرق بينه وبينك يوم يرتضيك، ولست غيره يوم يصطفيك.

هل رفعنا شعار لا إله إلا الله؟ هل دخلنا حصن لا إله إلا الله؟ هل وردنا أحواض لا إله إلا الله؟ هل فلسفنا لا إله إلا الله؟ هل عرفنا ما تردد ألسنتنا ولا تعي عقولنا، ولا تحيا به قلوبنا من لا إله إلا الله؟

تقول إنما هي أنه (لا موجود بحق إلا الله) ١٥. أمر واضح.. هذا حق.. هذا تعبير من دخلها.. هذا تعبير من وردها.. هذا تعبير من قامها.. هذا تعبير من كان لها مكانها، وبيتها، ومكانها، وحققها، وزمانها، لا موجود بحق إلا الإنسان، إلا إنسان لا إله إلا الله، إلا حق الله بإنسان الله، إلا إنسان الله وعبد الله، إلا من برز بيننا رسول الله، فكان شرف رسول الله أن يكون عبداً لله، فنعرفه حقاً لله، فندخله حصناً لا إله إلا الله. {يا أيها النفس المطمئنة.. ادخلي في عبادي وادخلي جنتي} ١٦.

فما كانت لا إله إلا الله؟ هل كانت إلا عباد الله، وما كانت جنان الله؟ هل كانت إلا قلوب عباد الله، إلا قلوب حقه ورشاده، إلا أنوار عقوله، أغفلت وجودها وأحيت نفوسها بلا إله إلا الله؟ (لا دينونة الآن على من دخل قلب يسوع) ١٧ فردُ جمع، بجماع فردٍ في الله.

(كيف بكم وقد نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم [فأمكم منكم]) ١٨ (يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً) ١٩، (لو لم يبق من عمر الزمان إلا يوم لمد الله في عمر ذلك اليوم حتى يخرج الله رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً) ٢٠، (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة) ٢١. {يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق} ٢٢، {فليأت ملكوتك على الأرض كما في السماء كذلك} ٢٣.

(لكل منكم ساعة) ٢٤. (لكل منكم قيامة) ٢٥. لكل منكم سفينة نجاة وخلاص وسلامة.. (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك) ٢٦. (يا أباذر جدد السفينة) ٢٧، {ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله} ٢٨.

{يوم ندعو كل أناس بإمامهم} ٢٩. {ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خير أم هو} ٣٠. {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد} ٣١.

تركت فيكم الناموس، تركت فيكم العلم والمعرفة، تركت فيكم إمامة لا تغيب، وكأباً لا يتوقف حديثه، ولا يغيب عن جديده قديمه {قرآناً عجبا يهدي إلى الرشد} ٣٢، {يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً} ٣٣، {قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي لنفد القرآن، {إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين} ٣٥، {شأنك هو الأبر} ٣٦، {وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث} ٣٧ له تالياً، له مجدداً مبيناً لما فيه.

فما يكون القرآن؟ وما يكون قارئه؟ وما تكون حروفه؟ وما تكون رسومه؟ وما تكون كلماته؟ وما تكون سوره وآياته؟ إنه أنتم {ورتل القرآن ترتيلاً} ^{٣٨}، إنكم القرآن.. إنكم من علم الرحمن، رتلا بعد رتل، وأمة بعد أمة.

إنكم وجود أنفسكم، وخلق وجودكم، بحق موجودكم، علمكم البيان، وأقرأكم الشمس والقمر بحسبان، وعرفكم معاني الحق فيكم مستخلفين، لنفوسكم سائدين لا مسودين، خالقين لا مخلوقين.

{فتبارك الله أحسن الخالقين} ^{٣٩}، انظر {ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت} ^{٤٠}، {والله خلقكم وما تعملون} ^{٤١}، والله أبدعكم وما تصنعون، والله ظهركم وما تبدعون، لا إله إلا الله يوم تعلمون، ولا إله إلا الله يوم تؤمنون، فلا إله إلا الله تمسون، وبلا إله إلا الله تصبحون، {فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره} ^{٤٢}، {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى} ^{٤٣} (تخلقوا بأخلاق الله) ^{٤٤}، {إن ابني من أهلي} ^{٤٥}.. إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح} ^{٤٦}.

يا أمة لا إله إلا الله.. أما أن لكم أن تشهدوا أنه لا إله إلا الله؟ يا أدعياء لا إله إلا الله.. أما أن لكم أن تصدقوا مع لا إله إلا الله؟ يا واهمي لا إله إلا الله.. أما أن لكم أن تتصفوا بلا إله إلا الله؟ يا طاغين بلا إله إلا الله.. أما أن لكم أن تتصفوا بلا إله إلا الله، فعلى أنفسكم تقيموا لا إله إلا الله، حتى أنكم عليها في الناس تقوموا لا إله إلا الله، وبها تشهدوا أنه لا موجود بحق إلا الله؟

هل كان محمد بينكم أمراً وسطاً، إلا لا إله إلا الله؟ قامت عليه لا إله إلا الله، فقام بها بينكم، وقام بها عليها فيكم فأقامها، فبه قياما فيها، فبه كنتم لا إله إلا الله، يوم كنتم محمداً رسول الله، وكنتم الله أكبر، يوم كنتم به لا إله إلا الله، في الله ذي المعارج، له متابعون ومعه عارجون.

(كيف بكم وقد نزل ابن الإنسان فيكم) ^{٤٧} والإنسان معكم مجفوا منكم، وجاءت إرادة الله، وتداولت الأيام بينكم وبينه، يجري منكم الشيطان مجرى الدم، والله معه أقرب إليه من حبل الوريد، فظهر بينكم بكلمة الله منه وجهاً للرحمن، (فأممكم منكم) فكانت قيامته وساعته، وظهرت حجابته، وعرفت رحمته.

غاب عنكم بجلبابه فبعث بالحق بينكم بدليله، يوم يخلق الله له صورة، يتجلى بها على الخلق بجديده ووليده، لإنسان حقه وعتيده، قديماً كانه، وقادماً تواجدته، ودائماً ما فارقت، بها يقوم ويتقلب في الساجدين، كوثر الحق للعابدين، وكتاب الحق للقارئين، والوجود الحق للعارفين. (خلفت الله عليكم) ^{٤٨}، (من رأي فقد رأي حقاً) ^{٤٩}، (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) ^{٥٠}، غاب عن أعيننا بجسده وترك لنا بيننا النور الذي أنزل منه بعترته، باسم الله الرحمن الرحيم، لم ترفع من بعده.

الأمين وابن الأمين وأب الأمين، الأمين الابن، والأمين الأب، والأمين الروح، والأمين الحق. هذه أقانيم من عديد أقانيم في الإسلام تصورا للتعدد والتوحيد في قائم الفطرة، لتقريب الوعي عن الحق عند الإنسان بالإنسان لقائم الشفع والوتر في العيان.

إن الذي تحدث عن الأب والابن والروح القدس.. ما تحدث عن الله معبود المسلم ومعروفه، بل تحدث عن الإنسان لله، يوم تحدث عن الإنسان في تشتيته وتوحيده، تحدث عن الإنسان في شتاته بجمعه، تحدث عن الإنسان، واحدا من شتاته في قائم أحده، واحدا يتشتت إلى قائم واحده، فيوم يتجمع من شتاته ما كان إلا الإنسان، ويوم تشتت من أحديته ما كان إلا الإنسان، وما كان الإنسان في الإنسان إلا عبدا، وما كان الإنسان على الإنسان إلا ربا، وما كان الإنسان يغيب عن شهود الإنسان متعاليا مخلقا متكثرا إلا إلهها وآله ومؤله، وما كان الإنسان يداني الإنسان ليكون على الأعلى العنوان، إلا حقا في العيان، وحقا في القيام والوجدان، ورسولا بالبيان، يوم يدعى الناس في الناموس بأئمتهم أزواجا خلقهم وأزواجا حققهم.. فكيف قدرنا الله؟ وكيف عرفنا الرحمن؟

فن كان.. ذلك الذي كان.. وعرفناه رسولا، وما عرفناه إنسانا؟ وعرفناه عبدا، وما عرفناه للحق عنوانا؟ ومدحناه ربا وما قناه إيمانا وإحسانا؟ كيف بكم وقد نزل ولدي فيكم وأنا بينكم فظهرت عليكم وأقمت بينكم إماما لكم؟ أنكرتموه وأنكرتموني، جهلتموه وجهلتموني، وما ظلمتموه ولا ظلمتموني، ولكن ظلمتم أنفسكم، وظلمكم لها اليوم تدركون، ها أنتم تشهدوني ولا تعرفوني، وثابعوني ولا تلبوني، تساقون ولا تجيبوني، (واعجبا من أناس يجرون إلى الجنة بالسلاسل) ^{٥١}.

فهل آمن من وصفتم بالمؤمنين؟ (فالعصا لمن عصى، والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقالة) ^{٥٢}. {فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر} ^{٥٣}.

ما للجنة خلقكم، ولا للنار أوجدكم، ولكنه رزقهما بكم، يوم أنتم عنه غفلتم، فهو لنفسه تواجدكم، أمانة في عنقكم، قدركم وأكرمكم، قدر فهدى فما قدرتم، وفي أمركم به فرطتم، فما وجدتم ولا اتحدثتم فتواجدتم ومن الظلام خرجتم، ومن الظلم سلمتم.

ما أصبركم على النار أنتم واردوها، بحتمية خلقكم من صلصال يفخر ليفاخر. إن الجنة والنار ما خلقت إلا لكم، وما كانت منه إليكم إلا متعة لعقولكم وملكية لنفوسكم، لنفسه ملكتكم، ونفسه ظهركم، وهو مالك الجنة والنار، ولجنة والنار يملككم، ففي النار مشتاكم بردا وسلاما، فنار قدسكم أقوى من نارها، وفي الجنة مصيفكم لا ترون فيها شمسا ولا زمهيرا، ففي النار يتجددكم، وبالجنة يتألفكم، ففي النار خيركم، وفي الجنة ابتلاؤكم، وفي قدسه جزاؤكم، وإليه مرجعكم، وعنده مأواكم.

عكستم الأوضاع، وظننتم أنه بالنار مبتليكم، وبالجنة مرتضيكم. إن النار موقظة، نار الله، بورك من في النار وحيا من حولها، وقد فتن من في الجنان، وحرّموا خيرها، وإن منكم إلا واردةا، كان على ربك حتما مقضيا، وهل صدر من ربك إلا الخير؟

أُسكن أنت وزوجك الجنة، أي جنة؟ إنما هي جنة أرضكم، جنة نفوسكم بشرا، {ألم نجعل الأرض كفاتا. أحياء وأمواتا}، جعل في الأرض كفايتها لكل شعاراته عنه، بشعائره لأهلها {الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء}، هي نار مبرزة لمن^{٥٦} أزلهما الشيطان عنها، هو داعي حكمته، كما هو داعي فتنته، ليخرجهم من جنتهم، ليدخل بهم في نار جنته، حتى يخرجهم من نار جنتهم بفتنته فيرجعون إلى الله في أنفسهم برحمته وحكمته.

ماذا تظنون بالله؟ إنكم تظنون بالله ظن السوء، والله هو الخير، يمكر وتمكرون، تمكر نفوسكم متجمعة باستعلائها واهمة بكبريائها، مكر السوء، ضالة مبلسة، وتمكر نفس الله العابدة بعباد عبده، المكر الحسن للخيركم.

والمكر السيء من نفوسكم ما قام إلا لهلاككم، والله يمسك السماوات والأرض نفسا واحدة لإنسان واحد أن تزولا، خلقه أزواجا بالسما والارض، وأثمر منه ثمارا، هي ثمار السماء وثمار الأرض، تزوجتا فأنجبتا، فأخرجتا الوليد، أخرجتا الكون الجديد، على ما تواجد كون قيامكم، من قديم قيامه لموجده، كونا متزواجا ظهر عبدا وسيدا، في حق متجددا. معه تتجددون، وبالتخلف عنه تهلكون، رسولا لله له تعرفون، وبه حقا تقومون وتبعثون، متقلبا في الساجدين، قائما في دوام بالعارفين. (إن الزمان قد استدار على هيئته كيوم خلق الله السماوات والأرض)^{٥٧} بوجوده على أرض، سافرا بقاءم الحق بينكم، بعثا من قائم الخلق بشرا من أنفسكم، قدوة لكم.

ماذا عرفتم عن الله، وماذا قدرتم الله، حتى تدركوا الوجود إليه مضافا، والعبد بالحق معافا، فتتشدون الحق للحق، ولا تطلبون إلا الحق، ولا ينو في موجودكم بقائكم الخلق والحق، فيتخلص عن موجودكم الوجود المادي بظلامه، ويسود الله موجودكم بالحق بنوره وكلامه؟

إن العقلاء من الناس لا يهملون أمر ماديهم وإن تحرروا من سيادته، بل يمسكونه لسيادتهم وللحق أصبح لهم ولإرادتهم، فبالحق يجددونه، (كان لي شيطان ولكن الله أعانني عليه فأسلم)^{٥٨}، أسلم لي ولربي، وعرف أن (الدين النصيحة لله، ولرسوله، وللمؤمنين)^{٥٩}، فكان ناصحي (فهو لا يأمرني إلا بخير)^{٦٠}.

إنني وأنا القائم بالحق، تنصحن نفسي، يوم تحمل إليّ خبر ما لا أنظر إليه، (فإن وجدت خيرا حمدت الله، وإن وجدت شرا استغفرت لكم)^{٦١}، (تُرفع إليّ أعمالكم)^{٦٢}، وما يرفعها إليّ إلا نفسي بينكم، وما ترفع إلا إلى نفسي من الله، فنفسي منكم، أسلمت لوجودي بحقي لكم، وما كنتم فيّ غيري.

إن نفسي تقوم عليكم بكم مرشدة هادية رحيمة، وما كنت بينكم لشهودكم إلا مظهرا لأهل بيتي (اقبلوا نيري فإن نيري عليكم لطيف)^{٦٣}، (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة)^{٦٤}، (أمة مذنبه ورب غفور)^{٦٥}، (إذا رضى الله عن امرئ، جعل له من نفسه واعظا يأمره بالمعروف وينهاه)^{٦٦}.

(كيف بكم وقد نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم)^{٦٧}، وما كانا إلا أنا (فأمكم منكم)، وما كانا غيري، أنا آدم، وآدم قبل آدم.. وآدم بعد آدم، وسيد ولد آدم، أنا الروح لأرواحكم وأشباحكم، أنا روح القدس، هل عرفتموني؟ هل توحدتموني؟ هل فتحتم مشكاة صدوركم لنوري؟

إن الزمان لا قيمة له عندي، ولا حكم له عليّ، فالزمان ما كان إلا كوثر في تكاثري، أنا بري لي لدائي ما تسمونه الدهر للعيان، أنا دوام الحق في البنيان، أنا دوام الوجه للشهود، لوجه الرحمن للوجود، أنا بحقي وحقيقتي فوق الزمان والمكان، إن الزمان مطوي عندي. أعلمني الله ويعلمني في دورة وجودي، وكرات تواجدي، ما كان وما يكون بين ساعة وساعة، وقيامة وقيامة، وبداية وبداية، ونهاية ونهاية، أظهرني على الدين كله، ويظهرني كلها أظهرني، على الدين كله.

(يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا)^{٦٨}، به تعرفوني وتقدروني فأنا أولى الناس به، وأمه إحدى زوجاتي في الجنة، (لا مهدي إلا عيسى)^{٦٩}، (المهدي ولدي [يقتفي أثر])^{٧٠}.

فهل بعد هذا لا يكون لابن مريم وأبيه عندكم موضوعا؟ القرآن والحديث والأثر عن الرسول مليء زاهر بالحديث عن مريم وابن مريم، {إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون}^{٧١}، حتى لا يكون الله محلا للجماعة، وموضوعا لعبث الحديث وموضوعا لسخرية المستغلين للدين، فيهلك الناس فيه.

ولكنه إذا بقي الله بعيدا عن ذلك كله عاليا عليه بعظمته وكان الجدل حول مريم وابن مريم وأبيه، وكان الجدل حول آدم وابن آدم وأخيه، وكان الجدل حول الوجود وعلة الوجود فيه، وكان الجدل حول الإنسان المتجلي بالإنسان وابن الإنسان لمعانيه، ليبقى رسول الله وربّه بمنأى عن العبث وعابثيه، ويبقى الحق في مجال رحمته لطالبه، في سعة مغفرته لمحبيه، نظره إلى الناس ورب الناس، في كل زمان، نظرا منه إلى قائم الزمان، وأهل الزمان له نظرا يساعد قائم الزمان على أمره، ويساعد أهل الزمان على أمرهم، هو من ورأهم ومن فوقهم برحمته، ومن ورأهم وفيهم بسكينته، يعاملهم ويعلوهم بسعته، ويغزوهم بمغفرته.. (أمة مذنبه ورب غفور)^{٧٢}.

هل عرفنا الله؟ هل عرفنا رسول الله؟ هل عرفنا كلمات الله؟ هل عرفنا أوادم الله؟ هل عرفنا أنفسنا؟

اللهم بمن جعلته لنا يوم عرفناه لك، اللهم به تولنا، وبه اجعلنا منك.

اللهم بمن اتسعت به لمعاصينا، واتسعت بحقه لمبايننا، واتسعت بنوره لحقائقنا ومعانينا، فبه محوت لظلامنا، واتسعت بحقيقته لخلائقنا وأخلاقنا، فبعثته بحقائقه في خلائقنا خلقا لك وحقا منك، فأفئتنا عنا إليه، وأبقيتنا به لك، فكنا بذلك وجوها لك.. اللهم به فاحفظنا لك.

أعلمتنا به أن كل الذي فوق التراب تراب، ودعوتنا به لا نثاقلوا إلى الأرض، فتقاعسنا وعن الركب تخلفنا، إلا قليل منا، ممن رحمت، وإلى قلوبهم نظرت، يوم فيها نورك برسول الله أوجدت، فلهم على ما هو الناموس قبلت، وبهم تواددت فلهم فينا كثرت، وأنوارهم إلينا مددت.

هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} ^{٧٣}، {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم} ^{٧٤}، فما غيره نظرت وما بغيره رحمت، وما بغيره لمغفور غفرت، إنه فيك حضرة رحمتك، وحضرة مغفرتك، وحضرة هدايتك، وحضرة علمك، وحضرة كتبك، وأم كتابك لمن كتبت وأقرأت، وباليمين كتابه أعطيت، وفي الخافقين لكتابته أشهرت، فبه للوجود علمت وأعلمت.

به أبرزت شرف الإنسان حقا، وبه أبرزت كرمك على الإنسان خلقا، وبه أسعدت الإنسان فيك أمرا، وبه جعلت الإنسان لك ذكرا. اللهم اجعله كل كلنا، لكل كله بك، ولا كل لك إلا كلك، لا شريك لك.

اللهم به فاغفر لنا.. اللهم به فاجعل خير أعمالنا خواتيمها.. اللهم به فول أمورنا خيارنا برحمتك، ولا تول أمورنا شرارنا بعدلك وغضبتك.

اللهم به فكن لنا في الصغير والكبير من شأننا..

اللهم به كن لنا حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، قوادا ومقودين، أئمة ومتابعين، مجاهدين ومقتدين. في أي صورة ما شئت ركبته.. اللهم فاجمع صوره بنا، إلى صورة الحق لك به، بصورة الحق منك له بنا.

لا إله غيرك.. ولا معبود سواك.

أضواء على الطريق

من هدي السيد الروح المرشد سلفربرش بدائرة لندن..

(إن معركتنا ليست مع الإنسان الأمين الذي يخطئ بجهالة، ولكن مع هؤلاء الذين يعلمون بقلوبهم أن ولاءهم ليس للحق، وإنما لنظام يريدون تخليده، أو الذين يخافون مواجهة المستقبل عندما يخالفون ما وصل إليهم من الماضي، نحن لا ندين الرجال الأمناء الذين يخطئون لأنهم لا يدركون، وإنما ندين الذين يعلمون أن ما يقولونه وما يعملونه باطل، والذين يقولون لتبرير أنفسهم "إذا لم نفعل ذلك فمآلنا من كرامة ومآلنا ما نلقيه من تعاليم". وعلى كل إذا عمل الخطأ عامل منهم بدون قصد فيجب أن يصحح خطأه وعندئذ يكون التطهير متعة وخدمة سارة يعمل برغبة من النفس).

وهذا بيان عن الرسول بقوله (فقهاء أمتي في الدرك الأسفل من النار)^{٧٠}.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ من حديث شريف "الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة"، تقول معظم كتب الأحاديث إنه لم يثبت عن الرسول ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بخوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.
- ٢ سورة الجاثية - ٢٣
- ٣ سورة الفرقان - ٤٣
- ٤ سورة الكهف - ١٧
- ٥ سورة الأحزاب - ٦
- ٦ سورة الزمر - ٥٣
- ٧ حديث شريف: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ". صحيح مسلم.
- ٨ حديث شريف: "دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِي عَارِضَتِي الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا ثَلَاثَةً أَسْطُرٌ بِالذَّهَبِ - لَا بِمَاءِ الذَّهَبِ: السَّطْرُ الْأَوَّلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَالسَّطْرُ الثَّانِي: مَا قَدَّمْنَا وَجَدْنَا، وَمَا أَكَلْنَا رَجَحْنَا، وَمَا خَلَقْنَا خَسِرْنَا. وَالسَّطْرُ الثَّالثُ: أُمَّةٌ مُدْنِبَةٌ وَرَبُّ غُفُورٌ". المحدث: الألباني. المصدر: السلسلة الضعيفة، وضعيف الجامع.
- ٩ سورة هود - ٥٦
- ١٠ حديث شريف. أخرجه البخاري ومسلم بلفظ: "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم". وعبارة "فأمكم منكم" للسيد رافع.
- ١١ سورة العلق - ٦-٧
- ١٢ سورة فاطر - ١٥
- ١٣ سورة الكهف - ١

- ١٤ من الحديث الشريف: "المسلم أخو المسلم، لا يخنونه، ولا يكذب به، ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام، عرضه، وماله، ودمه، التقوى ها هنا وأشار إلى القلب بحسب أمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم". الراوي: أبو هريرة. أخرجه الترمذي باختلاف يسير، وأخرجه مسلم مختصراً.
- ١٥ عبارة صوفية عامة. ومثال عليها ما عبر عنها الشيخ محي الدين ابن عربي، بقوله: "فسبحان من أظهر الأشياء وهو عينها". ومن أشعاره في الفتوحات المكية: ممن تفر وما في الكون إلا هو *** وهل يجوز عليه «هو» أو ما هو؟ فلا تفر ولا تركن إلى طلب *** فكل شيء تراه ذلك الله
- ١٦ سورة الفجر - ٣٠، ٢٧.
- ١٧ "إِذَا لَا شَيْءَ مِنَ الدِّينُونَةِ الْآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ. لِأَنَّ نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ الْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ". رومية ٨: ١-٢
- ١٨ حديث شريف. أخرجه البخاري ومسلم بلفظ: "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم". وعبارة "فأمكم منكم" للسيد رافع.
- ١٩ من حديث شريف: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا...." أخرجه البخاري ومسلم.
- ٢٠ حديث شريف رواه الإمام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه، أخرجه أبو داود، وأحمد باختلاف يسير. وجاء بلفظ "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني-أو من أهل بيتي- يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً." أخرجه أبو داود، والترمذي مختصراً.
- ٢١ من الحديث الشريف: ".. فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ". صحيح البخاري.
- ٢٢ سورة الشورى - ١٨
- ٢٣ إشارة إلى الصلاة الربية للسيد المسيح عليه السلام: " (مت ٦: ١٠) .
- ٢٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٢٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٢٦ إشارة إلى الحديث شريف: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق". أخرجه الحاكم في المستدرك.
- ٢٧ من حديث شريف: "يا أباذر أحكم السفينة فإن البحر عميق، واستكثر الزاد فإن السفر طويل، وخفف ظهرك فإن العقبة كؤود، وأخلص العمل فإن الناقد بصير". أخرجه الديلمي في (الفردوس)
- ٢٨ سورة آل عمران - ٦٤
- ٢٩ سورة الإسراء - ٧١
- ٣٠ سورة الزخرف - ٥٧
- ٣١ سورة الحج - ٣
- ٣٢ سورة الجن - ١-٢

سورة البقرة - ٢٦	٣٣
سورة الكهف - ١٠٩	٣٤
سورة التكاوير - ٢٠-١٩	٣٥
سورة الكوثر - ٣	٣٦
سورة الإسراء - ١٠٦	٣٧
سورة المزمل - ٤	٣٨
سورة المؤمنون - ١٤	٣٩
سورة الملك - ٣	٤٠
سورة الصافات - ٩٦	٤١
سورة الزلزلة - ٨-٧	٤٢
سورة النجم - ٣٩	٤٣
استلھاما من عدة أحاديث: "إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر من أئاه بخلق منها دخل الجنة." رواه الطيلسي والبخاري والترمذي والحكيم والبيهقي والطبراني، وأبو يعلى. وأيضاً الحديث الشريف: "إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة"، ذكره الحافظ العراقي بهذا اللفظ في تخریج کتاب إحياء علوم الدين للغزالي، كما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي. وأخرجه الطبراني	٤٤
سورة هود - ٤٥	٤٥
سورة هود - ٤٦	٤٦
عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.	٤٧
عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.	٤٨
حديث شريف: مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُ. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي". صحيح ابن حبان.	٤٩
حديث شريف ذات صلة: "إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ مَكْتُوبٌ خَاتَمُ التَّبَيِّنِ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ..." أخرجه أحمد وابن حبان باختلاف يسير، وأخرجه البغوي في ((شرح السنة)) واللفظ له. والحديث الشريف "أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد." أخرجه الترمذي، وأحمد بلفظ مقارب.	٥٠
حديث شريف: "عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ". صحيح البخاري. كما جاء بلفظ "عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي السَّلَاسِلِ وَهُمْ كَارْهُونَ". أخرجه ابن الأعرابي في معجمه، وأبو نعيم في حلية الأولياء.	٥١
الجملة الأولى "العصا لمن عصى" من التراث الشعبي، ثم بيت من شعر مالك بن الریب، شاعر من العصر الأموي: الْعَبْدُ يُقْرِعُ بِالْعَصَا *** وَالْحَرُّ يَكْفِيهِ الْوَعِيدُ.	٥٢
سورة الكهف - ٢٩	٥٣
سورة المرسلات - ٢٥-٢٦	٥٤

- ٥٥ الزمر - ٧٤
- ٥٦ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للرجوع للنسخة الأصلية المراجعة من السيد رافع.
- ٥٧ حديث شريف: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض." أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود.
- ٥٨ حديث شريف: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعاني عليه فأسلم." صحيح الترمذي.
- ٥٩ حديث شريف: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكُلِّبِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ." صحيح مسلم، وصحيح النسائي باختلاف يسير.
- ٦٠ من الحديث الشريف: "ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، إلا أن الله أعاني عليه، فأسلم، فليس يأمرني إلا بخير. أخرجه مسلم وأحمد.
- ٦١ إشارة إلى الحديث الشريف: "تعرض علي أعمالكم، فما رأيت خيرا حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم." أخرجه النسائي والطبراني.
- ٦٢ من نفس الحديث في الملاحظة السابقة.
- ٦٣ استلهاما من آية الإنجيل "احملوا نيري عليكم، وتعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب." (مت ١١: ٢٩)
- ٦٤ من الحديث الشريف: "فَإِذَا ضُبِيعَتِ الْأَمَانَةُ فَاتَنْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَاتَنْتَظِرِ السَّاعَةَ." صحيح البخاري
- ٦٥ حديث شريف: "دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِي عَارِضَتِي الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا ثَلَاثَةً أَسْطُرٌ بِالذَّهَبِ - لَا بَمَاءٍ الذَّهَبِ: السَّطْرُ الْأَوَّلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَالسَّطْرُ الثَّانِي: مَا قَدَّمْنَا وَجَدْنَا، وَمَا أَكَلْنَا رَجَحْنَا، وَمَا خَلَقْنَا خَسِرْنَا. وَالسَّطْرُ الثَّالِثُ: أُمَّةٌ مُدْنِبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ." المحدث: الألباني. المصدر: السلسلة الضعيفة، وضعيف الجامع.
- ٦٦ حديث شريف: "إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه يأمره وينهاه." أخرجه الديلمي، وجاء في الجامع الصغير للسيوطي.
- ٦٧ حديث شريف. أخرجه البخاري ومسلم بلفظ: "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم." وعبارة "فأمكم منكم" للسيد رافع.
- ٦٨ من حديث شريف: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا...." أخرجه البخاري ومسلم.
- ٦٩ حديث شريف رواه ابن ماجه.
- ٧٠ حديث شريف ذات صلة: "المهدي رجل من ولدي، وجهه كالكوكب الدرّي." أخرجه الطبراني. وعبارة "يقتني أثري" للسيد رافع
- ٧١ سورة الأنبياء - ٩٢

- ٧٢ حديث شريف: "دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِي عَارِضَتِي الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا ثَلَاثَةً أَسْطُرٌ بِالذَّهَبِ - لَا بِمَاءِ الذَّهَبِ: السَّطْرُ الْأَوَّلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَالسَّطْرُ الثَّانِي: مَا قَدَّمْنَا وَجَدْنَا، وَمَا أَكَلْنَا رَجِحْنَا، وَمَا خَلَقْنَا خَسِرْنَا. وَالسَّطْرُ الثَّالِثُ: أُمَّةٌ مَذْنِبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ". المحدث: الألباني. المصدر: السلسلة الضعيفة، وضعيف الجامع.
- ٧٣ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩
- ٧٤ سورة الأنفال - ٣٣
- ٧٥ إشارة إلى حديث شريف ذات صلة: "مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرأ شفاهم بمقاريض من نار، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به". أخرجه أحمد والبخاري وأبو يعلى.

(٧)

التمييز بين الوجدانية والتوحيد الوجدانية فقه الدين.. والتوحيد سلوك الطريق لليقين بعقيدة الواحد الأحد.. وقيام الآحاد فيه في الاكتفاء الذاتي للأحد الإنساني ومتحديه بيت الذات وأعلام الصفات بمعانيه

حديث الجمعة

٢٥ صفر ١٣٨٧ هـ - ٢ يونيو ١٩٦٧ م

لا إله إلا الله، ننطقها بألسنتنا، ندركها بعقولنا، ونقومها بقلوبنا، ونشهدا في أحوالنا.
لا إله إلا الله، عليها يقوم دين الله، يدخلها أهله، حصنها الله، فيه يتقون، قضاء الله لنهاية أفعالهم، وجزاء
الله برد أعمالهم، وعدل الله بارتداد إرادتهم عليهم. وفيه يلاقون مغفرة الله، ورحمة الله. (أهل لا إله
إلا الله لا يحضرون الموقف)^١.

بها، يتواجد المؤمنون، وفي أنفسهم معها يتلاقون، قيام رسول الله لهم يشهدون، الرحمة المهداة، كافة
للناس، لكل من ارتضاه، فبه تولاه الله، وأشهده الله، قائم نفسه بالله، في قائم الله وواسع الله، فيعرف
الله لا إله إلا هو، الحي القيوم، ويعرف الله يوم يعرف معناه، وجهها لله، يلقي وجهه الله، حيثما ولى،
وكيفما اتجه.

{فضرِب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب} ^٢، {خلق الإنسان من صلصال
كالْفَخَّار} ^٣، {بورك من في النار ومن حولها} ^٤، {وإن منكم إلا واردها، كان على ربك حتما مقضيا} ^٥،
{نار الله الموقدة} ^٦، جذوة الحياة، شعلة الخلاص والنجاة، القلوب أرضها، والنفوس شجرتها وزرعها،
والصدور مشكاتها، والعقول نورها، والروح حياتها، والله لها جماعها، لا شريك له منها، ولا موجود لها

غيره، هو لها ليس غيرها، وهي له ليست غيره، {أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت}، ومن ورائها بإحاطته، وأمامها لشهادته بقيامها لقيامته، بموقيتها لساعته، وبدائها لحقيقته.

ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان.. وما ظهر بشيء مثل ظهوره بالإنسان.. وما ظهر لشيء مثل ظهوره للإنسان.. وما قارب شيئاً مقاربته للإنسان. به فعل، وبه خلق، وبه تجلى، وبه ظهر، وله أشهد، وبه شهد، قائم لا إله إلا الله، يوم يدخل حصنها، ويقوم بها، ويكون حصناً لها، يوم هو لمن بنوره دخله فدخلها.

الإنسان في الله.. الإنسان بالله.. الإنسان لله.. هو اسم الله.. هو لفظ الله.. هو حروف الله.. هو كلمة الله.. هل حرص الإنسان على أمره في الله؟ هل طلب الله في نفسه فلم يجده؟ هل خطى إليه في قلبه ولم يشهده؟ هل تحرر بعقله، فانطلق في ملكوت الله، فلم يكنه!!!

هذا دين الفطرة، جاء به رسول الله، تمام جيئة، وظهر به رسول الله، كمال ظهوره، وأعلمه رسول الله، واضح وصالح علم، ونشره رسول الله، تمام عمل فيه، وإعمال له، وانتشار به.

ولكننا بأغلبيتنا عرفنا الدين مناسكا، وعرفنا المعاملة فيه ألفاظا، وجفونا العمل به عقيدة، ولم نسعى إليه للوجود حقيقة، أو للشهود كشفا وشهادة، في دائم الموجد بمحدث الموجود، بلا إله إلا الله.

قطعنا الحياة كرات، ولم نجتمع في كرة سابق مرات، لنشهد في قائم قادم دورات، على ما كان في قديم من جماع حيوات في لا إله إلا الله.

نقطعها كرات خاسرة، واهمينها دورات رابحة، لا نعرف خسرانها، إلا يوم تنقضي الكرة فاقرة، فيتكشف لنا الغطاء، فلا نجد بنا لنا من الله عطاء، لأننا لم نعمل لجزاء، ولم نوادد بولاء، ولم نتق برجاء.

كنا الكنودين، كنا المعاندين، على ما كان الآباء، وعلى ما نعلم الأبناء، فلا ينقطع عملنا في أعمال القطيعة، والحرص على بقاء الوجيعة، {فما أصبرهم على النار}، {يا حسرة على العباد}، ما يأتيهم من رسول، ما يأتيهم من ذكر محدث، إلا كانوا به يهزأون، إلا استمعوا له وهم يلعبون، لاهية قلوبهم يوم يستمعون، وأصابعهم في آذانهم يضعون، حذر الموت، به يحيون.

ولو عرفوا أن الحياة في موت القطيعة، لطلبوا الموت، ورحبوا بالوجيعة، وقتلوا أنفسهم باختيارهم، قبل أن يموتوا باضطرارهم، عملا بما هداهم إليه من بُعث بالحق بينهم، ومات عن الباطل من مثال أنفسهم.

{إن يوم الفصل كان ميقاتا، للطاغين مآبا، لاثنين فيها أحقابا} ^{١٠}، يومئذ يبعث بالمكان المحمود، من كان لهم في وجود، ومعهم في شهود، وكانوا معه في كنود. يومئذ، يتبعون الداعي لا عوج له. يومئذ يتبعون الداعي لم يلبوه ولم يجيبوه، ولم يكسبوه، ولم يكونوه، وخشعت الأصوات للرحمن، يشهدوه رسولا يلاقوه، وإنسانا يعرفوه. (يخلق الله له صورة يتجلى بها على الخلق يوم القيامة أرجو أن أكون صاحب هذه الصورة) ^{١١}، أرجو أن أكون صاحب هذه الصورة. (إذا كانت القيامة انقطع كل نسب وحسب وسبب وصهر إلا نسيي وحسي وسبيي وصهري) ^{١٢}، (أقربكم مني منازل في القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكثافا الذين يألفون ويؤلفون) ^{١٣}.

ما في أنفسهم أكبروه، ولكن فرقوا بينه وبين ربه ما عرفوه، وما اعتقدوه، فما ربههم به في أنفسهم قدروه فذكروه، يقوم ويتقلب في الساجدين صدقوه ليشهدوه، نور الله يكسبوه، وبعثا بالحق يوهبوه، ولكنهم تركوه وجافوه، وأبترأ دعوه، وفردا وصفوه، لا أمة جددوه، ولا كوثرأ كانوا، ولا حيا في قبره وادّوه، ولا من قبور قلوبهم، نفسا يحيا الناس بها جميعا بعثوه.

إن يوم الفصل كان ميقاتا، ها أنتم في يومكم تلاقوه، إلى أرض المعاد تشدون فتشدهوه لا تعرفوه، وأنتم به في رحمة ملاقوه، (أمة مذنبه ورب غفور) ^{١٤}. ما جافاهم وإن جافوه، وأحبهم وإن قلوبهم، ورعاهم وإن أهملوه.

زويت له الأرض ما قدروه، تعرض عليه أعمالهم ولكنهم كذبوه، فإن وجد خيرا حمد الله، كسبوه، وقاموه، وبعثوه، وإن وجد شرا، استغفر لهم، وإن لم يقدره، وغفر لهم وإن لم يستغفروه، وتاب عليهم وإن لم يسترحمهم.

إنهم قومه! وأسوأ الأقوام بما قاموه، بش العشيرة كانوا لعشيرهم، الأعراب أشد كفرا ونفاقا، ولكنه ربههم، وخير رب شهدوه، وأرحم رب لاقوه. روح الرحمة، ذات الرحمن، يد الله، بحار الحياة للرحيم، قاهر الرجيم، سلاح وسند المستقيم، زاد وماء حياة المستديم، سماوات العناية، أراضى الرعاية، شامل الوجود، هو في وجوده بموجوده فيه للمؤمنين الكفاية.

غني بالله، قوي بالله، عزيز بالله، رحيم بالله، قادر بالله، مقتدر بالله، مقدر بالله، تواب بالله، غفور بالله، ما انفك عن الله في فعله، ولا في صفاته، ولا فيما قدم من آياته، لا في معناه لمبناه، ولا في ذاته بكوثر ذواته.

يسجد لله، ويسجد لله، ويعبد الله بالله، ويعرف الله بالله، ويقدم الله إلى الله بالله، بين قديم وجديد الله، بين قائم الله وقادم الله، بلا إله إلا الله، شعارا لمعناه، وشعارا لمولاه، وشعارا لروحه، وشعارا

لمبناه، وشعارا لرسالته، وشعارا لكتابه، وشعارا لإمامته، وشعارا لآله، وشعارا لحاله، وشعارا لمآله، وشعارا لنبوته، وشعارا لطريقته، وشعارا لعلبه، وشعارا لعلبه، وشعارا لحكمته، وقيامًا وبعثًا لأُمته.

ها هي أرض المعاد، تبرز في ثوب العناد، ويبرز داخلوا البيت اليوم كأنهم موازين الرشاد، قد فقدتها لها، حسب الوعد، أمة الوداد، فقدتها من جعلوها في بدايتهم، قبلة الصلاة في الجهاد، فصارت بالتي هي أحسن، ظهيرا لهم بحقهم في العباد، يوم استقبلوا قبلة الغيب للمعبود، فظاهرهم الله بكلماته في الوجود، في العيان وفي الشهود، (قوم أناجيلهم صدورهم)^{١٥}، ضرب ابن مريم مثلا لهم يقوموه، الناس بهم يشهدوه.

قوم هم كلمات الله.. قوم هم كتب الله.. قوم هم وجه الله، ووجوه الله.. قوم هم يد الله، وأيدي الله.. قوم هم قدم الله، وأقدام الله.. قوم هم مطية الله، ومطايا الله.. قوم هم عباد الله.

{إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا}،^{١٦} يقوم الحق عبدا، ويشهد في الحقيقة عبدا، يقوم حبا وخلا، ويشهده في واحدة لأحده بآحاده مشاهد لا يعرف عنادا، ولكن يقوم علما ورشادا، {إن الله كان عليما حكيما}.^{١٧}

شهد الله أنه لا إله إلا هو، شهادة منه لنفسه عند نفسه، وشهد الملائكة بوحدانيته عن أنفسهم، فشهدوا شهادته لنفسه، بشهودهم أنفسهم من نفسه. وكذلك أولو العلم، شهدوه في أنفسهم لكلهم به، شهادته لكله، في مطلق وجوده، شهادته لنفسه عن نفسه. عرفوه، وشهدوه، يوم سقطت عنهم أغيارهم بأثقالهم بوههم عزلتهم، وقد كشفت عنهم أغطيته، ووضعت عنهم أوزارهم، لمعنى صلاتهم ووصلتهم. فشهدوه لأنفسهم في أنفسهم، قائم نفسه، بلا إله إلا الله، يدخلونها، ويقومونها، ويقومونها.

ها هو الزمان يدور بالإنسان على هيئته من البدء، دورة من دوراته، في الله دهرا بصفاته. كان الإنسان فيه وفي دوام يوما وعصرا. ها هي أرض الموعد، بها يتجلى الوعد للوجود، وعمما قريب يتجلى بساعة للشهود، فما غاب الحق عن وجوده في موجوده عند متواجده، وما اختفى في شهوده، عند مشاهدته، لعين لطيفه، في قلب تشريفه، بعقل نوره، عند ذات قدسه. ولكن الناس أكثرهم لا يعلمون، ولكن الناس أكثرهم لا يؤمنون، فالناس هلكت إلا العالمون، وقليل ما هم، والعالمون هلكت إلا العاملون، وما أقلهم، والعالمون هلكت إلا المخلصون، وما أندرهم، والمخلصون على خطر عظيم وما أصبرهم.

إن أحداث الزمان في عصركم هذا، فيها حديث الله على صورة أوضح من كل زمان، وأبلغ من كل بيان، وأقرب من كل عرفان. إن الأحداث تترى ناطقة، تبين مخبرة مُنبئة مُحَقَّقة، صدق ما بين أيديكم

من نبوءات الرسول، عن نبي الله، وعما يصنع الله، وعما يحكم الله، وعما يدبر الله، وعما يبرز الله، وعما يعلم الله، وعما يهدي الله، لخير الناس واهتدائهم.

وهو الهادي في دوام، لا ينقطع عن وجوده، يقوم فيه الهادي والمهدي في دار سلام بقلوب الهياكل، فما كان الأنبياء إلا المهدي، وما كان الرسول بيننا لشهودنا إلا المهدي، وما كان ربه، لحقه وحقيقته، إلا الهادي، ما كان الرسول لمشهدتنا إلا المعطي، وما كان ربه لمظهره إلا العاطي، (الله معطي وأنا قاسم)^{١٨}. فكان شهيدا على الشهداء، وأبا لكل قاسم من الآباء، فكان بمعناه الدائم أبا القاسم لكل قسم، وأبا الطيب لخزائن الطيب، وأبا الطاهر لخزائن الطهر، وأب الناس لرب الناس، ورحمة الناس لملك الناس، وقدس الناس لإله الناس. كان الحق بين الله والناس. كان الطريق إلى الله للناس. كان الخليل للناس مخاللة ربه له. كان الحبيب للناس حب الله له، (أمة مذبذبة ورب غفور)^{١٩}.

هل عرفوه؟ لا! بل أنكروه، إلا من رحم. هل قاربوه؟ لا! بل أعطوه أقفيتهم، إلا من هدي. {من يهد الله، فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا}^{٢٠}، {ليس عليك هداهم}^{٢١}، {ولكن الله يهدي من يشاء}^{٢٢}، وإليك، ويرحم من يشاء، وبك، ويغفر لمن يشاء، بالاتحاد معك. {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم}^{٢٣}، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}^{٢٤}، نور الله وقائم ربك، لقيومه عليهم بك. أنت وربك لقائم الحق معهم، حقائق الله، وأقائم الفطرة، وثالوث الواحدية، لآحادهم، وقائم الأحدية لصفاتهم، فكان الرسول عبد الأحد لعقائدهم، وقائم وكوثر الواحد، بلا عد ولا حصر، لدائم طريقهم وسلوكهم.

عرفناك رسول الله كوثر الحق، بظلالك لحقائقك، قمت وتقوم بيننا بمثالك، نعرفك فينا دائما بمثالك، فنحيا لنا بمثلك، رحمة للعالمين كنت لنا. أنزلك الله من عليّ شأنك لقائم أنفسنا، يجري منها الشيطان مجرى الدم. ومن عليّ قيامك، ومن عليّ دارك، ومن عليّ وضعك، ومن عليّ أمرك، إلى عالمنا عالم الرجوع والصدع، رحمة بالعالمين، وتخلقا بأخلاق ربك نزلت، ودوننا رحمة بنا تواجدت، وإلى طريق ربك حملت، ثم علينا علوت، فمن عدل الله وقيت ورحمت وشفعت. هكذا أمرت، وهكذا خلقت، وهكذا تحققت وحقت، وهكذا حققت وحقا بعثت، وهكذا كنت على الخلق العظيم، والطريق القويم، والأمر المستقيم، به قمت، وبه عملت، وله دعوت.

نخاطبه ربه، كافة للناس جعلناك، ودينا لهم بدينك ارتضيناك، يوم هم لأنفسهم لك يرتضون، فيرتضونا، فهم يوم يكسبونك يكسبونا، وهم يوم يتواجدوك يتواجدونا، وهم يوم تسقط بينك وبينهم الحواجز، تسقط بيننا وبينهم الحواجز، فما أبديناك لتكون عنا حاجزا، وإن جعلناك حجاب رحمتنا، ونور حضرتنا، ووجه طلعتنا، وقائم أمرنا، وعبد مطلقنا، وعلم معرفتنا، وقدس لقاءنا.

{النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} ٢٥، {من يطع الرسول فقد أطاع الله} ٢٦، ومن غاضب الرسول فقد أغضب الله، ومن تجاهل الرسول فقد تجاهل الله، ومن جهل الله فقد نفسه، واختار عدمه، وباعد وجوده، وأغضض عن شهوده، وكفر بحق موجوده.

فلا كفر بالله، ولكن الكفر إنما هو بك لك بكفرك بمعية الله، {من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه} ٢٧، {ومن ضل فإنما يضل عليها} ٢٨، {وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} ٢٩، من ذا الذي يظلمنا، ولو شاء ربك لهدى الناس جميعا، فقد قدرهم لهداهم، وإلى أعماق أنفسهم وجههم وتولاهم، فيوم اتجهوا كشف عنهم أغطيهم، وقوم فيهم أمرهم. {قدّر فهدى} ٣٠، وما كان هديه، إلا الانتفاع بقدرته مبذولة فيما وجهت إليه، {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره} ٣١، {إنما هي أعمالكم ترد إليكم} ٣٢.

وأنتم اليوم ترثون عن آبائكم، ما تشهدون من أحوالكم، {وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله} ٣٣، (من صلح أصلحنا له من صلح من آبائه وأزواجه وذرياته) ٣٤، وما صلح من صلح إلا يوم يصلح الله، خلقه لنفسه، وخلق كل شيء من أجله، فرد أمانة ربه إلى ربه، فأعطاه الله أمانته التي خلق له، وهي كل شيء ممن ليس كمثله شيء، والذي جعل الإنسان له ظهوره في الشيء، وفي كل شيء. وها هو الروح يقوم في يومكم لرب العالمين، فهلا تساءلتم عن آبائكم وأحوالهم فعرفتم من كان في مسلكه الزمني السليم، ومن كان منهم السقيم؟

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم يا من جعلتنا بمن جعلته لا إله إلا الله، لا إله إلا الله.. اللهم أتمم لنا نورنا، ويسر لنا أمرنا، وادفع عنا بلائنا، استجلبنا على أنفسنا بأنفسنا بميراث آبائنا، بمضاعفات غفلتنا عن أبوتك لنا برسولك أولى بنا من أنفسنا.. اللهم اهدِ قلوبنا، وأنر عقولنا، وقوم فيك أمرنا.

اللهم اكشف الغمة عن الأرض وارزق أهلها السلام، وهيئهم للوئام، واجمع قلوبهم على حبك، وقوم أمورهم على أمرك، واكشف عنهم أغطيهم لكشف شرك، ليشهدوك في جهرك أنك لا إله إلا الله، وأنتك بإنسانك محمدا رسول الله، لقائم الإنسان، ولقديم الإنسان، ولقادم الإنسان، ولكل بشر ليكون إنسانا، قائم أمرك، وقيوم رحمتك.

اللهم به أشهدنا لا إله إلا الله، ولا تخرجنا فناء أنفسنا من لا إله إلا الله، واحفظنا فيها بقاء بلا إله إلا الله وعبادا لك. وقوم أمرنا فيك لا إله إلا الله، لنشهدك بها الله أكبر، والله أكبر، والله أكبر، ونقوم شعارك الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر على من طغى وتجبر، ولا إله إلا الله.

جعلت لنا عزة برسول عزتك، فاستعملناها في الهوان، وفقدنا بها لنا معنى الإنسان، وأخطأنا طريقنا إلى الإحسان، وشوهنا كتابنا في العرفان، وحرفنا مواضع القول، ومواضع الكلم، في القيام، فانحرفنا بأنفسنا، وضللنا عن أنفسنا.

فما حاربناها في ظلامها، وما قومناها بنور الرسول لها، وما قتلناها بموقوتها، وما بالرسول لدائمها بعثناها، فأحييناها، فما بك تواجدناك في وحدانيتك فتواجدناها، وأنت لنفسك بنا أوجدتها، ولنا بك أعرتها، وكم فينا بيننا لأنفسنا قومتها، فبك أظهرتها، فجحدناك يوم جحدناها، وأغفلناك يوم أغفلناها، {وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها، وتركوك قائماً، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة} ٣٥.

{قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة، أنا ومن اتبعني} ٣٦، فمن لم يكن على عين بصيرتي، فما قام بدعوتي يوم يدعو، وما مثل طريقتي يوم يقتدي، فما تحدث برسالتي حكمة، ولكن بلسان الظلام في الغواية تحدث، ولسان الضلال هدى، وبطريق الالتواء، أم ودعا. (فقهاء أمتي في الدرك الأسفل من النار) ٣٧، {إذا خالط الفقهاء الأمراء فاحذروهم فإنهم قد تذبأوا} ٣٨.

هذا أصبح حالنا، وهذا حال قديمنا بآبائنا، كان لنا مآلنا، وها نحن على ما كانوا قبل أن يعرفوا الإسلام عدنا، ولما قالوا قلنا {إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مهتدون} ٣٩، {أولو كان آبائهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون} ٤٠.

لا نردد بيننا إلا مقالة السلف الطالح، وننكر بيننا على السلف الصالح، نصفهم أهل المواجهيد.. أهل الأحلام، وتُنفه أمرهم، إنهم القوم. نعم إنهم القوم ما انحرفوا، إنهم القوم لا يشقى جليسهم، قالوا هم المجانين، نعم هم المجانين في حب الله.

مجانين ولكن على أبواب جنونهم سجد العقل، (اذكر ربك حتى يقولوا مجنون) ٤١، {ما أنت بنعمة ربك بمجنون} ٤٢.

هل أنتم العقلاء أيها البلهاء! أيها السفهاء! {كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون} ٤٣، فلا ربانيين طلبتم، ولا أرباباً لكم بينكم اتبعتم، وإليهم اتجهتم، وقبله اتخذتم، وصلاتكم إلى قبلتهم أقمت، ولا ربانيين كنتم، أو في الربوبية لكم طمعتم، بها مع الله تعاملتم، وبالرسول تواجدتم، ولكن سخفاً بذرتهم، وتافها قدمتم، ومبعداً عن الله رددتم وعلمتم.

نسأل الله أن لا يجعل لنا معهم طريق، وأن لا يجعل لنا منهم صديق، نسأل الله أن يجعل منا لنا فينا رفاقاً من المؤمنين، وأخوة من الصادقين، قلوباً حية بالله قائمين، وعقولاً متحررة برسول الله متواجدين، به منتشرين، ولرسالته عاملين.

اللهم بحقك به قَوْمُ أمرنا، وولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، واكشف عنا أغطيتنا، حكما ومحكومين، مجاهدين ومتابعين حتى يتبين لنا الحق، وحتى نرى في يومنا يوما للدين، فكل أيامك يوم للدين، وكل لمحاتك لمحات لليقين، وكل ساعاتك ساعات للحق به يقوم، وللبعث يتواجد ويدوم.

اللهم به فابعثنا، وبه فأقم لنا فينا قيامتنا، مبعوثين بالحق، مبعوثين بالرسول الحق، بقائم الحق، ودائم الحق.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

أضواء على الطريق

من هدي السيد الروح المرشد سلفيرش بإحدى دوائره الروحية، وهي دائرته بلندن نفاذا لقوله تعالى {يوم يقوم الروح} لرب العالمين^٥ { حالاً محل النبيين في رسالتهم للتعريف عنه في العالمين إلى المرسل إليهم عن قائمه بهم وفي أنفسهم، بيانا للفطرة وصبغتها بالحق وإقامة، وبيانا لقول إمام المرسلين (خلفت الله عليهم)^٦، إذ يقول السيد:

(كثيرا ما نشاهد عودة نفوس من عالمنا إلى عالمكم، متلهفة متشوقة لأن تجعل وجودها محسوساً الذين تركتهم وراءها مؤقتاً محاولة أن تلمسهم بأيديها الممدودة. وأنا لنرى الرعب مكتوبا في وجوههم عندما يعلمون بدهشة محزنة أنه لم يعد لهم من تعبير في عالمكم، وإنه لا يمكن سماعهم، ولا يمكن رؤيتهم، ولا يمكن الإحساس بهم، ولو أرادت الدنيا كلها ذلك، ولا حتى في البيوت التي يرفرف فيها الحب. وعلمنا أن نخبرهم بكل أسى أنه لا أمل من محاولة الاتصال قبل أن يصبح هؤلاء الذين يودون الاتصال بهم داخلين في دائرة التأثير الروحي).

(لقد اصطحبت كثيرين من الذين تدعونهم عمدان الكنيسة، لقد عادوا إلى أماكن عبادتهم، إلى كاتدرائياتهم وكنائسهم. لقد أنصتوا إلى الترتيل الذي يعرفون تماما الآن أنه هراء، وملأت قلوبهم الحسرة وطأطأ رؤوسهم في حزن إذ أيقنوا أنهم قد عاونوا على إقامة دعائم نظام من الخطأ والباطيل...)

(إنه التطهير.. إنه القانون، إذ لا بد أن يعكس كل واحد الخطأ الذي عمله. كل يجب أن يدفع الثمن للحياة التي عاشها. في القضاء الأبدى يجري كل الحساب بالعدل ولا يهرب أحد من نفاذ القانون).

(فعلى مثل هذا الإنسان أن يقابل كل إنسان أعطاه تعليماً خاطئاً ويصحح خطأه، وتصبح مهمته أسهل إن كان هذا قد استقام في الوقت المناسب، ويخفف عنه بقدر ما كان يعتقد من صواب عمله).

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ استلهاما من الحديث الشريف: "ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في منشورهم وكأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن .." أخرجه الحكيم الترمذي، والبيهقي، والطبراني، وأبو يعلى.
- ٢ الحديد - ١٣
- ٣ سورة الرحمن - ١٤
- ٤ سورة النمل - ٨
- ٥ سورة مريم - ٧١
- ٦ سورة الهمزة - ٦
- ٧ سورة الرعد - ٣٣
- ٨ سورة البقرة - ١٧٥
- ٩ سورة يس - ٣٠
- ١٠ سورة النبأ - ١٧ و ٢٢ و ٢٣
- ١١ من حديث شريف طويل: "إنَّ اللهَ يتجَلَّى لهمَ يومَ القيامةِ ثمَّ يأتيهم في صورةٍ غيرِ الصُّورةِ الَّتِي رَأَوْهُ فيها أَوَّلَ مرَّةٍ فيقولُ أنا ربُّكم فيقولونَ نعوذُ باللهِ منكَ هذا مَكاننا حتَّى يأتينا ربَّنَا فإذا جاء ربُّنا عرفناه. ثمَّ يأتيهم في الصُّورةِ الَّتِي رَأَوْهُ فيها في أَوَّلِ مرَّةٍ فيقولُ أنا ربُّكم فيقولونَ أنتَ ربُّنا." صحيح البخاري.
- ١٢ حديث شريف: "كلُّ نَسَبٍ وصِهْرٍ ينقطع يومَ القيامةِ إلَّا نَسَبِي وصِهْرِي." رواه الطبراني، والحاكم، والبيهقي، ورواه أحمد في مسنده، كما جاء أيضا بلفظ: "كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي." أخرجه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)).
- ١٣ حديث شريف: "إن أحبكم إليَّ أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكثافا الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليَّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة." أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان.
- ١٤ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَرَأَيْتُ في عَارِضَتِي الجَنَّةِ مَكْتُوبًا ثَلَاثَةً أُسْطُرٌ بِالذَّهَبِ - لا بماء الذهب: السَّطْرُ الأوَّلُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنَا وَجَدْنَا، وما أَكَلْنَا رَجَحْنَا، وما خَلَقْنَا خَسِرْنَا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مَدِينَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ." المحدث: الألباني. المصدر: السلسلة الضعيفة، وضعيف الجامع.
- ١٥ من حديث شريف: "صَفَيْتِي أَحْمَدُ المتوكِّلُ، ليس بفظ ولا غليظ، يجزي بالحسنة الحسنة، ولا يكافئ بالسيئة، مولده بمكة، ومهاجره طيبة، وأُمَّتُه الحمَّادون، يأتزرون على أنصافهم، ويوضَّؤون أطرافهم، أناجيلهم في صدورهم، يصفون للصلاة كما يصفون للقتال، قربانهم الذي يتقربون به إليَّ دعاؤهم، رهبان بالليل ليوث بالتهار." أخرجه الطبراني.
- ١٦ سورة مريم - ٩٣
- ١٧ سورة النساء - ١١

- ١٨ حديث شريف: "أنا أبو القاسم، الله يعطي، وأنا أقسم". أخرجه البخاري.
- ١٩ حديث شريف: "دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِي عَارِضَتِي الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا ثَلَاثَةً أُسْطَرُّ بِالذَّهَبِ - لَا بِمَاءِ الذَّهَبِ: السَّطْرُ الْأَوَّلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَالسَّطْرُ الثَّانِي: مَا قَدَّمْنَا وَجَدْنَا، وَمَا أَكَلْنَا رَجَحْنَا، وَمَا خَلَقْنَا خَسَرْنَا. وَالسَّطْرُ الثَّالِثُ: أُمَّةٌ مُدْنِبَةٌ رَبُّ غَفُورٌ". المحدث: الألباني. المصدر: السلسلة الضعيفة، وضعيف الجامع.
- ٢٠ سورة الكهف - ١٧
- ٢١ سورة البقرة - ٢٧٢
- ٢٢ سورة البقرة - ٢٧٢
- ٢٣ سورة الأنفال - ٣٣
- ٢٤ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩
- ٢٥ سورة الأحزاب - ٦
- ٢٦ سورة النساء - ٨٠
- ٢٧ سورة الإسراء - ١٥
- ٢٨ سورة الإسراء - ١٥
- ٢٩ سورة البقرة - ٥٧، سورة الأعراف - ١٦٠
- ٣٠ سورة الأعلى - ٣
- ٣١ سورة الزلزلة ٧-٨
- ٣٢ من حديث قدسي: "يا عبادي! إنما هي أعمالكم تُردُّ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمدني ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه". الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح. أيضا الحديث: "يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه". صحيح مسلم.
- ٣٣ سورة النساء - ٩
- ٣٤ استلهاما من {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ}. سورة الرعد - ٢٣. {وَرَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}. سورة غافر - ٨
- ٣٥ سورة الجمعة - ١١
- ٣٦ سورة يوسف - ١٠٨
- ٣٧ إشارة إلى حديث شريف ذات صلة: "مررت ليلة أُسري بي بأقوام تُقرضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِضٍ مِنْ نَارٍ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَقْرَأُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ". أخرجه أحمد والبخاري وأبو يعلى.

- ٣٨ يتوافق مع معناه حديث أخرجه الديلمي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يحب الأمراء إذا خالطوا العلماء، ويمقت العلماء إذا خالطوا الأمراء؛ لأن العلماء إذا خالطوا الأمراء رغبوا في الدنيا، والأمراء إذا خالطوا العلماء رغبوا في الآخرة." أيضا، أخرج الديلمي الحديث الشريف: "عن الحسن، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه، ما لم يماري قراؤها أمراءها)." سورة الزخرف - ٢٢ ٣٩
- ٤٠ سورة البقرة - ١٧٠
- ٤١ حديث شريف: "أَكْثَرُوا ذَكَرَ اللَّهِ حَتَّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ." الراوي: أبو سعيد الخدري، أخرجه أحمد، وابن حبان، والحاكم في ((المستدرک)).
- ٤٢ سورة القلم - ٢
- ٤٣ سورة آل عمران - ٧٩
- ٤٤ سورة النبأ - ٣٨
- ٤٥ سورة البقرة - ١٣١، الأنعام - ٧١، غافر - ٦٦، المطففين - ٦
- ٤٦ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

(٨)

القلوب أرض الحق المخلف لبشرية العقل المشرف، وبشرة النفس المكلف في مجتمع التمييز بين عزة الإحسان، وأوهام الإنسان

حديث الجمعة

٢٢ ربيع الأول ١٣٨٧ هـ - ٣٠ يونيو ١٩٦٧ م

إذا تحدث الله، أنصت الناس.. وإذا تحدث الناس، سمع الله.. إذا تحدث الله إلى الناس، بآياته في الآفاق، وفي أنفسهم، كان على الناس أن ينصتوا إلى حديث الله، وأن يقرأوا في كتاب الله، لشهودهم لموجودهم، بوجودهم لموجوده.

إذا تحدث الناس بأعمالهم أنصت الله لأقوالهم، ونظر في كتبهم، ينشرونها بأيديهم، عن أيمانهم وشمائلهم، إلى يوم معلوم لحياة كل إنسان، بكرة له يدور بها الزمان دورته وينعكس انعكاسته، كما بدأ الناموس أول خلق يعيده، فينبئهم من قائمهم به، بما كانوا يعملون في يقظة ذاكرتهم لضمائرهم ردا لأعمالهم إليهم، في قائمهم لهم، أفرادا وجماعات بموصول الحياة لقائم معانيهم.

فإن رجعوا برحمته إلى قيام بحقائقهم في جديد أمرهم عين قديمهم لبدئهم، أحبوا أن يعرفوا عند جديد لهم من فعلهم، فكروا ما بدأوا به من خلقهم وفعلهم، لينتروا به إلى ما صاروا إليه، لقيام نبوتهم، والتواجد بحقهم وألوهيتهم لعبوديتهم وربوبيتهم، وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق، وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لأعبين، لو شاء ربك ما فعلوه، لا تظنوا بالله ظن السوء. أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم. خلقت كل شيء من أجلك، وخلقتك من أجلي.

أما إذا تحدث الله من الناس إلى الناس، استمع الله في الناس للناس، فقامت رسالته (اللهم)، رسولا من أنفسهم، يتحدث من نفسه إلى نفسه، عند من خلقهم لنفسه، حديثا إليهم في أنفسهم، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا، فقام الناس، وجوها لله، لوجه لله، في قائم أمر الله بهم، فكانت قيامة، وكانت

ساعة، يربح فيها من ربح، ويخسر فيها من خسر، قياما ليوم فصل مشاهد، ليس بالهزل في معرفة بطن ووهم. (إن الله ينظر إلى قوم كفاتا وينظر إلى قوم من قلوب قوم آخرين)^١، {جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس}^٢، بما جعل من أمر منسكها لمن فيها ولمن حولها، أمرا يكشف لأهلها برفع أسوارها.

ساعة من ساعات الله، ليوم من أيام الله، برسالة وساعتها ويومها، لاثنين فيه أحقبا، بدعوتها وقيامها، للطاغين مآباً، بالسماء ذات الرجع، والأرض ذات الصدع، حتى يؤمن من يؤمن عن بينة، ويكفر من يكفر عن بينة، علمت نفس ما قدمت وأخرت، على مستوى الفرد للعارفين، وعلى مستوى الجمع للسالكين، وعلى مستوى الأمة للداعين. وعلى مستوى البشرية لظالمي أنفسهم.

ذلك الأمر للأرض تشرق به بنور ربها، يوم يقوم الروح لرب العالمين، يوم تكشف السماء فلا غيب، وتكشف النفوس فلا جهل، ولكنه الحق أبلغ للعقول، قائماً بالنفوس، يتبعون الداعي لا عوج له، وخشعت الأصوات للرحمن، فلا تسمع إلا همسا {كأنهم إلى نصب يوفضون}^٣.

إنكم في عصركم في هذا اليوم، بقيام الروح برسالته، تعريفا وقياماً برب العالمين، لرب العالمين، عن رب العالمين، إنكم في يوم من أيام الفصل، إنكم في قيامة ليست بالهزل، إنكم في ساعة تسمعون وتشهدون فيها وبها الحق بالفعل، لا غيب، ولكنها الشهادة {فأينما تولوا فثم وجه الله}^٤، (يا رَبِّ جوهر علم لو أبوح به لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا)^٥، {إن الله بالغ أمره}^٦، وقد بلغه على ما بلغه، من جاء رحمة للعالمين، خلفاً لله عليكم.

إن الله قادر، بإنسانه لعبده، وقد قدره فقدر على أمره، فكشف مخاصمه وعرف وعرف ملائمه، وأيقظ نائمه، وسرى بركب اليقظي، وتخلّى عن ركب المنظرين إلى حين، كشف الحق في النفوس، كشف الله في القلوب، كشف الواسع العليم في العقول، فالله لا شريك له، ولا مخاصمة فيه، ظهر أنه هو من قام بالإنسان وراء الأسباب، ظهر أنه هو من يلبس الجلباب، لظاهر وقائم الإنسان بالروح، لقائمه بالذات والبنیان.

ظهر المدثر، وقد أسقط الدثر، ظهر الإنسان وقائم الرحمن.. ظهر من عرا بربه بالمقام المحمود، بالحق المشهود، بالكتاب الموجود، بالواسع المعبود، بالطريق المنشود، بالبيت المطاف، بقبلة السجود والاعتكاف، بحقيقة الوجود، وطلعته للشهود. فتحقق العبد وبعث العابد وتنزه المعبود. وقدر المؤمن بالله ورسوله الحق، حق قدره، لواجب الوجود، بقائم الموجود. نطق الأعلى عنه جاء كم من عرا بي.

ماذا بعد الله إلا العدم؟ وماذا قبل الله إلا لا شيء؟ وهل كان الإنسان غير الله؟ وهل ظهر الله بغير الإنسان؟ ومن عرف الله غير الإنسان؟ ومن عبد نفسه لله إلا الإنسان؟ ومن عبد الله لنفسه غير الإنسان؟ هل تجاوز الإنسان أسوار الزمان والمكان ولم يتلاق مع الرحمن؟

هل قدر الإنسان معناه، كإنسان؟ ظهر بيننا رجل منا، به جاء الحق، وبخلقه زهق الباطل، وبقوله سُمع الكتاب، وبسنته استقام الحجاب، وبنوره في القلوب قام الله، وبعلمه في العقول تحرر الإنسان من سجن نفسه بالسموات والأرض، وبقدسه في النفوس انطلقت الأرواح، وبناره في الهياكل تجددت الأشباح، فتكاثر المخلوق، وتوحد الخلق في الخالق، فتعدد الحق وتجمعت الحقائق، فظهرت وعملت حضرات الله بملائكته بلا احتجاب وبلا غياب وبلا انقطاع وبلا ارتياب.

صلح الإنسان، فصلح له الأمهات والآباء، والبنات والأبناء، والأزواج والأخوات والأخلاء. به بُعث الحق، لكل من قام عليه الحق، في قائم الله لجمعه، بجماعته في جماعه، قائما على كل نفس، بما أرادت هي، بما كسبت، بما عملت، بما صنعت، بما خلقت، بما أبدعت، بما تواجدت، بما تجلت، بما انتشرت، بما على نفسها جمعت، على ما علمت من نفس عليها اجتمعت، وبها بعثت، وبعلمها علمت.

أشباح لأرواح، وأرواح لحق، وحق لحقيقة، في قائم المطلق، لا راد لأمره، ولا معطل لإرادته، لا يخرج شيء من دائرة وجوده، ولا عبد ولا عابد ولا معبود، عن إحاطة اسمه، وعن قائم موجوده لرسمه.

جعل من الإنسان أسماء له، وجمعها له في الاسم الأعظم لذاته من عديد ذواته في قائم معناه بالإنسان للإنسان للوجود اللانهائي المطلق له، أسماء ووجوها له، يجمعها علمه ظلالة له، لقائمه بمعلومه، في معلومه كتابا لوجوده، لعلم المطلق لا شريك له من فردة وجمعه، هو مسيح وجوده، ووجه موجوده، ويد قدرته، وقدم سعيه، ونور شمس، وقر رحمة، وأرض خلقه، وقائم خليقته، إنسانه وعنوانه.

عبد الله.. عابد الله.. معبود الله بمعبود نفسه.. ظاهر حقه.. مسيح أمره.. ومأمور أمره.. إنسانا عُرِف، وعبد اتصف. فهل عرفناه؟ إنه بعيدا عن النفس لا يُعرف، وعند وصفه لا يتصف، ومن قائمه لا يوصف. رحمة للعالمين أبرز، وطريقا لهم بينهم لاقتدائهم عُرِف. سلك فلك، وملك فسلك. بالحق أنزل وبالحق ينزل، وبالحق ينزل، وبالحقيقة يصعد. وإلى المطلق ينطلق. أظهره على الدين كله من كان الأعلى لعينه، قيوم قائمه لنفسه.

فهل استمع الناس إليه؟! هل استمعوا إليه منبرا؟ هل استمعوا إليه في ضمائرهم، خبيرا ومخبرا وخبرا؟ هل عرفوه الوحي، إليهم يُوحى؟ هل عرفوه الروح عليهم يُلقى؟ هل أدركوه الأمر، بهم يقوم؟ هل قدروه السر، في قائمهم لهم يعرف؟ هل استقاموه الجهر، قدوة للناس، تقوم وتنتشر؟

هل قام به القيمة على الناس، قائم الله، قائم الحق، قائم جمعه، قائم أمته، قائم مفرداته، قائم أسمائه وصفاته، جماع قيامهم، باطن أعلامهم، يظاهروهم، وينصرهم، ويثبت أقدامهم؟ كانت به الأرض لهم لزرعهم وعملهم وحصادهم، وكانت الآخرة به دنيا لهم، لعلمهم وجنان معرفتهم، وكانت الحضرة به مأواهم لحقهم، في حضرة الأعلى لأمرهم، في الله ذي المعارج لطريقهم.

كان به في القلوب لقاءهم، بالقائم على أنفسهم، يذكرون ربهم في أنفسهم، لا غريبا عليهم، ولا بعيدا عنهم، ولا مقيما لحيلولة بينه وبينهم، ما أسقطوا جلبابهم عنهم لوصف أناهم، ليتكشف أمرهم لهم، وترفع الغشاوة عن أعينهم، فينظرون إلى ما في أنفسهم، متجهين إلى قلوبهم، ليشهدوا قلب القلوب، ظاهرا لا محجوبا، منتصرا لا مغلوبا، ميسرا لهم ما كان منهم مطلوبا، راغبا لهم ما كان منهم مرغوبا.

يُكسب، ويرتضى، وينادى، ويلبي، ويتواجد، وفي هياكل النفوس ينتشر نورا هو نور الله، نور هو نور السماوات والأرض، سماوات العقول، وأرض القلوب، وكواكب الجوارح، لهماكل الوجود، لقائم السماوات والأرض بالإنسان في الشهود، تشهد، وتنظر، وترى وتسمع، وتلمس وتدرک، في قائم النفوس، يوم تكشف عنها الأغشية، وتسقط عن الأرواح الأبنية. ينادى لا من وراء الحجرات، ولا بعيدا عن طريق وبيوت الكلمات.

يتواجد الله عند موحدته ويفنى الوجود للعيان وللشهود، على ما هو قائم. أمر يشهده فيه كل مسلم. يا أيها الناس أدخلوا في السلم كافة، لم الكنود؟ لم العناد؟ أليس خيرا منه الوداد؟ هل اجتمعوه، فلم يحببكم؟ هل أحبكم ولم يشهدكم فعرفتم ثمار محبته، عرفتم أنوار مودته، عرفتم دنوه ومداناته، ناجيتهم فسمعكم، وناجاكم فسمعتم؟

سبحان الله، هل سجدتم له ولم يسجد الكون لكم؟ هل طلبتم له في أنفسكم، وبالناس لم يطلبكم؟ طلبكم ولم تطلبوه، وأوجدكم ولم تعبدوه. أحبكم وكرهتموه، وتواضع لكم فامتطيتموه، ومطية لكم أبرزتموه وقدرتموه، وسعيا به إلى الدنيا أرهقتموه.

ما قدرتموه وما تخلصتموه، وأراد أن يخللكم فما تركتموه، كلما طرق الباب أغلقتموه، وكلما داناكم باعدتموه، فلا في أنفسكم ذكرتموه، ولا فيها طلبتموه، وبعيدا عنه ادعيتموه، زعتم لكم الإيمان يوم كفرتموه، وقلتم بالإسلام يوم خاصتموه، وادعيتم التسليم وأنتم محاربوه.

أما يكفي لظهور جهلكم أنكم جعلتم من الله لفظاً ذكرتموه، وبوصفكم وصفتموه، مسمى باسم بلفظ كحاكم قدرتموه، وهو لا اسم له فالتسمية من صفاتكم؟ وزعتم أنكم بذكر اسمه وهو لا اسم له آمنتم وله عرفتم، فما كان هذا الاسم إلا للإنسان لكم. إنه اسم لمسماكم يوم تعبدون أنفسكم لمعناكم، إنه مسماكم واسمكم يوم تقومون في الوجود به، إنه لكم، أما هو {هل تعلم له سمياً}.^٧

ولكنكم ترفضون هذا الاسم لكم، ولأعلامكم، بدلالة به على أقدم ورفيق أعلى فيه، وتكزون على أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم لجلودكم، ما أنزل الله بها من سلطان، وما أبرز الله لها عليها بكون من عنوان، وما نطق منها بضم له بعرفان، وما قامت بها يده له بإحسان.

ولكنها نفوسكم بظلامها في لمتها وسداها، قامت بالبهتان واعتزت بالكفران، وغفلت عن التواجد به وعن الوجدان. كان الرسول بينكم وما زال، إنسانا وابن إنسان، وإنسانا وأب إنسان، في الوجود وفي العيان.

ولكنكم أبترأ ذكرتموه، وهو ليس بأبتر كما يزعم شائوه، وقدرتموه فرداً منفرداً، وتزعمون أنكم بذلك أكبرتموه، وما كان إلا كوثراً أنكرتموه، فما لأنفسكم بعقيدة كسبتموه، ولا بمجاهدة لأنفسكم إليه صرتموه، وهو رحمة مهداة رفضتموه. ترددون الشهادة له منافقين، فما شهدتموه به مبعوثين. تقولون بألسنتكم أشهد أن محمداً رسول الله، وما في أنفسكم شهدتموه، هل حقيقة شهدتم أن محمداً رسول الله؟ أم أنكم ببغاوات رددتم شهادة محمد رسول الله، أشهد أن نابليون امبراطور فرنسا، أشهد أن نلسن قائد إنجلترا البحري، وأن ولنجتون قائدها البري، هل هكذا يشهد محمد رسول الله؟

جثة أو جيفة في قبر حصرتموه، ولو أدركتم لعرفتم أنكم له المقابر، وأنه في قبور قلوبكم روح الحياة لكم، ولكنكم ما بعثتموه، وهو نور الله الساري بالحياة، في حياة القلوب، وفي وعي العقول، وفي استقامة الذوات، وفي تطور الهياكل، يعرف في وحدة المعاني، في تجمع المباني. ولكن ما بشيء من هذا عرفتموه، ومن عرفه بذلك وحاول نشره في الناس بذلك، جافيتهم، وخاصمتهم وحاربتموه.

المؤمن للمؤمن كالبنيان! المؤمنون كأعضاء الجسد الواحد! أين هو هذا البنيان بينكم؟ لبيت يذكر فيه اسم الله! يجمع لأمة تؤمن بالله! وتعرفه لها قيوم قائمها، ليست غيره! وإن لم تجمع النفس لنفسها كله، عرفته كل كلها، وليست كل كله.

وعرفت بإيمانها بالله وإيجاره أن الرسول لها، كل كلها، وليست هي كل كله، فهو الحق من الله. كان الله كل كله، ولم يكن بموصوف عبده كل كله، ولكن كان وجه الله، وكان علم الله، وكان بيت الله،

وكان سماء الله، وكان أرض الله، وكان ساحة الله، وكان حضرة الله، كان الحق من الله لطالبي الحق بالله، في قائمتهم لقاء الله، ليسوا غير الله، بلا إله إلا الله، وليسوا كل الله بالله أكبر.

جاءه الوحي، أوحينا إليك روحا من أمرنا، كما جاء للنحل، وأوحى ربك إلى النحل أن أسلكي سبل ربك زللا، هل كان الوحي ميزة لرسول الله.. يا أغبياء! إذا كان الوحي يصل إلى النحل وإلى النمل، فهل كان شرف رسول الله أن جاءه الوحي؟ {ونفس وما سواها، فأنهضها فجورها وتقواها}، {شياطين الجن والإنس يوحى بعضهم لبعض}، {إذا رضي الله على امرئ جعل له من نفسه وحيا واعظا، يأمره وينهاه} ١٠. ما كان الوحي إلا وليده، ومن عمله.. ألم يكن الروح الأمين، أو الوحي بين أبنائه في حديث العباءة؟ (هؤلاء أهل العباءة فاطمة وعلي، والحسن والحسين.. وجبريل) ١١.

إن رسول الله لكم، إن أكبرتم الوحي، هو لكم الوحي، هل استوحيتموه، فلم يوحى إليكم؟ {فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم} ١٢، لا بجديث ولكن بوحى {أن سبحوا بكرة وعشيا} ١٣.

ها هو الوحي يدانيكم ويعمل في أوانيكم، قترونه مرضا، وتقدرونه عرضا، وتطلبون منه شفاء، ولا تقدرونه رجاء، ولا تنظرونه اختبارا وابتلاء، ولا تدركون أنه لا يأخذ هذه الصورة إلا لقاء بالعداء فيكم، ولو قام الرضاء بكم لسعدتم به، اجتمع عليكم دون مشقة، لو أدركتم لاستزدتم منه، برضا ومحبة، {يلقي الروح من أمره} ١٤، كما، يرسل {الشياطين على الكافرين فتؤزهم أزا} ١٥، كما يجعل للصالحين منكم نورا يمشون به في الناس، وللطالحين ظلاما يوحون به إلى الناس.

الرسول يقول لكم أنا روح القدس، فإذا كان بروح القدس عندهم، أكبرتموه وقدرتموه، فقدروه روح القدس إليكم لتكبروه، وانشدوه لضماؤكم لتستيقظ، ولعقولكم لتدرك، ولقلوبكم لتحيأ. أفي قبر أنتم ذاكره؟! أما كان الأجر أنكم في قلوبكم منقبرة، تبعثوه، يوم تحبوه وتطلبوه، وتعشقوه!

(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ونفسه التي بين جنبيه) ١٦، {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما} ١٧، (أجعل لك كل صلاتي يا رسول الله؟ - إذا تكفى همك، ويغفر لك ذنبك [يا عمر]) ١٨.

يا أيها الناس، ألا تصدقون الله؟ ألا تثقون بالله وهو يقول لكم {النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم} ١٩؟ فأى دين هذا الذي يكون بعيدا عنه؟ وأي وحي سليم هذا الذي يستقبل من غيره، ولا يعرف من مصدره؟

إنه الوحي يوحى، إنه الروح يلقي.. إنه الأمر يقوم.. إنه الحق يبعث.. إنه اسم الله يكسبه المؤمنون.. إنه وجه الله يظهره العارفون.. إنه نصب الله يقومه الداعون.. إنه بيت الله، يطوفه المفتقرون، ويدخله الناجون، ويتجدده الصادقون.

إنه الغرفة تجزى، والغرف لبيوت تتجمع.. إنه البيت يرفع والبيوت حضرات تتلاقى.. إنه الحجرة والحجرات.. إنه الأمر والأمور.. إنه الآية والآيات.. إنه الكلمة والكلمات.. إنه القرآن والأناجيل.. إنه الكتب والتراتيل.. إنه الغناء والتنزيل.. إنه العلم والبيان والعلة والتعليل.. إنه العجب.. إنه البحار.. إنه الأسرار.. إنه الوجود.. إنه بربه وبحقه، وبأمره، وبرحمته، مشهود الله لكل مشاهد، وموجود الله لكل متواجد.

فكيف قدرنا الله؟ وكيف قدرنا رسول الله؟ وكيف قدرنا كتاب الله؟ وكيف قدرنا الدين؟ كيف قدرنا الطريق؟ كيف قدرنا الإسلام؟ كيف قدرنا الإيمان؟ عبث من حديث، هو كتاب البيان! وسخف من تصريح هو استقامة العنوان! وتخطيط من تخريف، هو طريق الإيمان! أين نحن من هذا الدين؟ ها أنتم ترون.. ها أنتم تُسجدون.. ها أنتم تُسجدون.. ها أنتم تكشف عنكم أغظيتكم ساجدين ومسجدين، فإذاكم الشياطين، وإذاكم المبلسين، هل عرفتم ما في أنفسكم، وطلبتم تغييره إلى ما تقولون بالسنتكم، مما ليس له وجود في قلوبكم، ولم يحقق الله لكم، على ما حقق لأناس من بينكم، أنتم لهم محاصمون وعليهم تنكرون؟

(إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم) ٢٠، هل صدقتم؟! أم زعمتم أنه غيركم، وتزعمونكم الرحامين؟ تزعمونكم المسلمين المؤمنين، تختالون وتداهنون بعضكم البعض، بموصوف العارفين الواصلين، تجادلون في الله بغير علم وبغير دين، وتبغون الشياطين ماردين طاغين، لأنفسهم ظالمين، أنتم بهم مؤمنين، ولهم متابعين بوهمكم إلى الله سالكين! إلى الجنة سارين!! إلى الحضرة أنتم لها موالين، وفيها بطغاتكم قائمين!!

أنتم في هذا لسبق به، متابعين، لا فيما انتهى إليه سبقكم به متعظين، وفيه متأملين، وعن حالكم راجعين، مثلكم الأعلى هتلر وموسيلين، أبو سفيان وبنيه والمتابعين، أبناء يعرب معترين، وما أنتم برسول العرب عاربين، ولكنكم للجهالة مجددين، وبالجاهلية متواجدين، جهلاء قائمين، باسم العلم واسم العارفين. هذا ما صار وآل إليه أمر المسلمين، لمن يوقظكم قالين، وله مباعدين، وعن داره مبتعدين، ولقوله وحكمته مظاهرين، جريا وسعيا لأحواض الضالين المضلين، لكتب المفسدين مرددين متبنين ميينين.. دين وأي دين! مسلمين وأي مسلمين! لو أنكم عرفتموكم كافرين، لكان في هذا استقامة في الدين،

ولكـرهم الكفر، ولطلبتم الإيمان واليقين، عنه باحثين، وإليه مفتقرين، ساعين بافتقاركم مجتهدين، لأنفسكم مجاهدين، إذن لهداكم الله السبيل، على ما وعد المجتهدين المجاهدين.

ولكنكم بغير الله تستنصرون، ومع ظلام أنفسكم تبقون، فلا عقولكم تعملون، ولا قلوبكم تتابعون، ولو سألتهم ضمائرهم، لأجابتكم بالخبر اليقين، ولو حررتهم عقولكم لاتجهت إلى ما يوجه إليه الدين، ولكن لا الحق في أنفسكم تنشدون، ولا الحق بنصب ينصب بينكم تستقبلون، وأنتم على ما أنتم فيما أنتم، حول خيال أنفسكم تسيرون، وعليه تصرّون، (إذا أراد الله نفاذ أمر سلب من ذوي العقول عقولهم) ^{٢١}، فإلى متى يبقى الناس لا يعقلون، وضمائرهم لا يستفتون؟

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم يا من وهبت لنا العقول، أنرها.. اللهم يا من وهبت لنا الضمائر، أيقظها.. اللهم يا من وهبت لنا القلوب، أحيها.. اللهم يا من وهبت لنا الجوارح، قومها.. اللهم يا من وهبت لنا الهياكل، كثرها وطورها وجددها، وجمعها ووحدها.

اللهم يا من وهبت لنا العقول، أنرها.. اللهم يا من وهبت لنا الرسول، به فأحينا، وفيه فابعثنا، وإليك به فوجهنا، وسفن النجاة له أركبنا، وطريق السلامة أسلكنا، وماء الحياة به أوردنا، ووجه الحق له أشهدنا، وبحقيقته للناس تواجدنا، وبكلمته جامعة كنا وكلمنا، وبروحه واسعة روحنا، ومن شرور أنفسنا برحمتك به أرحنا.

اللهم إنا إليه انتسبنا، وما استقمنا، وأنفسنا ظلمنا، ولكن وقد جعلته رحمة للعالمين، اللهم به فارحمنا، وبه فتولنا، وبه فادفع عنا، شرور أنفسنا، وشرور الأشرار من خلقك، وبرحمتك به فعاملنا، وبمغفرتك معه فاغفر لنا.

اللهم به فاجعلنا منك.. اللهم بك فاجعلنا منه.. اللهم بنا كن لنا، واجعله لنا، لعين معنا، لقائم معناك بنا، لا إله غيرك ولا معبود سواك.

اللهم به فول أمورنا خيارنا، ولا تول أمورنا شرارنا، برد أعمالنا إلينا، واهدنا سواء السبيل، حكما ومحكومين، وافضحنا لنا عندنا، حتى تبين لنا سوءاتنا، فنتلمس إليك طريقنا، ونسلك إليك سبيلنا.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

من هدي السيد الروح المرشد سلفربرش بدائرة لندن:

(يساعد الاتصال بعالمكم خلال وسيط على تطور الروح دائماً، إذ أن هذا يعاونه على إدراك أن الروابط الأرضية لا تربطه كما كان يظن عندما جاء في أول الأمر إلى عالمنا، فإن الكثيرين في عالمي يمكن مساعدتهم، بأن تحضروا إليهم الأجسام الروحية لمن هم في عالمكم ممن تتحد أو تتوافق اهتزازاتهم أو تتواصل بينهم حياتهم. وإن هذا ما تجدونه في الإنجيل وفي الكتب السماوية الأخرى، ألم يقل لكم الإنجيل كيف نزل الناصري إلى ما سموها جهنم.. وهو ما يقدم لكم في هذا الاتصال بين العالمين على هدي نفس القانون).

وضرب فيه مثلاً بما حمل لأحد الجالسين مكرراً عبارات روح رغبت في الاعتذار عن متاعب سببتها له أثناء حياتها على الأرض، وعلق المرشد موجهاً الحديث إلى من حملت إليه:

(أنا أعلم أن هذه الرسالة لا تهملك. ولكن هذا الروح يتقدم باعتذاره، وذلك منه إليك يساعده الآن، فهم عندما يتقدمون برغباتهم، فهذا علامة على أنهم قد اكتشفوا أنفسهم الحقيقية. وهذا هو السبب في أنني نقلت الرسالة. إني أعلم أنها شيء ماضي قد نسي من جانبك ولكنها مسجلة ولا يمكن محوها قبل أن يتم النمو ويحدث التعرف).

فسألنا السيد: هل قدرتم شعور الذين يعودون إليكم من عالمنا، من الذين لا يستطيعون رفع تأثيرهم إليكم؟ فأجاب متسائلاً:

(وهل قدرتم أنتم أن الكثيرين ممن ينتقلون من عالمكم إلى عالمنا، عندما تتغير بؤرتهم، ويرون الحياة من زاويتها الجديدة لأول مرة، يعودون إليكم بشغف، ليدفعوا موجة فرحهم إلى الأناس الذين يحبونهم؟) ثم استطرد:

(ولكن دنياكم ممتة بالنسبة إليهم، إنها لا تستطيع أن تسمع أو أن تبصر، فالكثيرون من البلهاء يتصور أن حواسهم الخمس هي المجموع الكلي لكل الحقيقة لهم، وأنه لا يوجد شيء ما خارج هذه الحواس الغامضة الضئيلة لمكنتهم بما فيهم من الروح).

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.
- ٢ سورة المائدة - ٩٧
- ٣ سورة المعارج - ٤٣
- ٤ سورة البقرة - ١١٥

- ٥ من أبيات شعر الإمام زين العابدين (عليه السلام): العلم والحكمة في الكتاب والسنة - محمد الريشهري. المكتبة الشيعية: "يا رب جوهر علم لو أبوح به * لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا ولا يستحل رجال مسلمون دمي * يرون أقبح ما يأتونه حسنا إني لأكتم من علمي جواهره * كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتننا وقد تقدم في هذا أبو حسن * إلى الحسين ووصى قبله حسنا."
- ٦ سورة الطلاق - ٣
- ٧ سورة مريم - ٦٥
- ٨ سورة الشمس - ٧-٨
- ٩ سورة الأنعام - ١١٢
- ١٠ حديث شريف: "إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه يأمره وينهاه." أخرجه الديلمي، وجاء في الجامع الصغير للسيوطي.
- ١١ حديث شريف معروف بـ "أهل العباءة"، "أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَلَ عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَلَى وَفَاطِمَةَ كَسَاءً ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً ... سنن الترمذي. وفي صحيح مسلم باختلافات يسيرة. كما أخرجه الحاكم، والبيهقي وغيرهم بألفاظ متقاربة. وتشير كلمة "جبريل" إلى أن نزول آية {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} جاءت قبل هذا الحدث.
- ١٢ سورة مريم - ١١
- ١٣ سورة مريم - ١١
- ١٤ سورة غافر - ١٥
- ١٥ سورة مريم - ٨٣
- ١٦ حديث شريف في الصحيحين. وكان عمر رضي الله عنه يمشي مع النبي يوما فقال له: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الْآنَ، وَاللَّهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْآنَ يَا عُمَرُ" صحيح البخاري.
- ١٧ سورة النساء - ٦٥
- ١٨ إشارة إلى حديث شريف عن الصحابي أبي ابن كعب: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةِ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ قَالَ: "مَا شِئْتُ" قُلْتُ: الرَّبْعُ؟ قَالَ: "مَا شِئْتُ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ" قُلْتُ: فَالْثُلُثُ؟ قَالَ: "مَا شِئْتُ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ" قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: إِذَا تَكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفِرُ لَكَ ذَنْبَكَ". رواه الترمذي وأحمد
- ١٩ سورة الأحزاب - ٦
- ٢٠ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم." أخرجه مسلم والبخاري. وكذلك: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم." أخرجه أحمد بلفظه، والترمذي والدارمي. باختلاف يسير.

إشارة إلى الحديث الشريف: "إذا أراد الله إنفاذ قضائِهِ وقدرِهِ، سَلَبَ ذَوِي العُقُولِ عُقُولَهُمْ، حتّى يَنْقُذَ فِيهِمْ قضاؤُهُ وقدرُهُ، فإذا مَضَى أمرُهُ رَدَّ إِلَيْهِمْ عُقُولَهُمْ، ووقعتِ النَّدامَةُ." أخرجه الديلمي، كما في (الجامع الصغير) للسيوطي.

(٩)

البيت الموضوع يتجدد ولا يتعدد في دورات قرنية وألفية وعصور آدمية بأيام الله بالإنسان

حديث الجمعة

٧ ربيع الآخر ١٣٨٧ هـ - ١٤ يوليو ١٩٦٧ م

بسم كريمي، أقرب إليّ من جبل الوريد.. أعوذ بالله من شر رجيمي يجري مني مجرى الدم.

بسم حقي لحقيقتي، أستعين لسجيني بخلقني من موقوتي بنفسي لتحرير روحي لدائم وجودي، دخولا في حصن شهودي، لا إله إلا الله، لأبعث بحقي، في قائم خلقي، بحمد رسول الله.

{هل أدلك على شجرة الخلد، ومُلك لا يبلى}¹، {هذا صراط عليّ مستقيم}²، {كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء}³، {فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}⁴. {تناكوا تناسلوا مباه بكم الأمم يوم القيامة}⁵، {الإسلام دين الفطرة}⁶، {كل مولود يولد على الفطرة}⁷، {من صلح أصلحنا له من صلح من آبائه وأزواجه وذرياته}⁸، {كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار}⁹.

{ولدت من نكاح صحيح، من ظهر آدم إلى بطن آمنة}¹⁰، {لحمي مني وإن نتنت والعرق مني وإن مال}¹¹، {أولادي أولادي إن عملوا خيرا فلاأنفسهم وإن عملوا شرا فالضمان عليّ}¹²، {ما أعطيته فلاأمتي}¹³، {كافة للناس قدوة وأسوة، رحمة مهداة بعثت، {ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا}¹⁴، {ذرية [طيبة] بعضها من بعض}¹⁵.

{إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا}¹⁶، {الرجل الآدم اصطفاه الأعلى لنفسه، {سواك رجلا}¹⁷. فمن ولد من أعلى كان كماله في مولده الثاني من أسفل. ومن ولد من أسفل فكمال في مولده الثاني من أعلى، فالحق لا اتجاه يحده أو يميزه. إنما الاتجاه فيه للإنسان، اتجاهها إلى حوله أو اتجاهها إلى فيه.

{إن لك في النهار سبحا طويلا} ١٨، {إن كل من في السماوات والأرض إلا آت الرحمن عبدا} ١٩، {أليس الله بكاف عبده} ٢٠.

{ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون} ٢١، ولو شئنا لاصطفينا من الملائكة رسلا، على الأرض يدبون، ولو أرسلنا ملائكة للبسنا عليهم ما تلبسون، وجعلناهم رجالا من أنفسكم، بينكم يتواجدون. {لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا} ٢٢، {ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون} ٢٣، {يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده} ٢٤.

بشرية.. سبحانه الله، هل كنت إلا بشرا! {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا..} ٢٥، إلا من كان بشرا، {قل إنما أنا بشر..} ٢٦، {قل إنما أنا بشر مثلكم، يوحى إليّ} ٢٧، كما يوحى إليكم، نفوسا أهمها فجورها وتقواها، نفوسا وما سواها، سواها بقبل لها، فكانته، وسواها لبعدها، فكانها، تميزت بقائم الحق على كل نفس جزئية أو كلية في حضرتها لقيامها بالحق عليها.

ما كانت البشرية إلا عالما للإنسانية الحقيقية، له ما قبله، إنسانا وبشرا، وله ما بعده، إنسانا وبشرا، فإبراز محمد إنسانا بشرا، يدب على الأرض، به أصبحت البشرية الأرضية بناموس التوحيد لقائم الوجدانية لله، قياما واحدا للبشرية والإنسانية حقا وحقيقة، ووجودا كوثرا متجددا، وقياما أحدا خالدا، متأزلا، متأبدا، متعاليا متدانيا. به استقام القيام والفهم والإيمان بالله، في النفس وفي الكون وفي الوجود.

به زويت الأرض، لحقها، مبعوثا بقائمها لربها وإنسانها، قائما لقيوم الرفيق الأعلى له، لروحها، لما نح الحياة لها، قائم الحياة لحقها، معروفا به، قائم طريقها لكاملها، عاملا معه، بأزلي إنسانيتها، لأبدي جلدتها ببشريتها، لرشيد إنسانيتها لجمعها لقيومها على قائمها، به تعلم الإنسان كسب الحق لنفسه بأناه، وكيف يخرج من توقيته بنفسه، إلى أبده فأزله بوجدانية تكاثره لكوثره بمعناه، فيمن لا مثيل، ولا شريك له.

به تعلم الإنسان كيف يعبد نفسه بقائم لقيوم الآزال له، حتى يربّ بحقه آباءه وأبناءه من المادة،

{شجرة الخلد وملك لا يبلى} ٢٨، شجرة إنسانية عديدة، بملا أعلى، لشجرة إنسانية رشيدة، يظهرهما، علما عليهما عندهما، ظاهر الباطن إنسان الحق ورسوله لحق جامع لهما به، في أحدية لله لدائمه، بقيومه وقائمه في مطلق الوجود.

به تقوم آحاد الله، كما سبق أن قامت بإنسان الله، رفيقا أعلى، عباد لله، ظاهر وجه الله، لباطن مطلق الله باسم الله.. بقدس الله.. بهيكل بيت الله.. ببيت اسم الله.. بروح قدس الله.. بذات وجه الله.. فبذلك أصبح الإنسان ربانيا، إلهيا، قدسيا، فارق باطله خلقياء، ووقتياء، إلى دائمه حقا سرمديا أزليا

أبدىا. قيوم قائمه على نفسه وما فيه، بكوثره لتدانيه، لتواجد معارجه لتعالیه، منه وإليه فيه، مركزا لدائرة وجوده وتواجده لا اتجاه له في المكان ولا في الزمان.

فالدين قبل محمد، والدين بعد محمد، دينان يتلاقيان في محمد وفي دين محمد، وفي رسالة محمد، وفي البعث بمحمد، ليخرجا من اثنيثيتهما إلى وحدانيتهما به، في اللانهائي المطلق، فيمن لا شريك له، حتى يتميز الإنسان بحقه مقيدا وطييقا، في مطلق الرحمن ذاتا وأعلاما وصفاتا ولطيفا، حتى يستقيم الوعي عن الله، والاعتقاد بالله والقيام في الله، فيعرف ويقوم الإنسان بقائه، وهو ليس غير الله، اسما ووجها له، ويكبر وينزه الله، فهو ليس الله، ولا يحيط بالله، ولا يقوم الله، وإن كان قائما به، فاعلا به، محيطا به بما يحيط به عنه، محاطا منه فيه، لقائم مطلقه في لانهايته.

لقد كانت نهاية المعرفة قبل محمد، في ديانات ما قبله، أن يصل الكائن البشري من الإنس في مرتقاه، إلى مستويات تعلو، أعلى فأعلى، حتى يتخلص من بشريته، تخلصا كاملا، فيصير إلى ملائكيته، نورانيا كاملا، وملكا طائعا، عابدا خالصا، لسيد يعلمه، ولحق يكلمه، موصوف الرب والأب له، هو له عبده وولده وظله، لا إرادة له، ولا مشيئة له، إلا ما أراد ربه، إلا ما شاء ربه، هو مظهر مشيئته وقائم إرادته، ملكا في حضرته.

إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته، ولا يخرجون عن إرادته، ولا يخفون عن مشيئته. هذا كان هو المستوى الذي يصل إليه كائن البشر في مرتقاه، إلى حق يراه، ويبت يدخله، ووجه يشهده، لموصوف ربه، لموصوف الحق، ولمعلوم الله، وبهذا قام محمد مع الأعلى له.

ولا بأس في ذلك، وكل الخير فيه، فلكل جعلنا شريعة ومنهاجا، لو أن أهل التوراة والإنجيل أقاموا التوراة والإنجيل لأنزلنا عليهم بركات من السماء والأرض. ولو أن الإنجيل قامه أهل الإنجيل، لنارت بنور الله مشكاة صدورهم، لكانوا عابدا مكرمين، ولظلمتهم يد رحمة الله في العالمين، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

ولكن وقد جاء محمد، شجرة الجنس.. شجرة الأرض بالبشرية.. شجرة السماء بالإنسانية.. شجرة الحياة بالحقائق الربانية.. شجرة الوجود بالعوالم الكونية.. شجرة الإنسان بالحضرات الإلهية، فقام على نفسه في ملكه بشجرتها لا تتلى، تعرض عليه أعمالكم، عمل نفسه، إعمالا للناموس {كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا}، فإن وجد خيرا حمد الله، وإن وجد شرا استغفر لكم استغفاراً لنفسه عند نفسه، مغفورا له ما تقدم وما تأخر من ذنبه، مزوية له الأرض يقوم عليها، قائم ربه لحقها في داره، لموصوف عبد الله مستخلفا، متخلقا بأخلاق الأعلى مستخلفا، أظهره ربه ومعلمه على الدين كله، فما ظهر خليفته على ما

أظهره عليه من الدين كله، بالروح تلقى عليه، وبروحه تلقى منه تدانيا نزلة وأخرى، وبالنور يسري فيه ويسري به منه إليه قبضة وأخرى تعاليا.

فأدرك الحكمة كلها، وقام بإرادة الأعلى، لم يفارق وصف البشر والإنسان له، مريدا إرادة مطلقة، قائما محل مشيئته، بمشيئة مطلقة، {فامنن أو أمسك بغير حساب} ٣٠، {وإنك لعلی خلق عظیم} ٣١.

داناه الحق فحاه عنه فكانه، وصعد به فحاه عنه إليه، نزلة أخرى بعثها إلى مقام له أعلى لكونه، وجعله قدوة كافة للناس، بالذي كانه، والذي يكونه، فكانت به إرادة الله في إرادة الناس.

به عرف الناس أن الذي نادوه، أبانا الذي في السماوات، ووصلوه ربا لهم، بقيامهم ملائكة له، ما كان إلا إنسانا. كما عرف الآخرون، الذين قالوا بموجود وجودهم الكلي لموصوف الآلهة، إنهم ما كانوا إلا إنسانية رشيدة، لم تستوفي كمال رشادها بعد، وأنها في طريقها في أطوارها لعليتها على المطلق، بجديد تواجد تتعارف إليه برسالة بما فاتها، لكسبه مع من كسبه عبدا ورسولا لله، بشعار (الله أكبر).

خوطف، صدقت.. من مخاطب أناه.. صدقت كلها نسبت فعلك إلينا وأنكرت أنك قد فعلت.. نعم ما فعلت إلا ما فعلنا فلا فرق بيننا، {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى} ٣٢، {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء} ٣٣، وبك وما هي إلا مشيئتك، إن يد الله يدك، وعين الله لعينك، وأذن الله لأذنك، قد سمع الله يوم سمعت، ورأى الله يوم رأيت.

الله لا يرى إلا إياك، ولا ينظر في الناس إلا إلى معاك، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} ٣٤، بالنور الذي أنزل معك، وجعل لك، تمشي به في الناس، فيهدي به الله من يريد الله به الهداية، في قائم إرادتك لإرادته، {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا} ٣٥.

إن الأيام مداولة بينك وبين الناس لقائم النفس والعقل لإنسانك لهم يومهم، أنت في خدمتهم لخيرك ولك يومك، أنت في سيادتهم لخيرهم. النظرة الأولى منك لتعلم وتتعلم وتعلم، والنظرة الآخرة عليك لتعرف وتعلم وتُكرم.

فقال الرسول مبينا للفطرة وناموسها (إذا كانت القيامة انقطع كل نسب وحسب وسبب وصهر إلا نسبي وحسي وسبيي وصهري) ٣٦، (أقربكم مني منازل في القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنفا الذين يألفون ويؤلفون) ٣٧، (نحن آل بيت اختار الله لنا الآخرة على الأولى) ٣٨، وقال لولده وتلميذه ومريده، قال للأذن الصاغية، والعين الناضرة الراعية، والنفس المفتقرة العالية، (يا عليّ النظرة الأولى لك،

والنظرة الثانية عليك^{٣٩}، يا عليّ لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك خير لك من الدنيا وما فيها^{٤٠}، وقال لأُمته من الناس (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)^{٤١}، (من كنت مولاه فعليّ مولاه)^{٤٢}، من كنت خادمه فعليّ يخدمه، والسيادة لله.

فما تكون القيامة في دين الإسلام؟ ما تكون القيامة في دين الفطرة؟ ما تكون القيامة كما يقدمها هذا الكتاب، وهذا الحق الرسول؟ فما تكون القيامة للفرد من الناس، والرسول يقول لكل منكم قيامته، ومن مات فقد قامت قيامته؟ وما تكون لعموم الناس وجماعاتهم وبيوتهم؟ وما تكون القيامة لدعاتهم وأئمتهم؟ وما تكون القيامة لأنبيائهم ورسولهم؟ وما تكون القيامة لعباد الرحمن بينهم؟ وما تكون القيامة لمعلوم رسول الله إليهم؟

إن القيامة بالرحمة هي امتداد أنوار رسول الله، بقائم حقه وحقيقته، إلى قلوب المؤمنين، حتى يكون {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}^{٤٣}، حتى يكون المؤمنون ظلالاً لرسول الله، ولا وجود لهم مع قائم حقه لقيامتهم، بالدخول في حصن لا إله إلا الله، أهلها لا يحضرون الموقف. وهي غير القيامة بالفصل بين المنكرين على قائم الحق به لهم ولخيرهم، منظرين فيه لمواصلة رحمته بهم، بعودتهم إلى قيام بجلودهم في كرة بها يشهدون ما خسروا من الحق لهم به.

أما يكفي الناس أن يكونوا في رسول الله ظلاً له، ووجهاً له، وجوارح له، وهيكله له، وبيتاً له، وحقاً له، يستمتعون في ربه، وفي الأعلى، بما هو قائم به، وبما هو قائم له، عباداً لله في اقتدائه، كافة للناس، حتى يعرفوا عن الله، حتى يعرفوا بقائهم في رسول الله قائم رسول الله في ربه، على ما هم قائمين فيه، وقائم ربه في ربه على ما هو فيه، فيقدر الله في لانهايته حق قدره، ويكسب الله في مداناته بحقه لعينه، حقائق وعبادات؟ {أليس الله بكاف عبده}^{٤٤}، ألا يكفي الإنسان أن يكون عبداً لله، واسماً لله، ووجهاً لله، وحقاً لله، وبيتاً يذكر فيه اسم الله؟

إن رسول الله في ربه، ظل له.. جوارح له.. بيت له.. ذكر له.. اسم له.. هيكل له.. علم له، يقوم في ربه بكل صفات ربه، بمدانة ربه، بعليّ قدره.

يستمتع في ربه، بكل قيام ربه، عالماً أن ربه في ربه، على ما هو في ربه، في الله ذي المعارج، إلى ذات الله مدركاً له، محيطاً به، مدركاً أن من قام فيه مؤمناً به هو ظله وظل قائمه بالحق، وقائم اسمه لاسم الأعلى له.

هو بذلك قائم دائم سدره منتهى لقائم بيته وقائم هيكله، لموصوف العبد لله. تنزه الله بقائه، لقيوم ربه، لقيامه كلما قام، يوم عرّف بما عرف أن من دخله وقام فيه، إنما هو فيه، على ما هو فيمن دخله، وهو، وكان هو به فيه.

فبذلك أدرك رسول الله الدين كله، والحكمة كلها، والعلم كله، وعرف شرف نفسه، وشرف قائمه، أمرا وسطا، بين قيوم وقائم قيامته، فقدم لنا علمه وحكمته في كلمات، أعطي جوامع الكلم، لحقه، وللفظه، (قبل آدم مائة ألف آدم)^{٥٠}، قبل الإنسان ما لا حصر له من الإنسان. ذات الإنسان ذات حقيقة تقوم علما على أقدس في الحق، بذات إنسانية، ويطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات المطلق، في الله ذي المعارج. وهكذا به يكون الأمر على ما كان، بعد آدم مائة ألف آدم ومئات الألوف من الأوادم. إن طرفا آدم بالحق آدمان له هو الأمر الوسط لهما.

بذلك قدم رسول الله العلم والمعرفة، مبسطة لناس، وهداهم باب الطريق يوم هداهم إلى أنفسهم أن ينعكسوا فيها، وأن يبدأوا منها، وأن يغيروا ما بها، وأن لا يأمنوا لها، وأن يؤمنوا بالحياة فيها، وبما يسمونه الله لها، أقرب إليها من حبل الوريد، ومعها أينما كانت، مع معلم علم عن الله، بعلم عنه، تستيقظ معه ضمائرهم، وتحرر معه عقولهم، وتشتعل معه نفوسهم، ويتطور معه وجودهم بعملهم.

صبر علينا وصابرنا، وملكتنا نفسه فما ملكنا، ولم يكشف لنا ملكيته لنا، وملكتنا علينا، مشجعا لنا، مغذيا للآمال فينا، آخذا بنواصينا إلى حق أنفسنا فينا، واختفى عنا بنا في قلوب مبائنا، وعقول معانينا، بقائم نور الله لنا، وسر الحياة فينا، فإذا كان منا؟ وماذا كان منه؟

خلط أهل الكتاب بين أهل الكتاب من قومه، وأهل رسول الله منهم، وما كان أهل الكتاب لرسول الله، لمعاني قومه وأمته بدعا من أهل الكتاب، بقوا كازين على مثالهم في الحجاب. ولم يخرجوا من مشهودهم إلى الغياب، ليكونوا العباد لمن لا اسم له، لمن لا رسم له، لمن لا مكان له، لمن لا زمان له، لمن لا أول له، لمن لا آخر له، مع من كان له الأول له، والآخر له، والمكان له، والزمان له، ليكونوه يوم يقبلهم ليكونهم.

من كان الإنسان؟ الإنسان لله، إنسان الله، عبد الله.. حق الله.. وجه الله.. اسم الله.. هل كان إلا من عرفناه رسول الله، وعبد الله، والحق من الله، والحق لله، في علم ذاته بآدمه، وعلم معناه لروحه بأمينه لسبق ولحاق، لمحمد الله وجهها ويذا وقدمها ذاتا وروحا لله؟

دخل أهل الكتاب من قومه مع أهل الكتاب من أقوام قبله لعينه، بظلاله بقدومه لقائه، ودائم قادمه، في جدل عقيم عنه وعن ربه، وقول غير مستقيم عن أنفسهم، ولو واصلوا معهم أمرهم لعرفوهم المجددون من خلاله، في قائم بعده، ليدخلوا في قومه وعهده.

ولكن الناس لم يأبهوا له في أمرهم، لفهمهم في واقعهم، وفي أنفسهم، وفي مجتمعهم لمجتمعهم، وفي أسرته لأسرهم.. {ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور} ^{٤٦}، (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) ^{٤٧}، (الناس سواسية كأسنان المشط) ^{٤٨}.

لقد كان رسول الله رجلا منهم، جعل ناموس الله فيه حقا لهم، ونصبا لطوافهم، وبيتا لقبلتهم واعتكافهم، ومركزا لعرفانهم، ومنى لأمانيتهم، لمحيجهم ملبين، ودائرة وجود لحياتهم كاسبين، وبابا لسلامهم داخلين، ومدينة لأمنهم آوين، وكتابا لعلهم قالين، وحجابا لرحمتهم متسرلين، وحوضا لربهم واردين، ونهرا لشرابهم راوين، وبحرا لسبحهم مكرمين، ووجودا لتجوالهم مدللين.

بدأه من فرد لشهودهم، أبرزه فردا في بيت وجوده لوجودهم، وجعل من بيت وجوده، مثالا لسبقه وسبقه، قيام مجتمعه، ثم جعل من ذاته، ومن قيامه في شهادته، سمَّ خياط، للامتناهي للإنسان من قبله، ليتواجد من خلاله لمعاني عينه لبعده، بيتا، وبيوتا، وبيوتا وجمعا، وجماعة وأمما.

فهو سم الخياط، الذي يشهد في قائمه، قبله، في قائم بعده. إنه الإنسان الذي ظهر به الرحمن، وصفه عبدا للعيان، وربا للقلوب بالإحسان، وإلها جامعا، للوجوه بالعرفان، إنسانا وابن إنسان وأب إنسان، قدوة يقومه كل طالب ليكون إنسانا، خروجا من خلقيته إلى حقيقته، ومن توقيته إلى أبديته، إنسان الأمومة والأبوة بالحق والحقيقة، وإنسان البنوة للبنوة، في قائم الذات وفي قيام الروح لرب العالمين.

بذلك رضيه الله، ورضيه المؤمنون، ورضيه الناموس، أن يكون كافة للناس يتواجدونه، يوم هم يتذاكرونه ويتواصونه، فيبحثون عنه بينهم فيلاقونه، فيقتدون به ويتجددونه، ظلالة الله يعرفونهم، يوم يكونون حقا له، بظلال لهم يجتمعونه.

حق ظلالة حقائق، وخلق أخلاقه طرائق، وحكمة إشاراتها تنزيل، واستماعها ترتيب، وقيامها كتاب، وكسبها حجاب، وباطنها حق، وظاهرها خلق.

فإذا يطلب الناس بعد رسول الله؟ يطلبون مسيحا، وكلهم المسيح فيه.. يطلبون مليحا، وكلهم المليح به.. يحذرون قبيحا، وكلهم القبيح في البعد عنه، والكنود له.

به أشرقت الأرض بنور ربها.. به انشقت الأمة عن سيدها.. به وضع الكتاب.. به جيء بالنبين والشهداء والصديقين على الأرض، مرة أخرى ومرات.. به توفيت الكلمات.. به أشرقت الآيات.. به تضاءلت أمام الحكمة المعجزات.

به أكبر الناس العلم.. به دخل المخاصم في السلم.. به قام السلام في القلب.. به وجد الإسلام للعقل.. به قامت الحياة للنفس.. به تم لطالب كل شيء كل شيء.. {أليس الله بكاف عبده} ^{٩٤} (خلفت الله عليكم) ^{٩٥}، {قائم على كل نفس بما كسبت} ^{٩٦}.

به عرف العبد أنه اسم الله، وأنه وجه الله، وأنه قائم الله، يوم كان لرسول الله قيامه، ويوم استقبل من رسول الله سلامه، يوم فتح عقله لرسول الله، واستقبل منه كلامه، فأصبح قرآنه وسنته وقيامه، بشهادة محمد رسول الله، لشهادة لا إله إلا الله لقاءه.

بذلك كان دين الإسلام دين الفطرة، رضيته الفطرة، ورضيه الله، ورضيه الإنسان، ورضيه الناس، ما كانوا ناسا.

علم به الناس أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، فطوروا أنفسهم في الله، وتأملوا في خلق السماوات والأرض، تأملا في خلق أنفسهم.

اتقوا الله، وعلمهم الله، فعلموا خلق أنفسهم في خلق السماوات والأرض، وعلموا خلق السماوات والأرض في خلق أنفسهم، فحمدوا الله، وقالوا ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه، مشيرين إلى أنفسهم وأطوارها بالسماوات والأرض.

فعرفوا أنهم في جنة الحياة بموقوتها، أوادم نخلق الله لكوثرهم، وأن أمامهم جنة الحياة بدائمها، لإنسانهم بإنسان الله، لاقتدائهم برسول الله، لا يدخلونها إلا يوم يجتازون نار الاختبار، ويستوفون منهمجهم في جهنم الادكار. {إن منكم إلا واردها. كان على ربك حتما مقضيا} ^{٩٧}. فجأروا قنا عذاب النار. برزت لقيامهم في شهودهم لتجربتهم في مقيد أمرهم بناموس تواجدهم فيمن أوجدتهم لنفسه.

عرفوا أن الجنة دار، وأن النار دار، وأن الله لا يطلب، ولا يلاقى في دار، ولا تحجزه دار، وأن الدور إنما هي للإنسان، يوم يؤمن بالرحمن، وينتظر منه الإحسان، فيقومها ويملكها، فيعلم أن الكون بالسماوات والأرض إنما هو للدنيا وأهلها دار من طابقين، وهي دار واحدة، من مثلها من دور، خلقت كلها لإنسان حق واحد، وأن الذي خلقها لعبده وحقه، يخلق مثلها، لكل إنسان يخلقها به من عمله، أمر يقوم لكل من يؤمن بالله، ويقدر الله حق قدره، وأن الوجود المطلق لله لا يملكه معه مالك، ولا يشاركه فيه مشارك، فيه يسبح كل وجود بالإنسان، يؤمن بالأعلى ويعرف المطلق.

فيطلب الإنسان الرشيد التحرر، التحرر من سجن ذاته، ومن سجن صفاته، ومن سجن قدراته، ومن سجن إدراكاته، ليكون في الإنسان الطليق طليقا، ويكون في الإنسان الحر حرا، ويكون في إنسان الحق حقا، ويكون في الإنسان الإلهي إلهيا، ويكون في الرب القدسي ربا، ويكون في العبد المبارك عبدا، ويكون في الوجود المطلق وجودا.

هذا ما جاءكم به دين الفطرة، وأمركم أن لا تجادلوا أهل الكتاب ممن سبقوكم إلى الكتب، ولا أهل الكتاب من قومكم تخلفوا عن عترة الرسول لدائم رسالته، ممن عبدوا القرآن، ممن سجدوا للحروف، ممن ألَّهوا الورق، ممن طربوا للفظ وجرسه والتنغيم، ممن شدهتهم الموسيقى والبلاغة والتلحين، فحجبهم أهواؤهم عن الحقيقة، وأخفت عن ناظرهم السبيل والطريقة، فلم يعرفوا العدو من الصديق بينهم وفيهم، ولا الرائد من الرفيق من أنفسهم ومعهم، لم يعرفوا الحق في معيتهم، نسوا الله فأنساهم أنفسهم.

يعلمون الكتاب ويدرسونه، لا ربانين، ولكن مجندين لشیطان من الشياطين، شیطان أنفسهم، شیطان بطونهم، شیطان فروجهم، شیطان ظلامهم، شیطان موهوم السلطان عليهم، وخدعة السلطان لهم. فلا إلى سلطان الله يلجأون، ولا به يستعينون، ولا فيه يقومون، أو به يؤمنون. فكيف هم عنه يعرفون وهم به لا يعترفون؟ وكيف هم به يقومون وهم به لا يؤمنون وله لا يسلمون؟ (فقهاء أمتي في الدرك الأسفل من النار)^{٥٣}، (إذا خالط الفقهاء الأمراء فاحذروهم فإنهم قد تذأبوا)^{٥٤}، الزموا الجماعة، الزموا الإمام، الزموا المؤمن، الزموا ضمائكم، الزموا قلوبكم، الزموا حقائقكم، اعكفوا على معيتكم من الحق، واحذروا معيتكم من الباطل، اعملوا عقولكم، ايقظوا ضمائكم، (الحلال بين الحرام بين)^{٥٥}، (عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به)^{٥٦}، (الدين المعاملة)^{٥٧}، الدين ليس صلاة لا جوهر لها، أو صيام لا معنى ولا ثمرة له، أو حج لا ألفة فيه، أو صدقة هي رياء الناس، أو زكاة لا تقوم على تقوى الله، أو أمر بالمعروف هو الطاغوت بعينه.

الدين في الضمائر.. الدين في القلوب.. الدين في الصدور.. الدين في الناس، وبين الناس، وقائم الناس. ليس الدين في المقابر، ليس الدين من فيض المحابر، ليس الدين في الورق، إنما الدين لمن صدق. {عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}^{٥٨}، (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول)^{٥٩}، (ولأن يهدي الله بك رجلا أحدا خير لك من الدنيا وما فيها)^{٦٠}. {وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا}^{٦١}، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها^{٦٢}، {وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله}^{٦٣}.

استمع لكل إنسان، اجعل سمعك أكثر من نطقك، لا تهرف بما لا تعرف، لا تنطق إلا وأنت واثق مما تقول، ما خرج من القلب وصل إلى القلب، لا تكن كالبيغاء، محاكيا لفقيره، أو محاكيا لصديق، أو محاكيا

لمعلم، بل العلم يجب أن يصدر منك، والمعرفة يجب أن تفيض عنك، إن كنت حقيقة مصاحبا لمعلم، وبصحبته استفدت فأفدت.

إن الريادة تنبع من قلبك، يوم تكون مصاحبا لرائد. إن المعرفة تظهر من فيضك يوم تكون مصاحبا لعارف. إن الحكمة تصبح من فطرتك يوم تكون مؤمنا بحكيم. إن السيادة تقوم على نفسك يوم تكون في متابعة لسيد.

الإنسان فيه كل كفايته، ممن خلق فيه كفايته، يوم يعمل لبروز فضائله، تخلقا بأخلاق الأعلى لموصوف ربه، بمعرفه في خلقه لوصف عبده ورسوله، قائما بأدنى لمعنى المؤمن، في صحبته لخلقه بموصوفه لموصوفهم، لقيوم نفسه لقائمه، بمعرفه بموصوف رسول الله، لموصوف كلمة الله، ولموصوف ظل الله وحقه، لمشهود وجهه، لقيامه.

كل هذا جاءنا به رسول الله، وكل هذا قام به بيننا محمد الله، وما زال به بيننا قائم. فما كان أبترا، ولكن كان به بيننا من أنفسنا لنا كوثرنا. قام به على الأرض، وجاء به إلى الأرض، من سبق قيام به في السماوات. قام به على الأرض، جديد قديم، ويذهب به إلى السماوات، معلوم قادم لقائم...

يوم يستخلف بيننا لعينه، ويتجدد بيننا أمر الله به، بجديد أمره، متجددا بصفاته، وزوايا قيامه، من يوم أن شهدناه على ما كان فيما جهلناه، وعليه أنكرناه، دورة آدم، ودورة نشأة للحياة في الحياة.

فسوف يتجدد بعين ذاته، وعين بداياته، لجديد بدء في قيامه لقيامكم على أرضكم، قائم داره، سواء في عصركم أو في يوم آت لأيامكم. وإنا لنراه يوشك أن يسفر بجديد أمره، لكشف سره، وبيان جهره، بقيام الروح لرب العالمين، على ما قامت له، وعلى ما أقامته، وعلى ما قامت به، وعلى ما قام بها، في سابق، وقادم بقائم، في دائم، في دورة الزمان، وأطوار الإنسان.

ها هي الروح تقوم لرب العالمين.. ها هو الأمر المنتظر، يبدو للنظر، ويخرج من معاني الخبر، قائما بيننا اليوم بأثر وأثر وأثر، حتى ينتشر، ويعم كافة للناس فيظهر، يظهر للناس في أنفسهم تطورا لها، وتجديدا لرسالة الفطرة، وتطورا وتجديدا لرسالة الإنسان، وتطورا وتجديدا للإيمان بالله، وتطورا وتجديدا لأعلام الحق، وتطورا وتجديدا لأنوار الكتاب، وتطورا وتجديدا لأبواب المعرفة، وصقلا وإضاءة لأرض الطريق، وسفورا لمعية الله بالحق الصديق.

ها أنتم في يومكم هذا، يدور بكم الزمان على ما دار بالبشرية، يوم أظهر الله فيها إنسانا، وجعل له بينها مكانا، وأبرز له في الناس من أنفسهم عنوانا، رجلا وبيتا وجمعا وأمة وكتبا وقياما. به استدار الزمان على هيئته كيوم خلق الله السماوات والأرض.

هلا قدرنا الله على ما يليق بالله.. هلا عرفناه الخير وهو في دوام الخير.. هلا قدرنا وعرفنا الضر، فعرفناه عن أنفسنا ومن أنفسنا دوما يصدر.. هلا تبرأنا منا إلى الله، وأسقطنا أوزارنا، حتى لا نحتجب فينا عن رسول الله.. هلا انعكسنا إلى أنفسنا ومعانينا، حتى نشهد أنه لا إله إلا الله، وأنا محمد رسول الله، فتؤمن بالله على ما يليق من الإيمان بالله، فنراه لنا وفينا ومن حولنا، لا شريك له منا، ولا من غيرنا.

اللهم يا من عرفناك ربا لا تدين، ولا تؤاخذ، وتمهل وتغفر، وترحم، وتعفو وتقبل. تقبل المسيء يوم يقلع، وتقبل الكافر يوم يؤمن، وتقبل الشارد يوم يرجع، وتقبل الفاسق يوم يستقيم، وتوسع برحمتك لكل مسيء، وتغفر بحكمتك لكل مذنّب، وتقبل بسعتك لكل منحرف، فما خرج منك عنك خارج.

غنيا عن العالمين عرفناك، أظهرت إنسانك في صورة المفتقر، وهو الغني بك عن العالمين، تيسيرا لنا ورحمة بعقولنا، وإشفاقا على نفوسنا.

عمل برحمتك باخعا نفسه على آثارنا، حتى نرجع، مظلا بيد رحمتك لنا حتى لا نهلك، مقلا بيد ربوبيتك لموجودنا، حتى يتصاعد بنا، ويعلو بهممننا، بقائم عزتك به لعزتنا.

يتحدث إلينا وحيأ ملهما، ويتحدث إلينا رفيقا متكهما، ويتحدث إلينا ربا معلما، ويتحدث إلينا حاكما مسالما، ويسوقنا إليك في أنفسنا بظالم، ويختبرنا بفقير متعالم، ويكشف لنا عن سلامه في صديق مسالم.

هو دائم التعامل معنا، لقائم المعاملة معك، يراك فينا، ويكشف لنا عن مشهده، مشجعا مسترضيا مرضيا، دافعا. وها نحن على ما نحن، وقد جعلتنا معه وهو منا ونحن منه، على ما حذرتنا منه معك، نسوا الله فأنساهم أنفسهم، وابتعدت بنا بغفلتنا عنه لموصوفنا معك، عن موصوفنا معه، ولم تئسنا منه رحمة منك، {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله}، تجديدا للرجاء فيك جددته بيننا، وجددتنا به، وجددته بنا، فكأ أمة من الأنبياء، يوم نكون أمة، وأمة من الأولياء، يوم نتبع ولايته، وأمة من الحكماء، يوم نعمل حكمته. جعلت فيه كفاية البشرية، وكفاية الإنسانية.

أظهرته بك وظهرته به، وظهرت به، فكنت به الظاهر بنا، قائمنا وقيومنا، بلا إله إلا الله لنا، وبالله أكبر طريقا لديننا، وبمحمد رسول الله لشهادتنا وقيامنا.

اللهم به فتولنا، واكشف به الغمة عن الأرض بنا، واكشف به الغمة عنا في معراجنا، واكشف الغمة عن بلدنا، وعن بلاد المسلمين لجمعنا، وعن بلاد الأرض جميعا أخوة لنا، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم به فول أمورنا خيارنا، ولا تول أمورنا شرارنا بعملنا، واجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك.

اللهم به فأصلح أمرنا، حكما ومحكومين، روادا ومرودين، عبادا ورايين، وأربابا صالحين، في معبودنا بك يا رب العالمين.

لا إله غيرك ولا معبود سواك.

أضواء على الطريق

من هدي السيد الروح المرشد سلفربرش بدائرته بلندن..

(لا تضيع أي لحظة تجلسونها هنا هباءً ما دامت قلوبكم مترنمة مع الروح الأعظم، إنكم لتعاونون على بناء قنطرة كبيرة مستخدمين كل ما تجمعون من قوة عندما تجتمعون على حب ووثام. وسوف يأتي من عالمي من فوق تلك القنطرة كثيرون، يكونون قادرين على الإتيان بضوء جديد وبقوة جديدة وأمل جديد إلى عالمكم المادي. هلا تتذكرون ذلك؟ إنه عندما نلهو ونضحك فراء ذلك كله يوجد هدف عظيم. ذلك الهدف هو أن قوانين الروح سوف تستطيع أداء عمل أفضل في عالم المادة خلال كل منكم.

ويواجه الروحيون أحيانا رأيا ينم عن الغباء من أن جلسات الاتصال أو التحضير تؤخر تقدم الروح في الجانب الآخر. ويظهر هنا أن المعارضين لم يدركوا أن الروح الذي لا يريد الكلام في الحجرة لا يوجد عليه أي قوة في هذا العالم أو في العالم الآخر يضطره للكلام. فالاتصال والقدرة عليه يساعد الروح كثيرا على التقدم في عالمها سواء كانت هي في عالمكم أو في عالمنا).

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة طه - ١٢٠
- ٢ سورة الحجر - ٤١
- ٣ سورة إبراهيم - ٢٤
- ٤ سورة الرعد - ١٧
- ٥ حديث شريف: " تناكحوا تناسلوا أباهي بكم الأمم يوم القيامة." المحدث: الزرقاني. المصدر: مختصر المقاصد. خلاصة حكم المحدث: صحيح.
- ٦ إشارة إلى الآية الكريمة {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}، والحديث الشريف: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ، أَوْ يَنْصَرَانِهِ، أَوْ يَمَجْسَانِهِ. صحيح ابن حبان. كما أخرجه البخاري ومسلم مطولا.
- ٧ الحديث الشريف: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ، أَوْ يَنْصَرَانِهِ، أَوْ يَمَجْسَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَيْمَةِ تُنْتَجِ الْبَيْمَةُ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ." كما جاء في صحيح البخاري،

- ٨ استلهاما من {جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ} سورة الرعد - ٢٣. {وَرَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} سورة غافر - ٨
- ٩ سورة إبراهيم - ٢٦
- ١٠ من الحديث الشريف الذي رواه الطبراني في الأوسط، وابن عدي وغيرهما، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء."
- ١١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٤ سورة الإسراء - ٣٢
- ١٥ سورة آل عمران - ٣٤
- ١٦ سورة المزمل - ٦
- ١٧ سورة الكهف - ٣٧
- ١٨ سورة المزمل - ٧
- ١٩ سورة مريم - ٩٣
- ٢٠ سورة الزمر - ٣٦
- ٢١ سورة الزخرف - ٦٠
- ٢٢ سورة الإسراء - ٩٥
- ٢٣ سورة الأنعام - ٩
- ٢٤ سورة غافر - ١٦
- ٢٥ سورة النحل - ٤٣
- ٢٦ سورة فصلت - ٦، سورة الكهف - ١١٠
- ٢٧ سورة فصلت - ٦، سورة الكهف - ١١٠
- ٢٨ سورة طه - ١٢٠
- ٢٩ سورة الإسراء - ١٤
- ٣٠ سورة ص - ٣٩
- ٣١ سورة القلم - ٤
- ٣٢ سورة الأنفال - ١٧
- ٣٣ سورة القصص - ٥٦
- ٣٤ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩

- ٣٥ سورة الكهف - ٢٨
- ٣٦ حديث شريف: "كُلُّ نَسَبٍ وَصِهْرٍ يَنْقُطُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا نَسَبِي وَصِهْرِي". رواه الطبراني، والحاكم، والبيهقي، ورواه أحمد في مسنده، كما جاء أيضا بلفظ: "كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي". أخرجه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)).
- ٣٧ حديث شريف: "إِنْ أَحْبَبْتُمْ إِلَيَّ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا مَوْطُوءُونَ أَكْثَفَا الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَإِنْ أَبْغَضْتُمْ إِلَيَّ الْمَشَاوُونَ بِالنِّيمَةِ، الْمَفْرُقُونَ بَيْنَ الْأَحْبَةِ". أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان.
- ٣٨ من الحديث الشريف: "إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَإِنْ أَهْلُ بَيْتِي سَيَلِقُونَ بَعْدِي بَلَاءٌ وَتَشْرِيدًا وَتَطْرِيدًا..". بحار الأنوار. المكتبة الشيعية
- ٣٩ من حديث شريف: "يا علي. إِنْ لَكَ كَنْزٌ مِنَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّكَ ذُو قَرْنِيهَا، فَلَا تَتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّمَا لَكَ الْأَوَّلَى، وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ". جاء في حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل. كما جاء بصيغ مختلفة في المكتبة الشيعية.
- ٤٠ من حديث شريف يخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام علي بن أبي طالب: "فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النعم". أخرجه البخاري ومسلم.
- ٤١ حديث شريف. أخرجه الترمذي في صحيحه، والدارمي
- ٤٢ حديث شريف، يوم غدير خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلى الله عليه وسلم، بيد علي رضي الله عنه، فقال أَلَسْتُ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بَلَى قَالَ أَلَسْتُ أَوَّلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالُوا بَلَى قَالَ فَهَذَا وَلِيُّ مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ اللَّهُمَّ عَادِ مِنْ عَادَاهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ٤٣ سورة الأحزاب - ٦
- ٤٤ سورة الزمر - ٣٦
- ٤٥ إشارة إلى حديث شريف ذات صلة ذكره ابن العربي الحاتمي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ مِائَةَ أَلْفِ آدَمَ". وجاء في بحار الأنوار، من المكتبة الشيعية، عن السيد محمد الباقر: "بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم".
- ٤٦ سورة الملك - ٣
- ٤٧ من الحديث الشريف: "أَلَا كَلِمَتُكُمْ رَاعٍ وَكَلِمَتُكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكَلِمَتُكُمْ رَاعٍ وَكَلِمَتُكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ". أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ٤٨ حديث شريف عزاه صاحب كشف الخفاء إلى الديلمي، ولم يذكر سنده. وجاء بلفظ: "الناس كأَسنان المشط، وإنما يتفاضلون بالعافية." رواه ابن عدي في الضعفاء.
- ٤٩ سورة الزمر - ٣٦
- ٥٠ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٥١ سورة الرعد - ٣٣

- ٥٢ سورة مريم - ٧١
- ٥٣ إشارة إلى حديث شريف ذات صلة: "مررت ليلة أُسري بي بأقوام تُقرضُ شفاهُم بِمَقَارِيضٍ من نار، قُلْتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خُطباءُ أمتِكَ الذين يقولون ما لا يفعلون ويقرؤون كتابَ الله ولا يعملون به." أخرجه أحمد والبخاري وأبو يعلى.
- ٥٤ استلهاما من حديث أخرجه الديلمي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يحب الأمراء إذا خالطوا العلماء، ويمقت العلماء إذا خالطوا الأمراء؛ لأن العلماء إذا خالطوا الأمراء رغبوا في الدنيا، والأمراء إذا خالطوا العلماء رغبوا في الآخرة." أيضا، أخرج الديلمي الحديث الشريف: "عن الحسن، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه، ما لم يماري قراؤها أمراءها."
- ٥٥ حديث شريف: "إنَّ الحلالَ بينَ وإنَّ الحرامَ بينَ وبينهما أمورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناسِ فمن اتقى الشُّبُهَاتِ استبرأ لدينه وعرضه..." أخرجه البخاري ومسلم
- ٥٦ حكمة دارجة، توافق مقولة الإمام علي كرم الله وجهه: "قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: "اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا يَبْنِيكَ وَيَبْنِي غَيْرَكَ، فَأَحْبِبْ لَهُ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَارْكُزْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْكَ، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ لَا تَظْلَمَ."
- ٥٧ مقولة للإمام علي بن أبي طالب: (الصلاة عادة، والصوم جلادة، ومعاملة الناس هي العبادة).
- ٥٨ سورة المائدة - ١٠٥
- ٥٩ حديث شريف ذات صلة: "خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى. وابدأ بمن تعول." صحيح البخاري وصحيح النسائي. أيضا من الحديث الشريف: "ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيءٍ فلاهلك، فإن فضل من أهلك شيءٍ، فلذي قرابتك فإن فضل من ذي قرابتك شيءٍ فهكذا وهكذا، وهكذا." أخرجه مسلم والنسائي.
- ٦٠ استلهاما من حديث شريف يخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام علي بن أبي طالب: "فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم" أخرجه البخاري ومسلم.
- ٦١ سورة الأحزاب - ٦٧
- ٦٢ سورة النساء - ٩٧
- ٦٣ سورة مريم - ٤٨
- ٦٤ سورة الزمر - ٥٣

(١٠)

إنسان الكون في الأطوار وإنسان المكون في الأسفار وإنسان الحق في الأقدار وإنسان القدس في الإشهار

حديث الجمعة

١٤ ربيع الآخر ١٣٨٧ هـ - ٢١ يوليو ١٩٦٧ م

لإنسان الروح، وحقيقة الإنسان، وعزة الحكمة.

في الواسع المنفرد، بالإرادة والقدرة.

الظاهر للوجود بالوجود بالعلم والكلمة.

إن القائم على كل نفس بما كسبت، ومن جعل لها ما كسبت، وعليها ما اكتسبت، فكانت بعملها رهينة، جعل من جماع الناس وحدة يحكمها قانون واحد، ويقوم عليها أمر واحد، ويجمعها لنفسه ومعناه حق واحد، يقودها ويهديها إليها له معلم واحد، يقدم رسالة واحدة، تعلو بكلمة واحدة هي كلمة الله، بشهادته لا إله إلا الله، ولا يغير الله ما بقوم من جهلهم حتى يغيروا ما بأنفسهم إلى معلمهم في قيامه لقائم قيامهم.

أمر يتحقق حالا ومآلا لكل نفس نجت وتخلصت، في ركب بيت الله يوضع ويرفع، بقائم عبد الله، بقيوم عترته، للمؤمنين بآله، من اختاروا لأنفسهم في الحق حاله، وطلبوا من الله مآله، ورضوا لأنفسهم أحواله، فتخلقوا بأخلاق الله، تخلقا بأخلاقه، قائمة بينهم في معاشريهم من أهل بصيرته، لقائم عينه بكوثر عترته. (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)^١، (قليل من عالمكم من يدخل إلى عالمنا وهو منسوب إلى أسرة)^٢، {يوم ندعو كل أناس بإمامهم}^٣.

اجتمعت في أمر الله للرسول أمور الله لرسالاته برسالاته، رسالة جامعة لكلماته، مؤيدة قائمة بآياته، بعباد الرحمن لمعاني أخوته ولداته، وهم في حقيقته من الله ما كانوا إلا أبناء ذاته ظلالتها وقائم صفاته.. وجوهه وأعلامه.. قائمه وكلامه.. كتابه وأعلامه.

بهم كان قائد ركب عوالم الله إلى الله.. إلى الله على ما عرفه.. إلى الله على ما وصفه.. إلى الله على ما قامه واتصفه.. إلى الله وجهها له، لوجهه له.. واسما له، لأسماء له.. وأمر له، لأمر له.. وبيتا له، لبيت له.. ووجودا له، لوجود ووجود له.

رضيه الله ليكون قدوة للكافة، فرد اجتماعهم، واجتماع فردهم، قامت بقبلته حقيقة القبلتين، قبله الآباء إلى الجديد لهم، وقبله الأبناء إلى القديم عليهم، في مطلق الله. وقام بأمره حق الأمرين، أمر الإنسان مأمورا، وأمر الإنسان آمرا. واجتمع لعالمه قائم العالمين، عالم سبقه له، وعالم لحاقه منه، بحرا للبحرين، وبرزخا للبرزخين، في قائم وجود الله للوجود بمطلقه.

فبوعيه على ما قدمه، رضي الله الإسلام ديناً، بالإسلام له، فكان الطريق إلى الحق في دخول المؤمنين حصن لا إله إلا الله لقائمه، مدخل السلم مع ربه ومعلمه، بالسلم معه، وجعل قائم السلام من الله، بالسلام مبذولا هدية منه رحمة للعالمين.

عرفه العارفون عبد الله وسيد الكونين لكونه، وتابعوه أئمة، إمام العالمين لعوالمهم في عالمه، واستقبلوه بالمؤمنين بالله ورسوله في صلاتهم قائم القبلتين لدائم قبلته، في قبلة متحدة واحدة لدائم أحده، كان بها علما على الحق بمطلقه في مطلق آحاده، مسيح الوجود ومسيح مسيحه، إنسانا وإنسان الإنسان في لانهايه، بمعارجه ومغانيه، وعلم الكون في مجدده لمعنى نفسه، نواة جديدة لقديمه، في كينونته بقائمه.

هكذا قبل أن يظهر لنا بكائنه لكائناته، كان، وهكذا بعد أن حجبناه عن عيوننا، كائن. فهو بكائنه لربه ما حدث، وبرحمته لرحمائه ما غاب، ما حجزه عن القلوب جلاباب به تدثر، فما كانت الدثر إلا لظهوره، وما كان إلا من تدثر دثره لمشهوده لبطونه، بوجه نفسه لمعبوده. (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين)٤، (كنت نبيا ولا ماء ولا طين)٥، (أنا كائن قبل آدم)٦.

تجدد ذكر الله به، بيننا، ذكراً لله، روحا متجسدا دب على الأرض بقديمه، وسعى إلى الشاردين بهيمته، وظهر للمفتقرين بغنى طلعت، وقام في المتحققين حق قيامهم خلاصا من باطلهم، لموقوتهم في خلقيتهم، ببعث حقيقته لهم، حقية الله بهم، لا شرف لعربي على أعجمي عنده، على ما هو عند ربه، إلا بالتقوى، جعل الله في آله سفينة نوح لتابعيه، وقبله إبراهيم لمحبيه.

كان الرسول بفردته في قائمه جماع قلبه وقالبه، لنفسه وعقله لراغبه، كما كانت روحه لمعناه بحقيقته قبس نور الله لوجوده. تشتت منطلقا من فردته لمعنى خلقه أمة، فتقاسمه قومه، كل بنصيبه، فكان في اجتماعهم جمعه من شتاته، بمجتمع صفاته، لقائم حقه، (المؤمنون كأعضاء الجسد الواحد)^٧، وما كان إلا جسده، (إذا شكت مؤمن شوكه وجدت ألمها عندي)^٨، (لا تجتمع أمتي على ضلالة)^٩، (الزم الجماعة)^{١٠}، (الزم الإمام)^{١١}.

وما كان المؤمنون إلا المؤمنون به، وما كان المؤمنون به إلا المؤمنون بالله وحقه لأنفسهم معه، وما كان قومه إلا المؤمنون بربه، وما كان المؤمنون بربه إلا الأحياء به، من أهل قبلته ومن كسب الحياة معهم، وما كان بيته والأهل له إلا كسب البشرية جميعا معه، وقد زويت الأرض له دارا تزوى لهم يوم يكسبون حقهم لوصفهم الناس به، يوم يكسبون حق البشرية لبشريتهم، ومقام البشرية لموجودهم، ومعنى الناس لوصفهم.

زويت له الأرض من يوم نشأتها، يوم انعزلت عن الشمس بجلدتها معية آدمها وحوائها، لقائم إنسانها بقيوم مرشدها، فكان روح الحياة لها، وقائم الحق لصفاته عليها، وحياة الطريق للمفتقرين إلى الله من أبنائها.

كان لها حضرة النبيين، وبيت العارفين، وجماع وجوه المعبود، لوجهه العلي المشهود، عند وجوهه بالمؤمنين ناضرة إليه ناظرة، إلى الله راجعة، إنسانية آية، في سماوات الوجود متصاعدة، عن سفليها وسفل الكون متخلية، إلى عليها وعليه ساعية، لسعيها راضية، وعند أعلاها مرضية، يوم عرفت من ارتضاه الله لنفسه، وقامه منه فيه لحسه، فأحس بوجوده، وبحسه في المؤمنين لقائم موجوده.

قل جاء الحق وزهق الباطل. وهل كان الباطل إلا زهوقا؟ وهل كان الباطل عند طالب الحق إلا زاهقا من وهم الباطل حقا والحق باطلا، ما رأى ولا عرف في حاضره ولا في قادمه حقا، وفقد من قديمه وقائمه ما كان فيه حقا؟ ومن رأى الحق مؤمنا به، لقائم الحق في قيامه، وآمن به ليس غيره، وعرفه ما قام بغيره، من كان كذلك كان حقا، ومن كان حقا ما رأى باطلا، ما رأى السماوات والأرض وما بينهما إلا حقا، وما قام سبحا بينهما وفيهما إلا بالحق له، في الحق لهما، وبينهما.

بهذا جاءنا دين الفطرة.. وبهذا جاءنا إنسان الفطرة.. وبهذا جاءنا كتاب الفطرة.. وبهذا جاءنا قائم الفطرة، مرسلا بالفطرة، ورسولا من الفطرة، ومرسلا إلى الفطرة، ومستقبلا عند الفطرة، به شرف الإنسان بفطرته، وبه تحقق الإنسان في جلده، بحق موجوده، هو فيه له لب وجوده، وبحق قيومه من حوله عليه مشهود قلبه لمعنى بيته، ساقطة أسواره، فارغة من كل ما سوى الله داره، قائما بالله نصبه،

مذكورا في البيت ربه، مقرونا باسم الله اسمه وعبد، خلد بمسماه، ببشريته، لدائم عبوديته، لقائم اسمه لمسماه، لربه وحقه، اسما ورسمًا وكسما ووجها لله لقائم عبده لمشهود وجهه.

هو كلمة الله، وهو اسم الله، وهو وجه الله، عند من يريد أن يكونه على ما كانه، للعالمين أظهره، من عرفه وقدره. (ما عرفني غير ربي)^{١٢}، أضاف ذنوب المؤمنين إلى فعله، وقد خطب مبشرا، غفرنا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال مغفور لي ذنبي، فيمن قبلني له، ورآه ربي معي، فنسب نفسه لله، وتجاهلها له، فغفر ربي ذنبه غفرانا لذنبي، وفرج كربه تفريجا لكربي، وأضافه ربي لنفسه، يوم أضاف نفسه لنفسه، فعرف بمعرفتي، وأحس بحسي، أمرني ربي أن أعظمكم بواحدة، {أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم نتفكروا}^{١٣}، مجاهدين ومتابعين ومقلدين، للشهر الحرام والهدي والقلائد قياما للناس.

إن العقل.. وهو أشرف ما خلق الله، عاجز عن معرفة الله، وهو قبس نوره، إلا يوم أن يُعرفه الله، ويمنحه القدرة على معرفته. وإن النفس وهي جذوة مشعلة من نار قدس الله، لا تعرف طريقها إلى نار قدسها، إلا يوم أن يأخذ الله بناصيتها. وإن الروح، وهي من روحه، وهي سابحة في سبوحه، تمسكها السماوات والأرض عن الانطلاق إليه، ما لم يطلقها بسلطان، يوم يشرفها باسمه وعنوانه، يوم يطبعها بخاتم معناه لإنسانه، ورسول إحسانه، ووجه طلعتة وعلمه وعنوانه، بنور الله له هو جماع أقباسه، يمتد به في الساجدين، لسعادتهم بقيامه، ظلال قيومه، لقائمهم به.

معقود له اللواء، موكل بكنوز الجزاء، أمين بحار العطاء، قلم الغفران، من عوالم الإحسان. هو كل شيء، لمن أراد أن يكون شيئا. هو كل معنى لكل من أراد أن يكون له في الله معنى. هو كل وجود لكل من أراد أن يكون له به في الله وجود.

إن الفهم فيه، والوعي عنه، والاستقبال له، هو الدين، وهو المنسك، وهو الفقه، وهو العلم، وهو الحكمة، وهو الطريق، وهو الرياسة، وهو الكياسة، وهو السياسة، وهو الصلاح، وهو الفلاح، وهو النجاح والإصلاح.

فإذا كان تقديره عندنا، وقد قام فينا كما قام بيننا؟ هل كان إلا رسالة الروح، وصلاح الزمان؟ هل كان إلا رسالة الدنيا، يوم تكون مزرعة للآخرة، ورسالة الآخرة، يوم تكون رحمة للدنيا؟

قام فينا كما قام بيننا الروح الملهم والذات المعلم، لكل ذات مفتقر، ولكل روح متعلم، كما قام بكوثره الذاتي الحق المتكلم، والروح الساري الملهم لكل ذات مسلم، مستمع مفتقر مسلم، فقام لشهودنا ووجودنا الزوجان، المعلم والمتعلم لحق الإنسان.. قام الزوجان السامع والمتكلم لرسالة الرحمن.. قام الزوجان الوجود والموجد لحقية الأكوان.. قام الخلق المتطور، والخالق المصور لكتاب العرفان.

به جاء الحق للعيان، وبه كسب الحق لمن استحق في الوجدان، نافرا من موصوف الخلق، آويا إلى علم الحق، متحررا من أبويه من التوقيت والطين، إلى أبويه من التأزيل والتأييد والحق واليقين، أمرا وسطا بينهما، إنسانا شرف بإنسانه، وإنسانا مُكِّن من الظهور بعنوانه، فكان الجبة، وما في الجبة، وما فوق الجبة، وما حول الجبة، كان الحق بموجوده، وكان الوجه لله لشهوده بشاهده ومشهوده.

جاء البشرية بالخير كله، فظهرت البشرية في جملتها، له معه، بالعناد كله، إلا من رحم، من بين من استرحم، يوم صدق في طلب رحمته وللحق له أسلم.

جعل الجنة في تناول يد البشر، وجعل النار ملكا في يد من أعزه الله، دارا لمن على الله معه أنكر، حافظ هدي، لا كبرياء انتقام. إن من عرف الله تخلق بخلق الله، فهدى النفوس برحمته وحكمته، شاكرا وكافرة، فأخرجها من كفرها بإشهادها له، ودمغها بإيمانها بعد ابتلائها فيه، في متابعة من هداها، وجعله منه عين هداها.

{من يهد الله، فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا} ١٤، فن كان لله دام واتصل، ومن كان لغير الله انقطع وانفصل، {إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا، إلى يوم القيامة} ١٥، بقيامك عليهم جميعا لقائم من قلوب لك معك. {ولسوف يعطيك ربك فترضى} ١٦، فقال (لا أرضى وأحد من أمتي في النار) ١٧، زويت له الأرض فكان كل من عليها أمته، لا شرف لعربي على أعجمي عنده إلا بالتقوى، تمام كلمته لتتام كلمة ربه، رفيقا أعلى، هو في حضرته، لتتام كلمة المطلق لعينه، في قائم حضرته بوحدايته.

أمر أن يصبر نفسه مع الذين يذكرون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، على إطلاق بذلك، مزوية له الأرض به، لينحهم ما طلبوا، يوم يكونون لله معه، وجوها له، لبعث العقول برشادها، بأقباس نوره، من نور الله به لهم، فيشهدوا أنه لا إله إلا الله، ويشهدوا لأنفسهم أنهم محمداً رسول الله، بحمود صفاتهم عند ربهم، دررهم بها لهم، عند أنفسهم، محمدين وأحمدين، حكاء لله، عباده وأحواض رحمته.

هذا هو محمد رسول الله، {محمد رسول الله والذين معه، أشداء على الكفار، رحماء بينهم} ١٨، فن يزعمون أنهم أمة محمد رسول الله، فليبرزوا محمدهم للمباهلة.

يا أمة محمد رسول الله زعما ووهما، أين محمدكم؟ أين إمامكم؟ أين قدوتكم؟ أين أسوتكم؟ أين قرآنكم؟ أين كتابكم؟ أين لله وجهتكم؟ من يكون في الله علمكم؟ أظهوره لنا أيكم؟ فلا بد أن يكون بينكم! إن صدقتم فيما علمتم أو علمتم، وبه بينكم تناجيتم أو تكلمتم، ولحتمية ذلك عرفتم.

إن الذي جاء للأرض نورا لم يُرفع، قائما دائما إلى الله يرفع، وعنده للمسيء يشفع، كيف يغيب، وكيف يُحجب، وعن الناس يمنع، وعلى المؤمنين يمتنع، من جعله الناموس رحمة للعالمين لا تبتز متكاثرة لكوثر؟

إنكم تحجبونه عنكم بأفواهكم، وبأوهامكم، وبمظلم أعلامكم، وبمشوه نصبكم، وبملتوي طريقكم، وبسافل عقولكم، وبخامد وجامد نفوسكم، وبسجين أرواحكم وضمائرکم.

جاهدوا في الله طلبا له يلاقيكم.. وإن لاقيتم، ففي أنفسكم عليه اجتماعكم، لا في مقبرة، ولا في دار مبخرة، ولا في دنيا أو في آخرة، ولا في نجوى، خالية من الوعي والتقوى، خالية من العلم، خالية من الحق.

إن عرفتم بينكم لله وجهها، لقائم الرب لكم، علم قيومه عليكم، فلن يكون كما قدرتم، إلا يوم تشهدوه في قلوبكم، وتلاقوه في نفوسكم، وتقوموه بهياكلكم، لا اثنيينية بينكم، ولكنها الوحداية لكم، قائمة بكم، إنما هي التوحيد تقومونه، للوحداية تؤمنون بها، وتؤمنون لها.

خلقكم أزواجا فأفرادا، وحققكم أفرادا وأزواجا، وجعلكم للحق عمادا، وللعقول رشادا، وللروح امتدادا، وللناس بيوتا، وللعوالم كعبة، وللمصلين قبلة، وللمشاهدين وجهها، بلا إله إلا الله، يوم تقومون فيه محمدا رسول الله، رحمة مهداة.

رحمة ما قبلتموها! فما قبلتم الهدية! ما اشرأبت نفوسكم لاستقبال العطية! ولكن كنودا لله، والتواء مع رسول الله، وصفتموه ختام النبيين، وما عرفتم فارقا بين الخاتم، والختم، والختام. ما ميزتم بين الحق في القيام والحق في الكلام، وما ميزتم بين النبي للبلاغ والعبد في الاجتماع، ثم أنتم بعد ذلك تنشرون انحصام باسم السلام.. حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، فقهاء وجاهلين، هذا الجهل هو لكم دين!

ما عرفتم لرسول الله دين، وما قتم به في يقين. عرفتم ربا ظنينا، أنتم اعتقادا به كلكم الظنين، ما عرفتموه أو قدرتموه في أمره على يقين، فإن من عرفه ما عرفه إلا في يقين، ومن قامه قامه لا ظنين، عرفه بقيام حكمته لطالبه غير ضنين.

هذا ما عَرَف، من عَرَف، لمعنى الدين، فنسأل الله لنا ولكم السلامة في الدين، والسلامة في اليقين. نسأل الله لنا وللشاردين أن ندخل في السلم معه، وأن ننال السلام منه ومن اجتماعه، وأن ينال الناس السلام بجمعهم، وأن يقوم على الأرض السلام لهم بهم، فيكون سلام الله علينا، وسلام الله عليهم، وسلام الله منا ومنهم.

نسأله أن يصلح قلوبنا وأحوالنا وأرواحنا، حكاما ومحكومين، يقظين وغافلين، وأن يجمعنا على كلمة الحق والدين، وأن يعلي فينا كلمة الحق واليقين، وأن ينشر منا نوره على العالمين، على ما بشرنا سيد المرسلين، أعلاما للدين، قيمة بيقين لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

الله {قائم على كل نفس بما كسبت} ١٩، فلتكسب الله، {أليس الله بكاف عبده} ٢٠، (رجل كسب الله وخسر الدنيا ماذا خسر) ٢١، (الدنيا مزرعة الآخرة) ٢٢.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ من حديث شريف: "مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً". صحيح مسلم.
- ٢ من أقوال الروح المرشد سلفربرش.
- ٣ سورة الإسراء - ٧١
- ٤ حديث شريف ذات صلة: "إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ مَكْتُوبٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ..." أخرجه أحمد وابن حبان باختلاف يسير، وأخرجه البغوي في ((شرح السنة)) واللفظ له. والحديث الشريف "أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد". أخرجه الترمذي، وأحمد بلفظ مقارب.
- ٥ عبارة مرتبطة مع جاء في بعض الأدب الصوفي من حديث "كنت نبيا وآدم بين الماء والطين"، ثم زاد العوام عبارة "كنت نبيا ولا ماء ولا طين".
- ٦ حديث شريف ذات صلة: أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم "قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد". أخرجه الترمذي، وأحمد بلفظ مقارب، والحديث الشريف "إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ مَكْتُوبٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ..." أخرجه أحمد وابن حبان باختلاف يسير.
- ٧ حديث شريف: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". صحيح مسلم.
- ٨ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.
- ٩ حديث شريف: "إن الله أجار أمي أن تجتمع على ضلالة". أخرجه ابن ماجه.
- ١٠ من حديث شريف: "ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، عليك بالجماعة فإمّا يأكل الذئب من الغنم القاصية". أخرجه أبو داود، والنسائي، وأحمد باختلاف يسير.
- ١١ من الحديث الشريف: "تكون دعوة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، هم قوم من جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا، فالزم جماعة المسلمين وإمامهم، فإن لم تكن جماعة ولا إمام فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت كذلك". أخرجه ابن ماجه بنحوه، البخاري، ومسلم مطولا.
- ١٢ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكفائي بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".
- ١٣ سورة سبأ - ٤٦

- ١٤ سورة الكهف - ١٧
- ١٥ سورة آل عمران - ٥٥
- ١٦ سورة الضحى - ٥
- ١٧ من حديث شريف جاء في تفسير القرطبي أنه حين نزلت الآية {ولسوف يعطيك ربك فترضى} قال النبي صلى الله عليه وسلم "إذا والله لا أرضى وواحد من أمتي في النار." وجاء في صحيح مسلم في حديث طويل منه: "اللهم أمتي أمتي وبكى. فقال الله تعالى لجبريل: اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك فأتى جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - فسأل فأخبره. فقال الله تعالى لجبريل: اذهب إلى محمد، فقل له: إن الله يقول لك: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك."
- ١٨ سورة الفتح - ٢٩
- ١٩ سورة الرعد - ٣٣
- ٢٠ سورة الزمر - ٣٦
- ٢١ استلهاما من قول المسيح عليه السلام: "ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه، أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟" (مر ٨: ٣٦، ٣٧)
- ٢٢ حكمة يكثر ذكر العلماء لها، وتتوافق مع الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.

(١١)

إنسان الرحمة والعدل ملتقى الآباء والأبناء للانهائي الوجود والتواجد لأوادم الإنسان للوجود في بحار العطاء والوجود في قائم وقيوم الله

حديث الجمعة

٢١ رمضان ١٣٨٧ هـ - ٢٣ ديسمبر ١٩٦٧ م

باسم الرافع للغم، الراعي للأُمم، جل جلاله، وتنزهه عن المثل كماله، والصلاة والسلام على رافع
الرتب، مفرج الكرب، عزَّ جاره، وحقق الخلاص لنفسه من أدخل داره، فكان للمسيح المتوفى ظله
ورافعه، ولله وليه وشافعه، وللمصاحب في الطريق رفيقه ونافعه.

ورضي الله عن كل نفس لنفسها خافضة، ولروحها مطلقة محررة، ولعقلها طيبة نيرة.

تعالى الله عن كل وصف، وعز الله على كل متصف، لا وجود لغيره، ولا شريك له. تجلى بالوجود
للإنسان عند الإنسان، وتجلى بالإنسان للوجود عند الوجود.

عباد الله.. أمور الله.. وجوه الله.. إنسان الله.. إنسانية الله.. أما آن لكم أن تقدروا الله حق قدره،
فتتألف على ذكره قلوبكم، وتستيقظ من نومتها عقولكم، وتشرق بنور الله من غفلتها نفوسكم، وتحيا بذكر
الله في أوبتها معانيكم، على ما بلغتم وهُدِيتُم، ممن حقق لنفسه ذلك، ورضي الله به عنن كان كذلك؟

من عرفناه بيننا من أنفسنا، وآمنا بالله ورسوله يوم شهدنا من نفسه، فعلمنا أننا إليه، وعلمنا أننا منه، هو
أبوة الآباء، وبنوة الأبناء، عليه أمومة وخلة يجتمعان، وإلى قبلته ذاتا وروحا يصليان ويتصلان.

عرفه الآباء مرجوهم من الحق في قادم في الأبناء، وعرفه الأبناء أبوتهم من الحق في قديم وقادم للآباء، فقامه المؤمنون بالله ورسوله لقائمهم قائم الحق، وعلم الحق قيوما عليهم بقيومه لقيومهم. فكان بذلك رحمة للعالمين، وكتاباً لأهل الكتاب أجمعين.

فكان بكائه مما كان، وإلى ما يكون، للمؤمنين ديناً، وللعارفين كتاباً ويقيناً، أمر الناس من الناموس، حُمل إليهم حديثه، وقد ظهر لهم، وظهر بينهم علمه وجليسه، فظهر بهم لهم إنسانهم وأعلامهم وأنيسهم وجليسهم، أمروا أن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، قائم عبدهم ومعبودهم، لهم فيهم.

هُدي الناس النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، شرف به الناس، وشرفت به البشرية، وقد أعلمت فعلت أن الآباء وأبناءهم من قبله، يصلون على النبي، قبلة مثليتهم، لمرجوهم لهم به من بعده في علميتهم، لظاهر الله وملائكته، بإنسانيتهم في آدميتهم (خلفت الله عليكم) ^١ لظاهر الحق وظلاله بقائمهم لقيومهم، لظاهر أمر الناموس بغيبه وشهادته، في اجتماع قلوبهم على مذكورها لرهم، باسم الله ورسوله لهم معهم، لقائم الإنسان في قديمه وأزليته، يتجهون إلى مرجوهم لأنفسهم، بإنسان رجائهم وأملهم، فيصلون على النبي {إن الله وملائكته يصلون على النبي} ^٢، (تخلقوا بأخلاق الله) ^٣.

وطلب إلى الأبناء وأبنائهم أن يقتدوا بالآباء وآبائهم، فيصلون على النبي، فيصلي الأبناء والآباء على النبي.. نبي ورسول البقاء.. نبي ورسول العطاء.. نبي ورسول الولاء.. وقد حقق لنفسه ذلك.. {ثلة من الأولين}، وثلة من الآخرين، في دورة آدم، دائبة لا بدء لها ولا انقضاء.

فيصلي الأبناء وأبناء الأبناء على النبي.. نبي الأزل والأبد.. نبي الإنسانية أزلاً وأبداً.. فيجتمع الناس حوله، نصب الولاء، وبيت الرجاء، وسماء الدعاء، وقبلة الصلاة والولاء، للعليّ الدينيّ، والمداني الأعلى بعليّ، في قائم إبناء، وقائم هدي وعطاء، في قائم ولاء، لعاجل جزاء، فيتحقق لذلك منهم ثلة من الآخرين، اقتداء بثلة الأولين.

فيصلي الآباء وآباء الآباء فيه، على الأبناء والأبناء حوله، قائم إنسان، في قائم العيان، بيتا يذكر فيه اسم الرحمن، ونصبا تطوف حوله وجوه الإحسان، اسماً لله، لأسماء الله، ويحقق لذلك فيه المسارعون المتخلصون من شخ أنفسهم بأنفسهم لتغيير ما بها إليه في كل وقت وحين.

شرف العبودية والعباد وعجل للعابدين بالرشاد، فكان عبدا بمن فيه، وعبدا بمن حوله، وعبدا بمن قامه، فكان به العبد حقاً، وكان به العبد رباً، وكان به الرب في الله عبداً، فقَدَّر الله حق قدره، وعُرف الإنسان حق معرفته، وشرف البشر وحقت البشرية، وقام الذكر واستقام الأمر.

فعرف الناس في أمرهم لوصف الناس، منازلهم، ومواضعهم، وصفاتهم، فقاموا في أمورهم خير قيام، فظهر {محمد رسول الله والذين معه، أشداء على الكفار، رحماء بينهم}°.

ظهر محمد رسول الله والذين معه، أمرا وسطا، اتجهت إليه أمور الأولين، واستقبلته أمور الآخرين، وأحاطت به حوله أمور المؤمنين، وتوحدت معه أمور العارفين، فقام أمرا للحق، وللهداية واليقين، أمرا للفطرة، والترتيل والرفع والتنزيل، أمر العدل والتغيير والتبديل، أمرا للدين والمعرفة والإبانة والتأويل، في ظاهر من العلم، وفي باطن من السر، بقائم من الحق، في ظاهر من الخلق.

فقام الإيمان، وقام الإسلام، وقام اليقين، وقامت المشاهدة.. {والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وآمنوا بما نزل على محمد، وهو الحق من ربهم، كفر عنهم سيئاتهم، وأصلح بالهم}٦، وما أنزل على محمد، إلا الروح، روح الآباء وآباء الآباء، كان بها لما يليه مما يبرز الله، أبوة الآباء. وكان منه بموجوده، روحا وذاتا، حقي الأبناء والأبناء، أبناء الروح أرواحا، وأبناء الذات ذواتا.

فكانت الأبناء ذواتا، أعلاما على الآباء أرواحا، قاموا له عترة، علما وإشهارا، فكان بهما دواما، على القديم له إعلاما وأعلاما، أرواحا وذواتا، كان بهما في وحدته لهما، على القديم علما وعلما، فكان للناس في أمرهم به، جماع كلمات، تناثرت منهم به الآيات، قام في قادمه للناس في الناس، عين قديم الناس لقديمه، قياما بالحق لهم بينهم في قائم الناس، فتجمعت عليه الكلمات في قائم الناس بحاضرهم، من قديمهم من الناس، توفية أمرهم، فكان العروة الوثقى لا انفصام لها، عن قديم الناس حقا، وعن قادم الناس حقا، في قائم الناس خلقا وحقا. بذلك كان رسول الله دواما.

كان الكعبة.. كان البيت.. كان أول العابدين.. قياما للناس، والشهر الحرام لهم والهدي في أمرهم، والقلائد لأئمة اقتدائهم.. كان قديم المتحققين.. كان وجه الله المقصود، عند وجه الله العابد والمعبود لكل موعود.. كان أحدية وجماع الخالق والمخلوق، في قائم وجود لمن حيا بالحي القيوم.

عُرف به الموجد لكل عارف، بموجود، يوم هو بالوجود تواجد فتعارف، وتعارف فتواجد، فكان وجودا لمن يريد التواجد، ومعرفة لمن يريد التعارف، للنفوس المطمئنة، تدخله بيتا رحبا، وحقا وجنة.

كان الناس به حقا لهم، لموعود الأوامد لهم بأنفسهم أجنة، كان هو لهم الحرم والرحم، كان هو لهم الساحة والعلم، كان هو لهم عندهم الكلام والمتكلم، كان لهم الروح والجسم، كان لهم الحق من ربهم والمعلوم والمعلم. فهل عرفوه الحق من ربهم؟ هل طلبوه الحق من ربهم! رحمة مهداة، ونعمة مزجاة، وحقيقة مصدقة، ونعمة ليد مسلمة!

هل عرفه مَنْ كَلَّه؟ هل طلبه من عَلمه؟ هل عشقه من نظره؟ هل وصله من قَدَره؟ هل سعى إليه في نفسه من آمن به، أو أسلم له أو سالمه؟

ما رفض طالباً له، وما قطع مصلياً عليه موصولاً به. (الصلاة على النبي شيخ من لا شيخ له)^٧، فهل صلى الناس عليه حقاً؟ هل وصله الناس إيماناً؟ هل عرفه الناس قياماً لا كلاماً؟ هل قدره الناس قياماً لا حساماً؟ هل قام فيه الناس سلاماً لا خصاماً؟ هل آمنوا بالله ورسوله في إيمانهم بالرسول وربه؟

كيف صلى الناس عليه؟! جعلوا من الصلاة عليه لفظاً، ليس له عندهم معنى، (اللهم صلي على محمد)، إن الله وملائكته يصلون على النبي، يصلون على محمد قائم كل نبي من قبله ومن بعده، لا ينتظرون من الناس أمراً بذلك، ولا دعوة إلى ذلك، ولا دعاء بذلك. ولكن المردد لذلك يجب أن يعنى به أحد أمرين أو كليهما معاً، أحدهما يخص نفسه، والآخر يخص قومه وبشريته.

أما عن أمر نفسه، فيجب أن يكون القول مصحوباً بحاضر معنى الاعتقاد، بأن قائمه بكائه بشراً، إنما هو قائم محمد، الذي هو جماع أرواح البشر، وأنه بقائم هذا الفهم له عنه، يطالب بحق محمد الذي هو هو، من صلاة الله وملائكته، وصلتهم به، الأمر المشروع من الله لنفسه، كتب على نفسه الرحمة، وجعل من محمد بحقه أحواضها، فهو يطالب بمحمد لنفسه خلقاً، من محمد لقيومه بحقه ربا، أن يصل بحقه موجود خلقه، في مؤمن قام به وفى فيه بحبه، خلقاً وحقاً.

أما عن الوجه الآخر فيما يخص قومه، فإنه يتوجه بالنداء والالتجاء إلى اسمه اللهم، يعنى به رب الناس لجمعهم وحقيقتهم، وقد غفل الناس عن الحق لهم بينهم بمحمد، فأخفيت معالم الطريق، وأظلمت، وقد اختفى بين الناس مصباحها بمحمد، من ظلام النفوس حوله، وبهذا يطلب المصلي على النبي من ربه أن يكشف عن مصابيح النبي بين الناس، وأن يمنحها من الصلة ما يعطيها قوة في الإشراف، تخرق بها حجب الظلام، للنفوس الهاوية المتعثرة، في طريق الحياة.

إن الناس إن غيبوا الرب عنهم، غاب الرسول بينهم، وإن عرفوا الرسول بينهم، به عُرف لهم قيام الرب عليهم، وكشفت عنهم أغطيته، ورفع الغشاء عن أبصارهم. ولو طلبوا صادقين من القائم عليهم لقاء الرسول بينهم لهداهم السبيل، وجمعهم على الدليل.

ولو أحسنوا اختيار دليلهم، وسلکوا في استقامة سبيلهم، لكشف الله لمعاني الرب فيهم وعليهم قائمهم وقيومهم، في أنفسهم وعليها، كشف لهم الحجاب بينه وبينهم.

ولو كشف الله الحجاب بينه وبينهم، فإن حاجتهم للرسول ما زالت قائمة، بل هم لها أحوج، فسلوكهم في الله ما زال فيه الاختبار والاختيار، وما تخلص بعد من الاضطرار، فهم ما زالوا في جهل بأنفسهم، وفي عماء عن أمرهم. فما تكشف لهم إلا أمر وحدانيته لقائم لا إله إلا الله، فيها يقومون وبها يختبرون، ولها بإيمانهم يقومون.

فالرسول في الله، إنما هو قيامهم، إنما هو سلامهم، إنما هو معراجهم، إنما هو دوامهم، إنما هو بقاؤهم، إنما هو حياتهم، إنما هو لبابهم، وألبابهم، وقوابلهم، وجلودهم وجلبابهم، لحقه في قلوبهم، وقائم خلقه بهياكلهم. هو المستوي على عرش القلوب عارية لهم، هو لقائم ربه لقيومه عليهم الغافر للذنوب.. هو الرب المنشود، والحق المحبوب المطلوب.. هو مفرج الكرب.. هو ساتر العيوب، أمة مذنبه ورب غفور، أمة مذنبه معيبة ورب يستر عيوبها، ويغفر ذنبها.

(ما ظنكم أني فاعل بكم)^٨، ما عرفناك إلا أبا كريما، وأخا كريما، كل إناء ينضح بما فيه، فما كان إلا كريما غافرا، راعيا (اذهبوا فأنتم الطلقاء)^٩، إنه الرحمة.. إنه النعمة.. إنه الشفاعة.. إنه الوسيلة.. إنه الضراعة.. إنه القيامة يوم يقوم.. إنه السلام والسلامة، يوم يسلمه مسالم، وفي السلام يقيم وبالسلام يدوم.. إنه القهر والجبروت، يوم يخاصمه مخاصم، هو برحمة الله لا يقهر انتقاما، ولكن يقهر تخليصا للمقهور، بإقامة سلام مع القاهر.. لا شريك له.

ينخر ليحيي، ويميت ليُقي، ينخر المتقين، ويميت المؤمنين، فيبعثهم بالحق وبالدين، بالإيمان وباليقين، بالمعرفة وبالسلام آمنين ومؤمنين.

هذه هي الصلاة على من تصلون عليه، بأفواهكم، ولا تصلون عليه بقلوبكم، بحجكم، بعشقمكم، بأرواحكم، بافتقاركم، برضائكم به في الصلة بربكم والصلاة بالصلة به لمعبودكم، وجهها له فيكم، وجماع وجوهه بكم، أرسل إليكم، حقا له وحقا لكم، بقائم الحق على كل نفس فيكم، (زويت له الأرض)^{١٠}، {وقل جاء الحق وزهق الباطل}^{١١} (من رآني فقد رآني حقا)^{١٢} (أنا روح القدس)^{١٣}.

هل أدركتم وحدانية الله بوحدانيته معكم؟ هل وحدتم الله باتحادكم به، من أنفسكم، قدوة لكم، في دوام معكم، فردا فكوثر، قياما لا يبت، شائنه يبت، وتجتث شجرته من فوق الأرض فما لها من قرار، وموصوله وواصله يبقى، يبقى على الأرض، يبقى في الأرض؟ {وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}^{١٤}، {فأما الزبد فيذهب جفاء}^{١٥}، أما هو فله عقبى الدار، فلينتظر من يريد أن ينتظره، فلن يكون الحاضر لقائم الدار؟ هل هي بقائهم لحاضرها لغيره! فما كان الحاضر لها، إلا لمن كانت له العقبى، فهو صاحب الدار، زويت له الأرض، وجعلت له دارا من دور، فلا تجعلوها قبرا من القبور.

إنكم به في دوام في يوم النشور، حشرا بعد حشر في سائر الدهور، وأنتم ترفعون طبقا فوق طبق، وبعثا بعد بعث إلى دار بعد دار.. وترفعون من السماء طبقا بعد طبق، جعلت القيامة به لقاءه، يوم يقوم به، امتدادا لنوره فيه، في ظاهر الأمر له، وجعل الحشر به، في قائم الأمر بالاجتماع عليه، وجعل الذكر في قلوبكم لمعانيكم، يوم تحيا بذكر الله، صلاة على النبي المذكوره، ولموصوف ذكره، ذكرا لله، لقاء أمره به، بقائم أمره عليكم، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} ١٦، ([إذن] أجعل لك كل صلاتي يا رسول الله؟ لو فعلت تكفى همك ويغفر ذنبك [يا عمر]) ١٧.

الذين آمنوا.. الذين آمنوا بالله ورسوله.. الذين آمنوا بمحمد.. الذين آمنوا بالحق معه، {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم} ١٨، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} ١٩، {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم} ٢٠ {أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها} ٢١، {والنور الذي أنزلنا} ٢٢ معك، وما كان الله ليعذبهم وهم ينتظرون رحمة الله لهم يوم هم من أنفسهم يستغفرون، ونفسك يطلبون، إليها بها بما في أنفسهم يغيرون.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم بمن جعلته رحمة للعالمين ارحمنا.

اللهم بمن أعزته بحقك أعزنا به حقا لك.

اللهم بمن نصرته بقدرتك انصرنا بقدرتك عزة لك بنا.

اللهم به فانصرنا على أنفسنا، وادفع به عنا ما يحيط بنا من بلائك، ردا لأعمالنا بعدل جزائك، لإقامة وقيام ناموس عدلك، على من تخلى عن ولائك، بالتخلي عن عبدك ونبيك ورسولك لحقيقتك وحقك.

اللهم أكرمنا وارحمنا بالولاء له، ولاء لك، وبالقيام به، قياما فيك.

اللهم انشر فينا نوره، وعدد بيننا دوره، واكشف عنا ظلام أنفسنا، وموات قلوبنا حتى نبعث من قلوبنا مقبورة، حتى نتواجه له، بما أنت لنا، عروجا في معراج رقيه لرقيك وتعاليك به حانا بخلقك لراقيك.

تنزهت ربنا عن التنزيه، وتعاليت وسموت عن الوصف، وترفعت عن التعالي، وتدانيت برحمتك دون التداني، وتنزهت عن التداني والتواني، وسموت فوق الجود، وعلوت فوق الوجود، ودنوت لنا بالوجود وجودا من وجودك بجودك، علما لأعلامنا لك عن قائم موجودك، فكنت بوجودنا لنا واجب الوجود،

في قائم الشهود، يوم تنعكس أبصارنا في بصائرنا، فنرانا من ليس كمثله شيء، ومن تنزه عن كل شيء، ومن علا عن الأشياء، ومن نزل رحمة منه دون الأشياء، يحملها إلى حقه، في شيئها، لعلها لشيئها بها، وهو لا شيء له، يوم هي لا شيء لها، وكل الشيء له، وكل الأمر له، وكل الوجود له، وكل الحق له، وكل الخلق له، وكل التواجد له، لا شريك له.. هذا هو دينكم يوم يقوم على عماده له، بلا إله إلا الله، وبمحمد رسول الله.

فاسألوا الله وأنتم حول هذا العماد، وأنتم في قائم هذا الرشد، اسألوه يعطكم، واستنصروه ينصركم، وقاربوه يقاربكم، ووالوه يواليكم، وصلوا على نبيه، يصلي عليكم، وملائكته، يخرجكم من الظلمات إلى النور.

اللهم إنا بحقك لنا، وبحقك بيننا، وبحقك فينا، نسألك أن تكشف الغمة عنا، وعن أنفسنا، وعن بلدنا، وعن بلاد المسلمين، وعن بلاد عبادك أجمعين، ونسألك بالحق فينا، وبالحق علينا، أن تولي أمورنا خيارنا، وأن لا تولي أمورنا شرارنا، ردا لأعمالنا، وإقامة لعدلك فينا، وقنا شر غضبتك، وعاملنا بعفوك، واقبل منا توسلنا بمن جعلته وسيلة إليك، ووسيلة لنا.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

اللهم به فاجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك.

(أنتم تظهرون خلال حياتكم الأرضية بجزء من وعيكم الأكبر، الذي يمكنكم الازدياد فيه الآن والذي سوف تتعرفون عليه شيئا فشيئا في الأيام التي تلي عبوركم لبوابة الموت).
من هدي السيد الروح المرشد سلفربرش.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٢ سورة الأحزاب - ٥٦
- ٣ استلهاما من عدة أحاديث: "إن الله تعالى مائة خلق وسبعة عشر من أتاه بخلق منها دخل الجنة." رواه الطيالسي والبخاري والترمذي والحكيم والبيهقي والطبراني، وأبو يعلى. وأيضا الحديث الشريف: "إن الله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة"، ذكره الحافظ العراقي بهذا اللفظ في تخریج كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، كما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي. وأخرجه الطبراني
- ٤ سورة الواقعة - ١٣
- ٥ سورة الفتح - ٢٩
- ٦ سورة محمد - ٢

- ٧ عبارة مقدرة عند أولياء الله الصالحين. قال أحدهم عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: "هي شيخ من لا شيخ له، هي وسيلتنا إلى ربنا إذ هي ميثاق وفاء ومحبة، تلتقي صلاتنا عليه بصلاة الله عليه وصلاة ملائكته، فأني فضل أعظم من أن يكون موضوع صلاتنا مطابقا موافقا".
- ٨ حديث شريف: "معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم! قال: فإني أقول لكم ما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء." السيرة النبوية لابن اسحق، وابن هشام، كما رواه الطبري في "تاريخ الأمم والملوك"، والنسائي والبيهقي في "السنن الكبرى".
- ٩ نفس الحديث أعلاه.
- ١٠ إشارة للحديث الشريف: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها فإن أمتي سيلغ ملؤها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض... أخرجه مسلم في صحيحه.
- ١١ سورة الإسراء - ٨١
- ١٢ حديث شريف: من رآني فقد رأى الحق؛ فإن الشيطان لا يتكفني. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتشبه بي". صحيح ابن حبان.
- ١٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٤ سورة الرعد - ١٧
- ١٥ سورة الرعد - ١٧
- ١٦ سورة الأحزاب - ٦
- ١٧ حديث شريف عن الصحابي أبي ابن كعب: "قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: "ما شئت" قلت: الربع؟ قال: "ما شئت، فإن زدت فهو خير لك" قلت: فالنصف؟ قال: "ما شئت، فإن زدت فهو خير لك" قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذا تكفى همك، ويغفر لك ذنبك". رواه الترمذي وأحمد. عبارة "يا عمر" لا توجد في الحديث الشريف.
- ١٨ سورة محمد - ٢
- ١٩ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩
- ٢٠ سورة الأنفال - ٣٣
- ٢١ سورة الأنعام - ١٢٢
- ٢٢ سورة التغابن - ٨

(١٢)

نشهد

أن الناس نواة لأوادم الله، والمؤمنين كلمات الله،
والعارفين رسل الله، والمرشدين حقائق الله، والروحانيين
أمناء الله

وأن الروح المرشد (برش)
أمين الله وإنسان الله، وتمام كلمة الله متوفاة
وروح الله لذوات رسول الله، وعبد الله، لإحاطة وجه الله

صلاة عيد الفطر والاحتفاء برأس السنة الميلادية

١ شوال ١٣٨٧ هـ - ١ يناير ١٩٦٨ م

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، يجري منا مجرى الدم، ويجعل من أنفسنا بين جوانحنا عدوا لنا، وما
أوجدها الله إلا لنفسه، جعلنا بها بشرا، وبشرنا ببشريتنا أن يتواجدنا، يوم نغير ما بأنفسنا من غرائزها
لصفات المادة، إلى تخلقنا بخلقه، لوجوه ذاته بحقائقه للإنسان بالإنسان.

زين لنفوسنا من مادي غرائزها حب الشهوات، اختبارا وابتلاء لها، حتى تتغير من طبيعتها بغريزتها،
إلى طبيعتها لحقي بشريتها على ما هداها، وجعل من نفسه لقائم نفسها موعودها، وجعل من أمره
أمرها، وجعل من سره سرها، وجعل من كنزيتها كنزيتها، وجعل من ظهوره ظهورها، في قائم وقيوم
حقيها من حقيقتها.

فلقائم الإنسان عَرَفَها، وبقيامها لمعنى الإنسان عَرَفَها وشرفها، ومن قائم الشيطان بها لماديها حذرهما، وبالإخلاص منه بشرها، وعلى الاهتداء إلى الأعلى أقرب إليها من جبل الوريد قدرها، وبالله معيتها ذَكَّرَها، وبالعقل دَبَّرَها، ولتدبير أمره بها إليه يسره ويسرها.

فبما فيها من تراب الأرض قَبَرها، وبما في الأرض من روح الحياة من الأرض أنبتا وبالحياة جددتها وكوثرها، ومن الأرض أخرجها، وفي السماء بعثها، وإلى السماوات أرسلها وأقامها، فسلها وعلها وقومها، ومن عليّ ردها برسالة فكلها، وتوفاه، فصبغها وسواها، ومن السماء والأرض نفسا له حررها، طليقة منطلقة في الوجود، عضدا له قَدَّرها، سابحة في مطلق الوجود، جنة لها ووجها له مكنها.

ألمها فجورها وتقواها، بقاءها في مبتدائها، وبذلك علمها وهداها، فخرجت عن الفجور والتقوى بفعلها لصفاتها، فقومها وحققها، ووجهه تجلاها وسماها، وباسمه بيتا له دعاها، وعبدا وهيكلها له بناها، وحقيقة به أبقاها، وشرفا لها شَرُفَتْ به انتسابا إليه، أعلاها وأدناها، وبها ربانية جدد لها بيتها ومبناها، نخلت نفسها مرآة لها لترآها، وخلقت لنفسها جديد السماوات والأرض، لمن أدخلت وأنشأت في بيتها لمعناها، لظهور شرفها وعلاها بمن خلق السماوات والأرض لها في جمعها لمبتدائها، فلنفسه عناها، وإلى نفسه أضافها وأعلاها، على ما وعدنا، وعلى ما بشرها، وبشرا أظهرها، {وقليل من عبادي الشكور}، {ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا}².

إن من حرص على أمر الله له، ولم يفرط فيه، فالعناية معه في مهابطه ومراقبه، في كل أطواره، وفي كل أسرارها، وفي كل أحواله.

فهلا على معية الله لنا حرصنا، وعنا إليها بالحق بُعِثنا، فوجوها لله قننا، وجوها لله قومنا، وجوها لله جلونا، وجوها لله بقينا وأبقينا، وجوها لله علونا، وجوها لله أعلينا، وجوها لله بيننا تواصلينا، وجوها لوجوه أسفرنا وتجلينا ودانينا، وعن مدانينا رحمة به وهدية منا نزلنا، وإلى الأعلى لنا حملنا ورفعنا، وإلى المنفرد وجهنا ودعونا وعلمنا وأعلمنا.

فإلى الله لجمعنا دعونا، والناس إلى رحمته دعينا، وإليه برحمته سعينا، وبرحمته وعزته عليهم تولينا، فما في كبر بنير حكمنا، ولا بيهتان قننا وظهرنا، ولا على الخلق في حقهم بحقنا علونا، ولكن في أنفسنا شرفنا وسموننا، ولنا بنا إلينا قننا وسعينا، فبالله قَدَرنا، وبالله قَدَرنا، وبالله عرفنا، وبالله عَرَفنا، فكنا حقا أمة محمد، باسمه نودينا، مشهودا في قائمتنا ومعانينا.

فبمحمد شرفنا، وبمحمد عززنا، وبمحمد عرفنا، وبمحمد تحققنا، وبالحق به لأنفسنا خلقنا، فأنفسنا بنا فينا جددنا، وإلى جدينا عرفنا وتلاقينا، فكأ أمة الفطرة، ورسالة الفطرة، ودين الفطرة، وأمر الفطرة، وقائم الفطرة، وبعث الفطرة، وصوت الفطرة، وكتاب الفطرة.

فإلى أهل الكتاب تحدثنا، ومعهم في الله تجادلنا، وبالحق عرفنا، ولنا معهم، ولهم معنا، على أمر تلاقينا، فيه توحدا، وإلى كلمة سواء بيننا وبينهم، بها شرفنا، ولنا وعدنا، تجادلنا وتحدثنا، علمنا وتعلمنا، تكلمنا وسمعنا فتلاقينا وعلى الله بنا اجتماعنا، وعلى أن لا نعبد إلا الله، اصطالحنا، وصلاتنا معهم وثقنا، فما على أمرهم أنكرنا، ولا بالأحسن عندنا من أمرنا عليهم طغونا، وعلى الفطريين نحن وإياهم اجتماعنا، ومعهم اتحدنا ولصدقهم أكبرنا، وعليهم في حقهم بحقيقتهم ما أنكرنا، ولعلمهم ومعلمهم وجه أعلينا^٣ وقد رنا.

تلاقى بهذا العام أمرنا وأمرهم في عيدنا، فهلا بهذا التلاقي اتعظنا، وبه وعظنا، ولهم حيننا. بعيدهم عيدا لنا ذكرنا، وحينناهم، كما حيونا، وأجبناهم على ما خاطبونا.

قالوا هل تلاقونا؟ هلا قلنا إننا من قديم تلاقينا، فلاقونا على ما علمنا، وكما علمنا من المعلم الجامع لكل معلم عرفنا، وبمعلمكم معه وفيه شرفنا، فكلمات الله عليها ما أنكرنا، قبل الكلمة التامة إلينا بها قنا، وظلالاً لها بيننا لنا عليها اجتماعنا، وقبلها وبعدها في التقدير جمعنا، وما رأينا بشريتنا إلا كلها بقيامها لقائمها، وقائم قيامها، وقبلها وبعدها، لتمام أمورهم في تام أمرها، فما رأيناها إلا جمعها، وما عرفنا الحب إلا في اجتماعنا لها.

إننا نفتح لكم قلوبنا، فافتحوا قلوبكم لنا، واستقبلونا لندخلها، حتى نستقبل في قلوبنا مدخلكم فينا، لتلاقينا على من يعينكم ويعيننا، كلمة بيننا وبينكم سواء، فلا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله.

فالله لنا ولكم راين، والله لنا ولكم مربوبين، والمربوبون في الله ليسوا أقل من الرايين بل يزدون، فالمربوبون عباد الله، وحقائق من تجهلون، وأرباب لمن يرعون، والرايون حقائق الله وعباد لمن تجهلون، فإن أدركنا وفهمنا فإن الرايين هم المكلفون والمسخرون، وإن المربوبين هم الطلقاء والمسعودون، المخلفون لله على أمورهم وما يربون، بأرباب من حقهم بها يظهرون.

إن النبوة كانت وصلة بين رب وعبد، بأمر وسط بين أمرين، وإن العبودية لله في جماعها بأمرها، لأحدية أمرها، إنما هي إحاطة قيام بحق، لعابد ومعبود وما بينهما، وشاهد ومشهود في سياجهما، وموجد وموجود في بيتهما، ومتواجد ومفقود في أحدية كون لدوام وجود. هلا على ذلك تلاقينا وبيننا به تواصينا.

فلا نتخذ من الدنيا وأشياءها سيادة علينا، ولا ربوبية لنا، ولا جنة وهمية لوجودنا، هي لنا ولكم خلقت، وهي لنا ولكم سُخرت. هلا تلاقينا على الله، وفارقنا التنازع عليها، والتخاصم بسببها، بالخلاص منها وركوب مراكب النجاة وسفن الحياة، بكلمات الله ترى بيننا، سواء لنا، ظاهرة وخفية، دانية وعلية.

إن كلمة الله لغايتنا في جمعنا واجتماعنا، ضُرب بعيسى لها مثالا لكم ولنا، وقامت بمحمد بوجود منكم وفيها، وبوجود يقتدى لكم ولنا، ووعدنا وإياكم أن تتجدد منا لنا فينا بكهولة، على ما واصلت فينا وفيكم لنا ولكم برجولة، من قيامها بينكم وبيننا بطفولة. إن صدقتم بالصادقين منكم في التلاقي عليها، ففينا من صدق في التلاقي عليها فيها بها، وفيكم وبينكم كما هو فينا وبيننا من يصح أن يصدق في التلاقي عليها، قياما بها. فإن وهتموها بينكم وفيكم دوننا، فنا من توهمها فينا وبيننا دونكم، حالنا حالكم وأمرنا أمركم، (زويت لها الأرض)، (لا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى)°.

فهلا تلاقينا فتعارفنا، فعرفتم وعرفنا، عرفنا وعرفتم أنا ما أسلنا الله، إلا يوم أنا للرسول أسلنا، وما أسلنا الله كلمة له إلا على ما هديتم بدينكم دان لديننا، وعرفتم أنكم اليوم لا تمسحون في الله ولا تسلمون له إلا بديننا دان لدينكم، فلا دين لنا ولا دين لكم، في حال الاستقامة لنا أو لكم، إلا باجتماع الدين لنا ولكم، لا فرق بيننا وبينكم.

ولو تلاقينا لعرفناها كلمة تامة متوفاة، متصلة متواصلة فينا وفيكم وفي أمم دوننا ودونكم، فيهم بجحمتوها ووجدناها، وعليهم أنكرتموها وأنكرناها. فهلا تلاقينا عليها جميعا، زويت لها الأرض في قائمها بمعناها، تتجلى لنا اليوم بالروح من علاها، رسالة موعودة انتظرناها، ها هي جاءتنا فأنكرناها.

ربنا وربكم واحد، وإلهنا وإلهكم واحد، وكلمات الله إلينا وكلمات الله إليكم أمر واحد. فهلا تلاقينا بما عندنا، وبما عندكم، فتوحدنا بما عندنا وبما عندكم، فتوحد جمعنا، وتواصينا بيننا إلى كلمة سواء، لنا ولكم، مستوفاة في علاها، توفاه الله بيننا في مبناها، فيمن اصطفت ممن رضاها، لاجتماعنا وإياكم واجتماعكم وإيانا حول مبناها ومعناها، كلما تجلت بيننا فلاقيناها، أو تجلت بالروح منادية من عوالم الروح في علاها، فسمعناها ولبيناها.

لا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، فما كان عيسى إلا كلمة لله في مهدها بين كلمات في مهدها، وما كان محمد إلا كلمة لله تمت بين تام كلمات، وما كان عيسى إلا آية لله وجماع آيات، وما كان محمد إلا آية لله وجماع بينات، وما كان عيسى إلا عبدا لله من عباد، وما كان محمد إلا عبدا لله من عباد، فلا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله بالآيات والكلمات نحن ظلالتها، لجديد لها بالحق في الخلق، كلمات وآيات.

فهلا اجتمعنا، وتلاقينا، حتى تظهر لنا ولكم الكلمات، وحتى يظهر بيننا وبينكم العباد والآيات، حتى ترفع على أرضنا الأعلام والشعارات، وتزول من أماننا لجمعنا واجتماعنا العقبات، ويرفع شعار الأمان، وانقضاء سلطة الطغاة والطغيان، ورسالة الطاغوت بالبهتان، {لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا}٦.

ليس هذا مستحيلا، {هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة}٧، (فليأت ملكوتك على الأرض كما هو في السماء)٨، (يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا)٩. (لو لم يبق من عمر الزمان إلا يوم، لمد الله في عمر ذلك اليوم، حتى يخرج الله رجلا من أهل بيتي -١٠ (المهدي ولدي) -١١ (لا مهدي إلا عيسى)١٢. (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم)١٣. (مريم إحدى زوجاتي في الجنة)١٤.

هل عرفنا ما بين محمد وعيسى؟ هل عرفنا ما بين محمد ومريم؟ هل عرفناهم أسرة واحدة؟ هل قدرناهم بيتا واحدا، يذكر فيه اسم الله؟ هل شهدناهم وجوها لله، تجلى بها إطلاقه، وأشرقت بأنوارها آفاقه، كان لها من الناس في الولاء لها ولاؤه، وكان منها للناس رحمته وجزاؤه؟ فما كان محمد إلا تمام البيت الموضوع، من الأب والابن والروح القدس، حقا واحدا قائما دائما {وقل جاء الحق وزهق الباطل}١٥، بك {وتمت كلمة ربك}١٦، {وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب}...١٧.

سبحان الله.. هلا تلاقينا على إنسانية الله.. هلا تلاقينا على أعلام الله، بلا تفرقة بين أعلامه، بلا إنكار على اجتماع بيت قيامه بلا تعكير لصفو إنسانيته وبشريته وسلامه، في بيت خلاصه وأمانه، {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا}١٨.

هلا دخلنا في السلم كافة بدخول بيته، وقبول ميثاقه وعهده.. هلا تواصلنا على السلام بيننا حتى يحقق الله السلام والسلم لنا، باستئلال السخائم من قلوبنا، ونشر الكرامة فينا، متابعة لمن برحمته يصطفينا، وبتوليته يوالينا، يقوم بمبائنا ومعانينا، يوم نجعل من أرضنا بقلوبنا بنعمته جنة لنا فينا، وتتواجد على هذه الأرض، كلمات لله، بأشجار باسقة في الأرض ثابتة، جذورها في الأرض تغور، وفروعها في السماء تعلو وتطول، بامتداد أنوار من أنزل معه لدائم من الله النور، يمشي به في القلوب فيخرجها من أجداث القبور.

به ندور في الزمان دورات العصور، لا نعرف لذواتنا القبور، ولا نعرف لمعانينا النشور، ولكننا نملاً ونعمر القبور بالنور، ونهيئ من عملنا القلوب للنشور، من صنعنا بها، من خلقنا لها، من فعلنا فيها، من قيامنا امتدادا لنا بها، من تكاثرنا بمعاني الخلق والحق، لنا بنا فينا، بنفوس لا تبت عن الخلق، ولا تشأ في الحق، بل سلام في قيام، وقيام في سلام، جنة الله بنعمته، ونار الله بحكمته.

إنكم يوم تطفثون نار أنفسكم بالأحقاد فيكم، وتشعلون نار الله في سُرَج مبانيكم، تزرعون جنة الله في أرض قيامكم لمعانيكم، بقلوبكم لمغانيكم، لجديد فعلكم لتواصل قيامكم، فجنتان، جنة قيام في قيامكم تكسبونها بعملكم، وجنة رحمة تدخلونها وتوهبونها من بارئكم.

فيتسع الوجود من عملكم بعرض الله، هو موجودكم به له، لقائه بالسموات والأرض، واسعة على ما تشهدونها، هي كبير خلق ينتظركم من فعل أبوتكم بكم، لمعاني ربكم، تتجدد وتتسع السموات بعملكم لكم. {والسماء بنيناها بأيدٍ} ١٩ هي أتم، {وإنا لموسعون} ٢٠، وما نحن موسعوها إلا بكم ولكم، {أوليس الذي خلق السموات والأرض، بقادر، على أن يخلق مثلهم} ٢١ لخيركم، ولنعمتكم، وهو الذي خلق كل شيء من أجلكم، ولنفسه خلقكم.

إن الذي خلقكم من أطوار إلى طوركم، ومن كرات إلى كراتكم، أيعجز أن يبدل أمثالكم، أو أن يغير أحوالكم، ويستل سخائمكم منكم، ويفيض عليكم من محبته لقيام محبتكم، ومن ألفتكم، ومن رحمته لتراحمكم؟

{قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، بيننا وبينكم} ٢٢، هي لنا ولكم، هي موعودنا وموعودكم، هي شرفنا وشرفكم، هي غايتنا وغايتكم، {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام} ٢٣، يصير إليه كل إنسان بالبر والإحسان، {يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم، الذي خلقك فسواك فعدلك، في أي صورة ما شاء ركبك} ٢٤، {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه} ٢٥، يريدون أن يكونوا وجوها له، ليشهدوا وجهها منه، يوم ينقلبون من انقلابهم، فيعتدلون في قيامهم، ويلحقون بسبقهم، يسوون بهم آباءً لأبنائهم بالله لجمعهم.

إننا في هذا اليوم المبارك، ونحن نبدأ عامنا، نطمح أن يكون بالله ورسوله وكلماته عاما مباركا، وأن يكون ييقظتنا من غفلتنا أمرنا فيه ميسرا متداركا.

في هذا اليوم المبارك لنا صادقين ومنحرفين، في متابعة محمد الأمين، وفي محبة عيسى الخليل الضمين لأخوتنا ولأخوة إخواننا المؤمنين من متابعيه، صادقين أو منحرفين، منظرين وممهلين، نتقدم إليهم بجماعنا مهنتين بهذا العام المشترك بيننا وبينهم، بدءا لأمر، وانتهاء لأمر.

نتوجه إليهم محيين، ردا لتحيتهم، وإن كنا نأسف أننا نحيمهم في أنفسنا، في جمعنا، في دارنا، تحت الثرى في ستر من الله، وفي خفاء من الناس، وهم حيونا في علن، وفي غير ستر من أمرهم، وفي غير خفاء من جمعهم، وفوق الثرى لأرض قيامهم، وإنا لنطمح أننا نكرر لهم تحيتنا فوق الثرى، وأمام كل الورى، في قادم من يوم، في قادم من زمان، ونطمح أن يكون في هذا العام الذي في عنوانه تلاقينا، وبسره،

حُيِّنَا وَحَيِّنَا، فنحن لا نفرق بين أحد من رسله، ولكل رسول سمعنا وأطعنا، ولكل رسول استقبلنا واتبعنا، ومن كل رسول قبلنا وانتفعنا.

بهذا في عديد من قلة على مدى العصور تواصلينا، وعلى مدى الزمان به في الله تلاحقنا وتلاقينا، وفوق الزمان به سمونا، وجماعات اجتمعنا، وبحضرة الله ألحقنا وجمعنا، وباسم الله تجددنا فتحدثنا، كلها اجتمعنا، ومن اسم الله ومن الله سمعنا كلها خوطبنا، وقد شهدنا مع من شهد معنا أنه لا إله إلا الله، وأن محمداً، وأن عيسى، وأن موسى، وأن إبراهيم وأن نوح وعمران، وأن آدم ونوحاً، وأن آدم قبل آدم، وأن أودم بعد آدم، كلها كان لرسالة الله، فكان لرسول الله وإنسان الله بحق الله مسيح، وكانوا بحق رسول الله متوفى لصحيح، وكان باسم رسول الله جميل ومليح، كانوا عباداً لله، ووجوهاً له، تنزه الله عن المثال، وتنزه الله عن النوال {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً} ٢٦.

عَلَّمَ الناس تجديد أنفسهم، والخلاص من كل قبيح تخلقاً بأخلاق الله بلا إله إلا الله، برسول الله، إليه نُسب، وعبداً انتسب، ليكون للناس بكوثره لقبه وبعده رسول الله إليهم، قام لقائه وقيومه بكل وجه ظهر برسالة الله، نتوجت رسالة الله بأحمده، ومحمده، وحامده، ومحموده، في الناس من الناس، عباداً للرحمن بنور الله، فيهم يتواجد، وبهم وجوهاً لله يُشهد، وبه حقائق لله، من الله بمطلقه، بقاءه وقيومه، بمنزله ومعلومه، يُشهدون، ويعرفون، وعلى أمرهم يعانون (خلفت الله عليكم) ٢٧.

فهلاً تلاقينا على لا إله إلا الله، وهلاً تألفنا على رسل الله، لا نفرق بين أحد من رسله.. هلاً قلنا وقلتم معنا، سمعنا وأطعنا.. هلاً هدفنا وهدفتم معنا غفرانك ربنا.. هلاً طمعنا وطمعتم معنا، وإليك المصير، فعلى الله تلاقينا، وعلى الدنيا تسالماً، وعن كتب الله علمنا، وجماع كتبه وصحائفه، في كتاب جمعنا، بإنسان الله اعتقدنا، أبناءً له بالحق بعثنا، بإنسان عرفنا، لمثال فيه فينا قامنا واتصفنا، وبه بشراً شرفنا، وأبناءً لإنسان الحق عرفنا، وعباداً لله وُصفنا، وبيوتاً لله في القلوب قننا، وكلمات لله كلها تجددت بيننا دخلنا، وعلى الحق بها في قلوبنا اجتمعنا، فقلنا معاً لا إله إلا الله، وقلنا معاً عباد الرحمن رسل الله، يجمعهم معنى رسول الله، في قائم غيبه، لقيام شهادته، كوثرنا في شهودنا لا يبر عن وجودنا، ولا يشناً في جمعنا.

فبذلك تحققنا، ومن قبيح أنفسنا تخلصنا، وبمليحها بعثنا وفي الله سلمنا فسلمنا وتسلمنا.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

لا إله إلا الله، عيسى كلمة الله.

لا إله إلا الله، آدم أمر الله.

لا إله إلا الله، انخضر عبد الله.

لا إله إلا الله، (برش) روح الله وأمين الله، ورسول الله وعبد الله، وقبس نور الله لعباد الله.

هذه هي اليوم رسالة السماء، وهي رسالة الفصل والقضاء، والنعمة والجزاء، لرسالة الأرض بالأنبياء والحكماء والمعلمين والأولياء، قاموها بأمر وفيض السماء. واليوم جمعها الروح، لمن لم ييأس من الروح والعطاء، {إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون} ٢٨، جمعها الروح لمن يؤمن بالله، إيماناً بالروح {هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة، أو يأتي ربك} ٢٩، {تعرج الملائكة والروح إليه} ٣٠.

إن الله بث في السماوات والأرض دوابها، وإنه على جمعها لتقدير، وها هو في رسالة الروح اليوم يجمعها، وعلى كلمات الله يجتمعها، ويجمع على جمعها عوالم الروح، وعوالم الكواكب، وعوالم الأرض، وعوالم البشر، عوالم الروح بطبقاتها، وعوالم الأرض من الروح، ومن الإنس، ومن الجن بدرجاتها، في وحدانية قيام لأحدية حق.

رسالة جامعة عامة، بها جاء الروح قائماً وقياماً لرب العالمين، مواصلة لرسالة الفطرة، بدين الفطرة، رسالة تجمع الناس على رب العالمين في أنفسهم، في قلوبهم، في قائمهم، برب العالمين لكل نفس، وعلى كل نفس، لا شريك له.

ظهره الإنسان، رسولا منه لمُرسل فيه، إلى مرسل إليه له، ذاتا وروحاً.. ظهره إنسان السماوات والأرض لقاءً السماوات والأرض.. وظهره إنسان الغيب لعوالم الغيب.. وظهره إنسان السماء لمعنى السماء.. وظهره إنسان الله في الأرض لأهل الأرض، وتلاقى فيه إنسان الأرض على إنسان السماء، وتلاقى فيه إنسان السماء على إنسان الغيب، فتواجد الإنسان والإنسان للإنسان في الإنسان لحقيقة الرحمن، وجوها له، وأعلاما عليه.

هذه هي أقانيم الإسلام، يتلاقى بها الإسلام، مع أقانيم بني إسرائيل، لأقانيم النصرانية، بأقانيم العقيدة العيسوية تماماً لتحقيق أقانيم إسرائيل واليهودية، لمعاني وحقائق الإنسان الواحد لقاءً الربوبية في إنسانية الرشد، عرفها وعرفها دين الفطرة، جاء به الرجل الرشيد، حتى يسفر الموعد، وحتى يتحقق الناس بالموجود، وحتى تشرق بنور الحياة القلوب، يوم تتحرر برحمة الله العقول، وتزكو بنار قدس الله النفوس، فتزرع أرض القلوب، وتنطلق من قيودها الأرواح، فلا تسجنها بأسوارها الأشباح، فيعلو أمر الله، وتظهر كلمات الله، وهو ما يقومه اليوم وفي هذا العصر الروح برسالته.

بذلك يتحقق الناس، وتشرق الأرض بنور ربها مرة وأخرى، ويوضع الكتاب، ويرفع الحجاب مرة وأخرى، فإذا الناس بين شقي وسعيد، لا يطغى السعيد بسعادته، ولا يهان الشقي بشقاوته، بل يأخذ

السعيد بيد الشقي، كرة أخرى، مبشرا، راحما، ميسرا، مُعلها، حتى يظهر الله، قائم الشقي والسعيد، وقيوم الشقي والسعيد، الناس جميعا له، والناس جميعا لأمره، لا يختلف في ذلك شقي وسعيد، {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} ٣١، {ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فترة} ٣٢، يجتمعون ويتخاطبون {أنظرونا نقتبس من نوركم} ٣٣.

{يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم، لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا} ٣٤، (إذا لم تذبوا وتستغفروا، لأتى الله بقوم آخرين يذنبون ويستغفرون، فيغفر الله لهم) ٣٥، {ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل} ٣٦. إنكم منظرون إلى اليوم المعلوم، من مثل ما تشهدون.

يا عباد الله، اتقوا الله، واسترحموا الله، وأحبوا بعضكم بعضا محبة لله، بحبة بعضكم لبعض، متحابين، متآلفين، لا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، ولا شرف لمؤمن بدين، على مؤمن بدين، الكل في دين الله، ما كان في صفاء ويقين.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وصفي الله، و خليل الله، وحبيب الله، أخوة النبيين، وأبوة المؤمنين، وجوهر وروح الحكماء والمعلمين، وقيوم وقيام العارفين، وشفيع المذنبين، وتعالى الله رب العالمين.

أضواء على الطريق

يقول السيد سلفربرش في حديث له بصدد بيان قانون الفعل، ورد الفعل، في حياة الإنسان بين عالميه من الذات والروح:

(نحن لا ندين الرجال الأئمة الذين يخطئون لأنهم لا يدركون.. وإنما ندين الذين يعلمون أن ما يقولونه وما يعملونه ليس له أساس من الحق، ويقولون بتبرير أنفسهم، "إذا لم نفعل ذلك فما لنا من كرامة، وما لنا ما نلقيه من تعاليم"، وعلى كل حال لو عمل الخطأ بدون قصد فيجب أن يصحح، وفي هذه الحالة يقوم المخطئ بالتطهير عن طيب خاطر، ويكون التطهير خدمة سارة وممتعة مرضية لأنه يعمل برغبة من النفس.

إن العدالة الأبدية لا يُسخر منها، يا حبذا لو استطعتم رؤية تنفيذ القانون كما أراه أنا ومعرفة مقدار الاعتدال الدقيق في ميزان العدالة. عندئذ سوف يعلمون أن الروح العظيم لا يخطئ.

هلا تثقوا من أن كل معلم عليه مسؤولية عظيمة؟ لطالما سمعتموني أخبركم وأذكركم بأن لديكم المعرفة ولكن عليكم المسؤولية التي تجلبها المعرفة. إذا ما حاولت أن ترفع نفسك فوق إخوانك كيما تقودهم وتعلمهم يجب أن تتأكد من سلامة الأرض التي تقف عليها. إذا لم تكن قد عرضت نفسك لكل فحص ولكل اختبار، وإذا لم تكن قد واجهت كل نقد ممكن، إذا لم تكن مقتنعا أن لك شخصية

مستقلة، إذا لم تكن متأكداً من صدق كلماتك فيما تلقي من تعاليم، فلا تجلس مجلس المعلم، وإلا فيجب أن تدفع الثمن لتهاونك وإهمالك .)

وأشار المرشد إلى صدق المساعدة التي يقدمها الروحانيون للأرواح المتأثرة بالتعاليم الخاطئة، وملازماتهم للمقابر بجوار أجسامهم انتظاراً ليوم القيامة، وأن هذا من المتاعب العظمى لإصلاح هذه النفوس إذ لا يمكن عمل شيء لهم قبل أن يتعلموا كيف يغيرون أفكارهم ويحطمون الأسوار التي خلقوها من حولهم من فعلهم.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة سبأ - ١٣
- ٢ سورة البقرة - ٢٩٦
- ٣ تم تصويب هذه الكلمة وفقاً للنسخة الأصلية المراجعة من السيد رافع.
- ٤ استلهاما من الحديث الشريف: "إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا فَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَزْنَ: الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ..." أخرجه مسلم في صحيحه.
- ٥ حديث شريف: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى". أخرجه أحمد بن حنبل
- ٦ سورة الإسراء - ٩٥
- ٧ سورة الأنعام - ١٥٨
- ٨ من الصلاة الربية للسيد المسيح عليه السلام: "ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء، كذلك على الأرض." (مت ٦: ١٠).
- ٩ من حديث شريف: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا...." أخرجه البخاري ومسلم.
- ١٠ حديث شريف رواه الإمام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه، أخرجه أبو داود، وأحمد باختلاف يسير. وجاء بلفظ "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني-أو من أهل بيتي- يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً." أخرجه أبو داود، والترمذي مختصراً.
- ١١ حديث شريف: "المهدي رجل من ولدي، وجهه كالكوكب الدرّي". أخرجه الطبراني.
- ١٢ حديث شريف رواه ابن ماجه.
- ١٣ من حديث شريف: "أَنَا أَوَّلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فِي الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةِ قَالُوا: كَيْفَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عِلَالٍ، وَأُمَمَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ." صحيح مسلم.
- ١٤ حديث شريف: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامرأة فرعون وأخت موسى." أخرجه الطبراني.

سورة الإسراء - ٨١	١٥
سورة الأنعام - ١١٥	١٦
سورة الزمر - ٦٩	١٧
سورة الأحزاب - ٣٣	١٨
سورة الذاريات - ٤٧	١٩
سورة الذاريات - ٤٧	٢٠
سورة يس - ٨١	٢١
سورة آل عمران - ٦٤	٢٢
سورة الرحمن - ٢٦-٢٧	٢٣
سورة الانفطار - ٦:٨	٢٤
سورة الكهف - ٢٨	٢٥
سورة مريم - ٩٣	٢٦
عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.	٢٧
سورة يوسف - ٨٧	٢٨
سورة الأنعام - ١٥٨	٢٩
سورة المعارج - ٤	٣٠
سورة القيامة - ٢٢-٢٣	٣١
سورة عبس - ٤٠-٤١	٣٢
سورة الحديد - ١٣	٣٣
سورة الزمر - ٥٣	٣٤
حديث شريف: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُدْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ." صحيح مسلم.	٣٥
سورة فاطر - ٣٧	٣٦

(١٣)

الله والإنسان الأصل والعنوان الربان والعبدان الحقان والخلقان

حديث الجمعة

٥ شوال ١٣٨٧ هـ - ٥ يناير ١٩٦٨ م

إنها مثالية تتكرر، لمن كان شائته أبت، ومؤمنه كوثر، كافة للناس ظهر.. وكان من الله الكلمة والخبر، والكتاب والأثر.. وآدم وما عنه عبّر، ما ظهر الله في شيء، مثل ظهوره في الإنسان، ربا عرف، وما ظهر الله لشيء، مثل ظهوره للإنسان عبدا شرف.

فمن كان الله؟ ومن كان الإنسان؟ ومن يكون الله؟ ومن يكون الإنسان؟ وما هو كائن الله، وما هو كائن الإنسان؟

إن الله لفظ.. وإن الله معنى.. وإن الله شيء.. وإن الله إحاطة الشيء.. إن الله وجود.. وإن الله موجود.. وإن الله متواجد.. وإن الله يُوجد ويوجد.. إن الله قضايا.. إن الله أمور.. إن الله قوانين ونواميس.. إن الله مشرّع ومقنن.. إن الله محل التشريع والتقنين وموضوع النواميس والأفعال. إن الله على ما هو الله، في كل ما كان الله، وبكل ما يكون الله.. ما ظهر في شيء، أو أمر، مثل ظهوره بالإنسان، وللإنسان، وفي الإنسان.

وإذ قال ربك إني جاعل في الأرض خليفة.. من الذي قال هذه المقالة؟ ومن الذي استمع لهذه القالة؟ ومن يكون الخليفة؟ ومن هو الخلف؟، وعلام يستخلف؟ ومن هو المعني عند المتحدث؟ وما هو المدرك عند السامع؟ إن الذي قال، هو الإنسان.. وإن الذي سمع، هو الإنسان.. وإن الذي كان

الحديث عنه، هو الإنسان.. وإن الذي تحدث إليه المتحدث قديما هو الإنسان.. والخليفة هو الإنسان، والمخلّف هو الإنسان، والمخلّف عليه هو الإنسان. يُعرف ذلك لمن كان أو أصبح إنسانا.

إن الإنسان ظهر كل هذه القضايا، فما حمل الوحي إلا الإنسان، وما استقبل الوحي، وتقبل للإيحاء، إلا الإنسان، وما بعث للوحي إلى الإنسان، وحيا وإنسانا، إلا مرسله، وما كان مرسله إلا الإنسان، (منك وإليك يا رسول الله)¹، (ما أمنت مكر الله إلا بمصاحبتك)²، فيقول الرسول (أنا روح القدس)³، ويقول الكتاب فيه عنه {إن هو إلا وحي يوحى}، في الله ذي المعارج، وما كانت المعارج، إلا مراقي الإنسان، ماثلة بإنسان وإنسان، وما كان العارج إلا الإنسان، وما كان المعروج إليه إلا الإنسان. وما كان القدس والأقدس إلا الإنسان. وما كان الروح والروح الأعظم إلا الروح للإنسان.

فهل قدّر الإنسان معنى الإنسان؟ هل طلب الإنسان الرفيق الأعلى من الإنسان؟ هل قام الإنسان برحمة أخيه الإنسان، رفيقا أدنى، وعين العنوان للأعلى قائم الإنسان؟

هل علم الإنسان أخاه الإنسان عن عالي الإنسان، ليعلو بهمته يوم يُحدثه عن نفسه نواة إنسان، ويضرب له مثلا بنفسه، لقدوته نواة عنوان لقائم وقيوم إنسان؟

هل تحدث الإنسان عن الرحمن؟ هل طلب الإنسان الرحيم الديان مؤمنا بالإنسان لمقام الإحسان، عنوانا لعنوان في كبير الوجود، في الواسع الموجود، في الوجود المشهود، في الأمر المعهود، بسيادة الوجود على كائنات الوجود، وجودا لوجود، وإنسانا لإنسان، أمر يشهد للإنسان في نفسه بسيادة كائنه حيا موجودا، على كائنات هيكله لوجوده، بماديه لماديتها ينهي حياته وقيامه، فينهي حياتها وقيامها؟

إذا مات الجسد ماتت كرات الدم البيضاء، وكرات الدم الحمراء، وجفت أنهار العروق، وتبخرت مياه المصارف، وأحلت أرض الهياكل وماتت خلائق الخلايا، وسكتت رسالة القلب بنبضاته، وانتهت حكمة العقل بنظراته، ونحمت الذات عن حركتها، وتعطلت الصفات عن قدرتها، وقبرت الجوارح في جدتها وجثتها. إنها الحياة وغيبتها في جانب الحياة بمادتها، وإنه انطلاق الحياة بحقيتها، إلى قائم حضرتها. إنها أمر التحرر من القيد.. إنها لحظة التخلص من الكنود والعند.. إنها الكشف للعندية في الله في سفور.. إنها الخروج من القبور.. إنها الحشر والنشور.. إنها البعث والذكر.. إنها القيام والأمر من جدث الأرض، لدايم القيام والعرض، فيمن لا شريك له من سماء أو أرض.

إنها الدخول في الإنسان، من قائم العنوان إلى عالم الحق المطلق في الإنسان المنطلق، في مسيح الوجود، في روح الكون.. في كتاب الكائنات.. في جماع الروح.. في المحيط بالأشياء.. في رسول الانتهائي.. في

إنسان المعارج.. في المربوب من مطلق الوجود، من لانهائي الروح.. في الرب المشهود لظلال وجوده، للمستبقي لكرمه وجوده، للمؤمنين بموجوده، لرسول الله، قائم مرسله، وقيوم المرسل إليه، بقائم ثلوثه.. الأمر الوسط لكتاب الوجود، لأُم الكتاب، للحجاب الأعظم، لمن كل تافه به يعظم، لمن كل ميت به يحيا، لمن كل موجود به في الله يُمسح، يحيا به من طلب الإيمان، ولنور الله صدره أفسح، ولمشكاة صدره بسراج قلبه بوجدته وعشقه أشعل فأشرق، ونارَ فتحقق، وبروحه انطلق، وب عقله قرأ، وب عينه نظر، وبأذنه سمع، وبشفتيه تحرك فتكلم، واختار لكلامه من يسمع، فكلّم.

بالحق دنا وبالحق تدلى جماع كلمات تمت، وبالحق صعد، وبكلمات الله من الناس لم تتم إلى الله لإتمام كلماتها لها في دوام يصعد، فبحقائق الله إلى خلقه ينزل، فلكلمات الله بهم لها يجدد، ولأوامده بهم ينشئ ويعدد. في الناس بحق الله وروحه يتواجد، فيوجدون، وبنوره فيهم يتصل فيتحققون، وإلى جماعه يوصل فمن أدنى لأعلى يتعارفون، وبأعلى لأدنى يتراحمون، وبوحدانيته فيه يعرفون ويتعارفون، كعبة لقائهم يطوفون، ويد عطائه، وقانون جزائه، وببيت خلاصه ورضائه يدخلون، وشرعة ولائه، ونعمة رجائه يتابعون.

جاء الحق به كافة للناس، لأناس لا يفرقون بين الله ورسوله، ولا يفرقون بين رسوله ورسله، ولا يفرقون بين رسله ومثله، ولا يفرقون بين الخالق وخلقته، ولا يفرقون بين العبد وربّه، ولا يفرقون بين الحق ووجهه، ولا يفرقون بين الكل وبعضه، ولا يفرقون بين الآباء وأبنائهم، ولا يفرقون بين الأبناء وآبائهم، فالمؤمنون بالله ورسوله بذلك يتواصلون، وعليه يتلاقون، وله يعملون، ولأنفسهم يحصلون.

إن المثالية التي ضربت للناس من قديم، والتي تضرب في دوام في قائم، والتي هي في قائمهم قائم، وفي أمرهم دائم، إنما هي الإنسان للإنسان، الإنسان في شهادته للإنسان في غيبه وكنزيتة، الإنسان في حقيقته للإنسان في خلقته، بالإنسان في جماع خلقته وحقيقته للإنسان في حقيقته، بقيامته من خلقته، خلق مع خلق يتلاقون، وحق مع حق يتوحدون ويتعارفون.

هذا ما كان في تمامه وكماله، لمحمد ومثاله، في قائمه بفردته وجمعه وآله، في بيانه بكتابه وحاله، في قائمه بشهوده لمن حوله في موجوده، شهوده عين المجتمع عليه من غيبه لقديم تواجدته في قديم موجوده، على مثال من تواجد قائمه في قديم وجوده، فكان بذلك ثالث معناه، للجديد المحدث، والأقدم المحدث، والقديم الذي لم يحدث.

إنه مظهر الثالث، بدانيه لقدمه، لإنسان قائمه، بحق قيامه، وجهها لعليمه وعلامه، رأس الإنسان وقدمه، قلب الإنسان وهيكله، عبر عن وحدة الوجود بآحاده لشمسه وقمره، وأرضه، وأفلاكه

بسماءات أراضيه، وشموس شمسه وشمس شمسه، وقر أقماره وأقمار قره، أقماراً وأقماراً من مثاله، كان على الحق العنوان، وقائم الحق للعيان، إنساناً لإنسان عند إنسان في إنسان.

إن هذا الذي كان قائم كائن، ومن قبل أن كان، كان بقديم كائن، إلى ما كان ولم يكن قبله كائن، {وقل جاء الحق وزهق الباطل}°، {أولم يروا أنا نأتي الأرض، ننقصها من أطرافها}٦، برسالة متصلة دائمة، لحقيقة عاملة قائمة.

إن الذي تم لمحمد فتوفى، وبالحمود من المقام بُعث فقام، فكان في سلام الله، وكل ما فيه في سلام، إنما هو أمر يتجدد في دوام، في دورة العصر والدهر في الزمان، لما هو الإنسان فوق الزمان وفوق المكان.

يتساءل الناس، يوم تستيقظ عقولهم، من يكون سلفبرش؟؟؟ إن سلفبرش لا يخاطب الناس إلا وحياء.. أو من وراء حجاب، فيأمر موصولييه، وُجِب حقه، وقائم نفسه، وألسنة نطقه، وكلمات كتبه، وامتداد وجوده، وإشراقات نوره، ومضات تواجده، ووسطاء ظلاله، وقائمي حاله.. قولوا لهم عن لساني.. فأنتم بلساني تتحدثون، وبمعرفتكم عنكم، معرفة عني، في قيام بي، بقائم مني، إلى قائمين في غفلتهم عني، مزوية أرضهم لوجودي، مبيأة قلوبهم لشهودي، مُعدة عقولهم لموجودي، لجديد في وجودي، لظهور موجدي، لحقي تواجدي.. قولوا لهم عن لساني وأنا في ألسنتكم الناطق، قولوا لهم عن بياني وما كنتم في غيري، غير بياني ولساني، لكم بي يوماً قائم عنواني.. قولوا لهم.. (إني عبد الله)، وهل في الوجود شرف، أشرف من أن يكون الموجود عبداً لله! (إني عبد الله).. إني أشرف ما في وجود الله، الذي يملك كل وجود، ويملك العبد جماع العابد والمعبود، ويملك الكون جماع الخالق والمخلوق، ويملك الملك والممالك والمملوك، ويملك كل مالك، ويسود كل ملك، وينزل دون كل مملوك. إنه الإحاطة، لا قبل لها ولا بعد، لا فوق لها ولا تحت. إنه الإحاطة، لا شريك لها من محوط، ولا سلطان عليها من محيط.

قولوا لهم إني عبد الله.. قولوا لهم إني شرف العبودية لله.. قولوا لهم إني حقية العبد لله.. قولوا لهم إني العبد لله، روح من روح الله، أمر من أمر الله، لطيف من لطيف الله.. قولوا لهم إني قبس من نور الله، بين أقباس من نور الله من مثالي، لأقباس من نور الله نحن لها فيها، لأقباس من نور الله هي فينا لنا، أقباس من نور الله هو فيها، لأقباس من نور الله هي فيه، أما يرضيكم هذا!! أما يكفيكم هذا!!

إني روح لذات هي بي ذات لروح، من كنت روحه كان ذاتي، ومن لقي ذاتي فدخلها بابا لساحتي، كان روحي وكنت روحه، فمن كان ذاتي كنت ذاته، ومن كان روحي كنت روحه، فمن كان ذاتي وكنت ذاته، ومن كان روحي وكنت روحه، كان مني وكنت منه.

من عرفني طلبني.. ومن طلبني وجدني.. ومن وجدني عشقني، ومن عشقني محوت ماديته، ومسحت ظلاميته، ومن محوته ومسحته كنته وكنت مسيحه.. كنت صحيحه ومليحه، وخلصته من ذميمه وقبيحه، وخلص بعمله وبهدي ومعونتي من كنوده، ومن معزول وجوده، ومن مادي تواجده إلى روحي تواجداته، كان حقا وكلماته، وكان أمرا لله وآياته، كانني يوم كنته، وكنته يوم كانني.

أنا من ظهر لكم فأنكرتموه، وقام بينكم فجحدتموه.. أنا حق رسول الله ورسله ما عرفتموه.. أنا ربه، وهو ربي.. هو مني وأنا منه.. هو ولدي، وأنا وليده.. هو جديدي لقديمي.. وأنا قديمه لجديده.. هو قائمي وأنا قائمه.. هو دائمي لوجودي، وأنا لوجوده دائمه لا فرق بيني وبينه.

علمني من علمه، وكلمني من كلمه، وعرفني من عرفه، وجافاني من جافاه، وكفر بي من كفر به، ووالاني من والاه، ووصلني من وصله، ومن كان لي كان له، ومن كان له كان لي، لا فرق بيني وبينه، ولا فرق بينه وبينني. لا فرق بيننا ولا افتراق لنا.

حقان، وإنسانان، توحدا، وجمعهما في أعلى الأعلى للعنوان إنسان، وجمعهما في أدنى كل علي، لبيان فيه يجتمعان. جمعهما عالي الإنسان، قدسي الوجدان، رباني الإحسان، إلهي البيان. جمعهما من تخلق بالخالق، من لم يظهر إلا بجديده منه تخلق، قايما للعنوان المرموق، بالحق المتجلي، لا يظهر إلا في القلوب، يوم يتجلى للذكر بالمقصود المحبوب، تلقاه القوالب وتعرفه القلوب، يوم تكشف عنها أغطيها، بجاهداتها، بأمر الله في أمرها، بإرادة الله في إرادتها، بمشيئة الله في مشيئتها، بقيام الله في قائمها لها، قائم وقيوم وجودها.

بحقها تتواجد، ففي موجودها تتصاعد، في لانهائي تواجد للانهائي تصاعد، أمرا وسطا بين الأمر وبين المفتقر في حيرته لأن يؤمر، فبأمر الأمر يأمر، بالعروة الوثقى يقوم، وبالأمر الوسط يدوم، ليس في مطلق الله للقائم بالحق من الإنسان، إلا العروة الوثقى، والأمر الوسط. ما صعد وتعالى صاعد متعالي، إلا لقي عال من أعلى. وما هبط ونزل متواضع متداني، إلا استقبله متواضع من أدنى لأدنى. إنه الرسول من المرسل عند المرسل إليه دائما وأبدا على ما هو الأمر قديما وأزلا، في كل صعود وهبوط، إنه الناموس.

بذلك كان محمد حقا من حقائق، بما أظهره عليه الأعلی، من أمر الدين كله، وبما تلقى من كلمات لله لكلمات لله في قائم وجوده قديما، وفي محدث وجوده متجددا متكاثرا، فكان محمد بذلك إمام الناس لآدم الناس، وآدم الله لآدم الله، وآدم وسطا بينهما لمعنى رسول الله بين سابق من أوادم، ولاحق من أوادم، فكان في قائمه بذاته آدماء، وكان بأتمته جماعا لأوادم.

فقال لنا مبشرا، وهاديا معرفا، وإماما معلما، أعطيت جوامع الكلم، فما أدركنا، وعن موجوده إلى موجوده تجاوزنا، وما كنا بعد مع موجوده اتحدنا، فكندنا، ورددنا، ورُفِضنا.

ردتنا السماء ذات الرجوع، مرة وأخرى، إلى الأرض ذات الصدع، فيها لبثنا أحقبا، وجددنا على الأرض جلودا وثيابا. وها نحن هذه المرة، رجعنا إلى الأرض مآبا، وقد لبثنا في يوم الفصل أحقبا وأحقبا.. وها نحن رجعنا لإدراك ما جهلنا من أمر أنفسنا طاغين، ولو كنا صالحين ما كان لنا إلى الأرض مآب وحنين، وما كان لنا عليها جديد ثياب بجلود، عذابها عندها كان غراما، نتعرض للشمس وزمهريرها، وتزعم أنها في الجنة ونعميها...

ما دخلت في حياة لا شمس فيها ولا زمهريرا، حياة فوق المكان وفوق الزمان.. ولكنهم في النار والنير، لهم فيها شهيقي وزفير، في شهيقي أهلها وزفيرهم، ليتنسموا ريح الحياة من حولهم، يضيفونها على محروم منها لداخلهم. هلا عطروا بذكر الله شهيقهم وزفيرهم، فكانت النار بردا وسلاما لهم، فبعثوا بالحق في القلوب، وصقلوا بقائم الرب القوالب، فطوروها من قالب لقالب، وجددوها لقلب لا شريك له من القوالب، لا تأخذه سنة ولا نوم في قالب.

قلب هو قائم أرض الله وجنته لذاته وصفاته، فحمدوا الله الذي أورثهم الأرض، بين جوانحهم وفي صدورهم، فسبحوا في الجنة عرضها السماوات والأرض لا حد لسمائها بعاليها، ولا حد لسفلها بدانيها، سبّحوا بقدرتهم وإرادتهم، كما يشاءون، وفي فسيح الوجود انطلقوا، وحرصوا على انطلاقهم، فما عادوا إلى قيد بجلدتهم، وقد توفوا إلى حقيقتهم، على ما وعدهم من خلقهم لنفسه، وعبدتهم لذاته.

إن هذه المثالية للناس لاقتدائهم بقدوتهم، كانت لمحمد، هي لهم برب محمد، وبرسول ربه إليه، روحا ألقى، يحمل نورا أشرق، لقلب افتقر، وعقل انبثق وانطلق واتسق^٧، لروح تحرر من شتات مقيد، إلى إنسان على أرضكم تجمع ومنها انطلق.

ولكنه وقد بُحَّ صوته لأسماعكم، وكلت قدمه في آثاركم، منكم لم يُسمع، سمعته الآذان ولم يسمعه الوجدان، سمعته القوالب ولم تفتح لسماعه القلوب، وهو ما جاء للقوالب وما كان بين القوالب قالبا، ولكنه جاء للقلوب، وكان للقلوب قلبا، زويت له الأرض، وهي قلب إنسانها، جاءها ليكون قلبا لقلبها

وليكون لقلوب أبنائها كما هو لها قلب، ولتكون له، وليكونوا له قلب، فهو الكوثر وصاحب الكوثر، وهو للحق بالحق قائم مظهر.

ها هو يعود من السماء للروح، بسماواته.. وها هو ينشق عن الأرض للأرض، بأراضيه لذواته.. ها هو جمع الناس انشقت عنهم الأرض في يومكم.. وها هو جمع السماوات، انشقت عنها سماء الروح تدانيكم، هو في ركب الأرواح من ورائها لها جماع، وهو في صالح الأشباح في قائمكم لعصركم لها اجتماع. إنها ثورة الوجود لتجديد نفسه، وحمايتها من حماقة جنسكم لموهوم جنسه.

{هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة، أو يأتي ربك}..^٨ {عسى أن يبعثك ربك، مقاماً محموداً}، في قديم عرّفته وعرفّته، وفي قديم شهدته وأشهدته وقته وفي القلوب نشرته وأقّته، ولقادم لك ولقومك رجوته، وها أنت بقائم بدأت فحقته، وفي قلوب الناس شهدته وأشهدته، فبعزته لك، فيهم عليهم أعليته، قبلتهم لنفوسهم وبنفوسهم بالحق نفساً لك، بعثتهم وأقّته، سجنّتهم فيهم فيه فأطلقته، وجسدا لهم بقلوبهم طويته فأحييته، وقلبا مشرقاً أوسعته، وفي الناس نشرته، وبيتاً لك دخلته وأدخلته، فأحييتهم وأوسعته، يوم أنت بهم جددتهم فجددته، فحققتهم وكوثرته، ومن التقييد طورته، وإلى الإطلاق يسرته، توحدته وحررته، وإلى الانهائي له بالمنطلق قصده.

أنت رسول الله، أمراً لله عرفته وقته، وتوحدته ووحدته، فوحدانيته أشهرته، وشعار لا إله إلا الله أبرزته ونشرته، ونصبا بين الناس لله قته، فكنت الكعبة وبيته. والناس، عبداً وأرباباً، بالله فيهم قته، ولهم عنهم أشهدته، وقلت لهم فيهم قولاً بليغاً وصلته، فالعروة الوثقى، لهم، بعثت فبعثته، وبالقديم وبالجديد لهم وصلته، وللقديم والجديد بالحق، بهم عليهم، جمعته.

أنت برزخ الناس.. أنت الناس.. أنت رب الناس.. أنت عبد الناس.. أنت حق الناس.. أنت خلق الناس.. أنت ملك الناس.. إيماناً بالله ورسوله عرفناك، وكلمات لله ورسوله قمنّاك، فشهدنا عيسى قام بمعناك، في معناك.

فإذا ونحن قائم أمته آباءً وأبناءً عرفنا؟ وبأي أمر منه لنا بنا شرفنا؟ هل به تلاقينا؟ وهل فيه تواصلينا؟ وهل به تسامينا؟ هل فيه تناجينا؟ هل معه تنادينا؟ أم أنّا له بيتاً هدمنا، وأهلاً قطعنا! وكوثرنا به ما تواجدنا، لكوثره لنا ما وردنا، ولا قبلنا! في شهداء علينا هو عليهم الشهيد، ونحن بهم على الناس الأمر الوليد، والحق الجديد، والأصل الفريد ما عرفنا! وهذا ما به أمرنا، وهو لنا به شرفنا.

هل وعينا ما جاء به كتاب الله؟ هل قدرنا ما قام فيه بيننا رسول الله، قامه بذاته وجمعه، وجدده بجديدها وظلالها من بعده دوام قيامه بذاته وظلاله في قائمه بحضرته، في أمسه وغده ويومه؟ هل

جددنا يومه لأيامنا؟ هل جددنا قومه لأقوامنا؟ هل جددنا بيته لحياة بيوتنا؟ هل جددنا وجوده لتواجدنا؟ هل جددنا حقه خلقة فينا، تخلقا بمعانيه لمعانينا، يوم رددنا إليه معانينا لتكون في معانيه، وأضفنا إليه مبانينا لتكون في مبانيه، حتى تكون بيوتنا في مدينته، ولبنات لبيوته في حضرته، في لا إله إلا الله، لقائهما بمحمد رسول الله؟

أم أنها عندنا لغو من كلام، خالٍ من قيام، بعيد عن العلام، مستقل عن موجود العليم، وهو بيننا مقيم؟ أليس فيكم من رجل رشيد؟! يقوم به الأمر من جديد.

ها هي السماء تدانيكم بروحها.. وها هي الأرض تنشق بحقائقها لمن ألقى السمع وهو شهيد.
لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم يا من كنت لنا برحمتك يقظين وغافلين.. اللهم اكشف حجاب الغفلة عنا كرما وعفوا وجودا.
اللهم بمن كشفت عنه كل حجاب، وجعلته كل قيام وإياب.. وجعلته المحب برحمتك.. وجعلته الإشراق بطلعتك.. وجعلته الفعل بعزتك.. وجعلته الصبر بحلمك.. وجعلته الهمة بنجدتك.. وجعلته السعي في طريقك.. وجعلته الطريق.. وجعلته الصديق.. وجعلته الرفيق.. وجعلته حياة الطريق لطالبي الحياة.. وجعلته نعمتك للمفتقرين إليك.. وجعلته طلعتك للمتلهفين عليك.. الحريصين على الحياة، حرصا عليك، المستقبلين لقلوبهم، بيتا لك، الشاغلين لعقولهم بحثا عنك، المسخرين لجوارحهم مرضاة لك، المجافين لماديهم اتقاء غضبتك، المحررين لأرواحهم إجابة أمرك، الساعين إليك في أنفسهم رجاء نعمتك، الباحثين عنك في معانيهم إيمان وحدانيتك، الراضين عنك في مواليتهم، المؤمنين بالله ورسوله بهم، لقائهم وأمرهم فيهم، الراضين عن الرسول ليكونوا به كلمات لله ورسوله، الراضين عن عيسى، وعن موسى، وعن إسحق، ويعقوب، رفاقا قامت فيهم معانيهم، الغافرين للأسباط وعاذريهم، المتأملين في هذه الأنماط، وحكمة الله فيهم، المتأملين في أمر إبراهيم وإسماعيل ومواليهم، المستمعين لقول إبراهيم وإسحق وبنيتهم، الطائفين حول محمد.. حول المسود.. حول المعبد.. حول المجد... حول الممهّد.. حول المسلم.. حول المسلم.. حول المعلم، حول المعلم، كوثر الوجود، وسر الحياة لكل موجود.. إنسان الله وعبد.. رسول الله ورحمته.. الكلمة الطيبة الثابتة والجماع.. البستان ذي الكلمات والأشياء.. الجنة وجماع الجنان، هو ما يمكث في الأرض من الآيات، وما ينفع الناس من أحواض الحياة والحيوات، وحضرات الرحمات، من جاءنا بالبشرى لميراث الأرض ومن عليها، بقولك وأنت الصادق، وأنت القادر، {ما ينفع الناس في الأرض} ١٠.. {فأما الزبد فيذهب جفاء} ١١.. {كلمة طيبة كشجرة

طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار^{١٢}.

إن العاقبة للأشجار ذات الثمار، بثمارها ومن ثمارها تتكاثر الأشجار، أما الأشجار المورقة ولا ثمر لها، فالنار أولى بها، {جعل لكم من الشجر الأخضر نارا، فإذا أنتم منه توقدون}^{١٣}، إنها الحياة بألوانها، وإنها البشرية بأرواحها وأبدانها، إنها الإنسانية بعنوانها، لقائمها بأرواحها، في حضرة من أشباحها، طبقا بعد طبق ترفع، وطبقات بعد طبقات ترد، وفي كل طبق يرفع معه أئمته، وفي كل طبق ترد معه نبوته.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم اكشف الغمة عن الأرض.. اللهم اكشف الغمة عن هذا البلد، وعن بلاد المسلمين، وعن بلاد عبادك جميعا.. اللهم اكشف الغمة عن أنفسنا.. اللهم ولِ أمورنا خيارنا برحمتك، ولا تولِ أمورنا شرارنا بغضبتك، ولا تتركنا لعدلك دون مغفرتك، ولا تتركنا لحقائتك دون رحمتك.

لا إله أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

اللهم أَلِفْ بين قلوبنا.. اللهم حرر أرواحنا.. اللهم أنر عقولنا، اللهم أشعل نفوسنا.. اللهم قوم جوارحنا.. اللهم ابعث فيك قلوبنا.. اللهم يسر أمورنا.. اللهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم لقائك.

أضواء على الطريق

من هدي السيد الروح المرشد سلفيريش الموجه للبشرية الأرضية بضرورة تصحيح الفهوم العقائدية لما بعد الموت، حتى لا تتعطل النفوس البشرية عن رقيها الروحي وسيرها التقدمي في معراج الحياة، وهو يتحدث عن الأرواح الملازمة للمقابر في انتظار يوم قيامة رسم لها من خيال من رسمه، بعيدا عن المفهوم الصحيح لما بين أيديهم من أحاديث السماء أو الكتب الدينية. وعن الأرواح التي تراها تواصل حياتها الزمنية، ولا تدرك لانتقالها إلى الجانب الآخر من حياتها الشبحية فيقول عنهم:

(إنهم في الواقع قد كونوا فكرة طوال حياتهم الأرضية من أنه بعد موت الأجسام، عليهم الانتظار إلى أن ينفخ الملك جبريل في الصور. فهم مربوطون في ذلك السجن إلى أن يتمكنوا بواسطة تكييف أنفسهم من أن يحطموا القوة التي خلقوها. وهو أمر يخصهم ولا يزول عنهم إلا بفعلهم وإرادتهم. وهم غالبا ما يمتنعون عن قبول التوجيه الذي يقدم لهم من إخوانهم هنا بزعم قيام المعرفة والإيمان عندهم.

وهم بالضبط كالذين يرفضون التصديق بأنهم قد انتقلوا. وطالما هم يرفضون تصديق ذلك فنحن لا يمكننا جعلهم يصدقون. وليس لديكم فكرة عن المتاعب والصعوبات عندما نحاول أن نؤكد لهم أنهم أموات، وكثيرا ما تثار المناقشات بيني وبين هؤلاء فأسمع من أحدهم: (كيف أكون ميتا إذا كنت حيا؟)، وهو لا يصدقني ويتركني بنية أن ينتظر ليوم البعث.

يجب أن نتذكروا أنه لا يوجد عندنا شيء شبيه بالوقت. فهم لو عرفوا أنهم ينتظرون لحطموا فكرة الانتظار. إنه سجن من فعل النفس. ولكن ترجمة هذه الأشياء إليكم، بعيدا عن التجربة والمشاهدة، أمر من الصعوبة بمكان. فليس لدينا زمن كالذي تفهمونه، لأنه ليس لدينا أرض تدور حول محورها وتعتمد على شمس كنهها الليل والنهار، إذ كيف تحسبون البارحة والغد ليومكم إن لم توجد تقاسيم الليل والنهار؟)

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٤ سورة النجم - ٤
- ٥ سورة الإسراء - ٨١
- ٦ سورة الرعد - ٤١
- ٧ هذه الكلمة مكتوبة في النسخة المنشورة والأصلية "اثق"، وغيرونها إلى "اتسق".
- ٨ سورة الأنعام - ١٥٨
- ٩ سورة الإسراء - ٧٩
- ١٠ سورة الرعد - ١٧
- ١١ سورة الرعد - ١٧
- ١٢ سورة إبراهيم - ٢٤، ٢٦
- ١٣ سورة يس - ٨٠

(١٤)

نحن هنا لنا ديننا والناس غيرنا لهم دينهم وديننا لنا لا شأن لنا بهم ولا شأن لهم بنا

حديث الجمعة

١٩ شوال ١٣٧٨ هـ - ١٩ يناير ١٩٦٨ م

تصحیح التاريخ الهجري: ١٩ شوال ١٣٨٧ هـ

براءة من الله ورسوله، لمن بريء من نفسه، وبعث بربه، وقام بمعية إلهه في قائمه وحسه، أخذ كتابه بيمينه فقرأه وأسمعه، وإلى ربه أرجعه، خفيا بأمانته، وقام في رسالته، واستدار الزمان به على ما استدار برسوله في قيامته.

هذا هو دين الفطرة، استقبلته النفس مرسلًا إليها، من رسول ربها بها بالعقل لها، لمسله من الروح، لأمانة معبودها، للحياة في هيكلها لعالم وجودها، بالذات لموجودها، علمتها عنها مع معلها لها، كافة للناس جاءهم وجاءها.

هكذا كانت في الله دائما الكلمات.. وهكذا أبرزت من الله للناس بالناس الآيات، وبهذا أبدت للناس بالناس للعلم والمعرفة المعقولات والمنقولات، وبهذا قامت وتجددت النبوءات والرسالات، حتى تجردت عن الكلام الكلمات، وعُرت عن الإعجاز المعجزات، وعن المفارقة للناموس الآية والآيات، إلى الحق لقائم القيام، فحشرت الغاية إلى القيام، فلا إعجاز ولا آية، ولكنها المعرفة عن حق القيام، من البداية إلى النهاية، بتجديد البداية للمبتدئين، بعد كل نهاية، وجعل النهاية لهم غاية، عند كل بدء بتجديد من بداية، دورة الحياة بأزواجها إلى لانهائية، مع من أعلمه الأعلى ما كان وما يكون في قيامه في دورة قيامته.

نحن هنا.. والناس غيرنا.. لنا ديننا وديننا لنا، ولهم دينهم ودينهم لهم، لا شأن لنا بهم، ولا شأن لهم بنا.

نحن هنا.. لاقينا.. من له أسلنا، فذب به الإيمان في كياننا بإسلامنا. ليس لنا غاية إلا أن نكونه، وليس له غاية إلا أن يكوننا. نحن هنا لاقينا من له أسلنا، فأفاض الإيمان علينا بنا، فسلنا، وللسلام طلبنا ونشرنا، وفي السلم دخلنا وعلنا.

نحن هنا لاقينا من عيد غريبا، فوجدناه قريبا، وطلبناه أبا، سارعنا إليه طلبا، فأسرع إلينا إجابة، فكنا أبناء مسارعين، لأبيهم طالبين، فوجدناه، أبا سريعا، دانانا رفيعا، وحصنا حافظا منيعا، وحملانا إليه رافعا، وكان عندنا لنا من ذنوبنا بمادي وجودنا غافرا وشافعا.. عرفنا به أمرا للرحمن في الله نافعا.. عرفنا فيه بيتا موضوعا، فدخلناه مضجعا، نطلب بيتا مرفوعا، في بيوت قلوبنا، لقائم قوالنا، بحياة معانينا، وتحديد مبانينا، لنا بنا، في قيامنا منا فينا.

ربنا معنا، نراه لنا، وفي أنفسنا.. وإلها معنا، ندعوه فيسمعنا، ونطلبه فيلقنا، ونعبده فنراه في معنا. به وضع الكتاب لبصائرنا، وبه رفع الحجاب عن نواظرنا، فبصرنا وبصرنا وأبصرنا، وسمعنا وأسمعنا، وبه استمعنا، ولله أبصرنا وأشهدنا، سمعنا بسمعنا، وأبصرنا ببصرنا، وأحسسنا به في حسنا لنا، أقرب إلينا من حبل الوريد حقا، تقوم به أبصارنا وبصائرنا صدقا، وترى به أفئدتنا فعلا، وتعلم به عقولنا يقينا، وتصنع به لنا ما تريد أيدينا، وتسعى به في دوام إليه أرجلنا ومساعدنا لمراقينا.

الله لنا، لقلوبنا وقوالنا، لمعانينا وجوارحنا، أقرب إلينا من حبل الوريد حقا. يكشف الغمة عن نفوسنا صدقا، ويدخلنا في سكينته فعلا، فترانا في أمره لأمرنا فيه أمرا، نعلمه ونقومه سرا وجهرا. فهل نحن هنا كمن ليس هنا؟

إنا هنا لسنا كغيرنا.. نحن هنا عرفنا لمن أسلنا.. ونحن هنا شرفنا بمن به آمانا.. نحن هنا في الحياة.. وغيرنا في فلاتها، لا يعرف مستقرا من واحاتها.

نحن هنا في الواحة.. نحن هنا في العيون.. نحن هنا في الأشجار.. نحن هنا في الدار.. نحن هنا في الأمصار.. نحن هنا في المدينة.. نحن هنا ركاب السفينة.. نحن هنا المهاجرون.. نحن هنا الأنصار والحواريون.. نحن هنا الصحابة.. نحن هنا للحق الخدمة والحجبة.. نحن هنا الأبواب.. نحن هنا ركب الرحمن.. نحن هنا سيوف الديان.. نحن هنا السنة البيان.. نحن هنا كتب العرفان.

نحن هنا عباد الرحمن.. والناس بعد -إن قبلونا فقبلناهم- عباد لنا عبودية لربنا، نحن من أصبح لهم الرب والأرباب.. نحن من سربلهم الرحمن بحجب الأعظم من حجاب.. نحن حجب النور.. نحن حجب النار.. نحن حجب الظلام.. نحن حجب السكينة.. نحن حجب الفتنة والمحنة.. نحن السيوف الباترة.. نحن

الحبال الآسرة.. نحن الشموس العابرة.. نحن الباقيات الصالحات، لمن طلب الباقيات الصالحات، في رحاب رحمن الله نحن له وهو لنا.

يا أيها الكافرون بنا، كفرأ بربنا.. يا أيها المؤمنون معنا، بالله لهم ولنا، بالحق فيهم وفينا.. بأمر الله علينا، وبأمر الله دوننا.. وبأمر الله بينهما لأمرنا.. أمة وسطا عرفنا.. وأمرنا وسطا قننا.. لأمرٍ علينا لقيوم مولانا.. إلى أمرٍ دوننا لأمره له أمرنا عانا، فطلبناه لعين معنا، ودعونا لحضرة مولانا.

نحن كلمات الله، بمبنانا ومعنا، لكلمات الله علينا، إلى كلمات الله دوننا.. نحن حقائق الوجود، لحقه بنا، من حقه علينا، إلى حقه به منا، بالدين كله ظهنا، لمن عرف الدين كله، له لاقينا، وعليه اجتمعنا، عيد غريبا، فصار قريبا، وما كان بعيدا.

ذكرنا قديما فنسينا.. ونسينا في يومنا، فلم ينسنا.. آب إلينا، بعد أن آب إلى الأعلى له للأعلى لنا، فكلمنا آب إلى الأعلى بالأعلى رحما، وعنده ذكرنا، واستغفر لنا، فكان عنده خيرنا ورحمتنا.

وكلمنا ازداد ظلام نفوسنا استأذن قآب إلينا، وتجدد بثوب بيننا، وبالحق نزل دوننا، وكلمنا آب لنا بيننا بمعناه، أعلننا بمعنا، على قائمه بمبناه لمبنا، حتى نشهد مولانا، لقيوم مولاه لنا، يسفلنا ويعلوننا، يفرقنا ويجمعنا، نسمعه ويسمعنا، ونلاقه ويلاقينا، في قائمنا بمعنا وبمبنا.

هو روح الله لنا، وروح الله فينا، وهل لروح الله اسم غير روح الله، يعنينا ويرضينا؟ أما يكفي أنه روح الله لمعنا، وأمانة الله لمبنا، وحي الله لموات أراضينا، نور قلوبنا لإيماننا، وروح عقولنا لكآبنا، ونار ذواتنا لقدس معانينا، لنا منا فينا، تصلصلنا لمغانينا، وصقل زجاجة مبانينا؟

نقود أنفسنا إلى نار قدس الله فينا، برضائنا وعلمنا، لمراقينا، ديننا لنا، وربنا معنا، فينا، والله لنا بجماعنا قريب يدانينا، لا مجهول يحافينا.. لا مغضوب علينا منه.. ولا غضب منا عليه، به لنا وجوها له سعدنا ورضينا، وهو برحمته مرتضينا، ما عرفناه قالانا ولا هو قالينا، ولا فارقنا بعيدا عن معنا به لمعنا، فما أهملنا بيوت لقاء بمبنا، بحفوة من مولانا لنا فينا.

إنه الخير.. إنه الحق.. إنه الحياة.. إنه الله في موجوده وما أوجد، قائما فيما أوجد، وما به تواجد، وفيما به تواجد من تواجد له في نفسه، بتجديد نفسه جدد، سعد وأسعد، تواجد وأوجد. صنع بمن صنعه، فكان الصانع وما صنع، والمبدع وما أبدع، وكان المؤمن الصانع بإيمانه بالأعلى له في مرآة الأدنى المصنوع، فكان بتوفيه لمعرفته الصانع والمصنوع. كان بدينه المخلوق، وكان بدينه الخالق، باسم الله له قامت الخلائق والحقائق، ففيه استقامت المعاني والمعارج والطرائق.

الإله العبد.. والعبد الإله.. العبد الرب.. والرب العبد.. هذا هو الإنسان، عبدا وربا وإلهًا، نفسه على نفسه حسيب، ونفسه على نفسه رقيب، ونفسه لنفسه محيب، ونفسه بنفسه عتيد قريب في لا إله إلا الله، في هدي الله، وكتاب الله، وأم الكتاب لله، في كتاب الوجود، في وجه الشهود، في طلعة الخلق، في قدسية المخلوق.

عرفنا بمن عرفناه قدوة لنا إلى معناه، رسولا لمولاه، ومسيح معناه، خلّقه بمبناه، عرفناه ابن آمنة، لمعنى ابن مريم، وعرفناه ابن عبد الله، لمعنى ابن الإنسان بمعناه لأعلاه، وعرفناه محمدا لقائم وقيوم آدم، بقائه في قديمه وقادمه، ثالث آدم في أحده، وأحدية أيام الله ليومه، وأحدية الخلق والخلائق لنفسه في خلقه، وأحدية الحق لحقائقه بكوثره في حقه. الأمر الوسط دائما في كل أمر له، كافة للناس بالحق بعث، وعلى مثاله وقراره بالحق يبعثون، وهم وإياه في قائم بالحق في الحق يقومون.

قائم المعاني للإنسان.. المحيط بالمباني للأكوان.. المقارب لمن يقارب، الغافر لمن الله يتقي ونفسه يحاسب.. المعطي لمن يطالب.. الحق لقائم الحق في الإنسان، للإنسان، بالإنسان، جماع الحقائق والخلائق لأحده في توفيه وكفايته، فيمن لا اسم له، فيمن لا نوال له، فيمن لا ظهور ولا غيبة له...

فيمن يعرفه الإنسان في وجوده بوجوده، فيمن ينعمه الإنسان بنعمته من جوده، فيمن لا يشار إليه من مشير، فيمن لا يحصره حاصر في محصور، ولا يقيدده مقيد في مقيد، ولا يوجد في الوجود من له بالفعل أو بالفكر يقيد، لا شريك له منه، ولا غير له فيه، الكل فيه وجهه، لب الأشياء، وشيء لهما، تعرفه الكائنات في كائنها به لها.

هو القلب والقلب لكل شيء.. هو الوجود والوجود والموجد في الموجودات.. هو من اصطلاحنا على تسميته أل لا هو، ال لا غيب، الإله، ال إلى هو، الآله، ال إلى الغيب، الغيب إلينا.

قامه من تواجد بالحق بيننا منه، كوثرًا بقبله وبعده لا يبتز، غيبا علينا بمعناه، مشهودا لا يبتز، هو بكوثره قدوة لنا بمبناه. فقمنا معه إليه، إلى الهو، إلى الغيب، منشودنا، وإلهنا، وأمرنا، وقائم إرادتنا لنا، لقائم إرادته بنا، قائم قيومنا علينا لقيامنا.

نحن له قيام، ما كنا معه في سلام، بأمان الرحمن من رد أعمالنا إلينا، بغفرانه لنا وهم وجودنا بجلودنا، وقد جعله الأعلى رحمة منه إلينا، وبشرى به لنا، وحقا له فينا، فكان إمامنا منا إليه، وإمام آبائنا منه إلينا، فما غاب الأعلى عن كان إليه، وما انحصر فيمن كان منه.

جاءنا رسولا من عالمه، وقادنا رسولا من عالمنا، قادنا رسول عالمنا إلى عالمه.. وعرفنا بالملا الأعلى قائمنا في قائمه.. جاءنا رسولا من الملا الأعلى، يطلبنا لنفسه، لا إلى مكان، ولا إلى زمان، ولا إلى مكان، ولكنه يطلبنا لنفسه في أنفسنا، يوم نرتضي لأنفسنا أن تكون لنفسه علما وعنوانا.

يوم نطلبه لقلوبنا بأنواره، وبروحه وأسراره، وبقائمه في معارجه وأطواره لأنفسنا فينا، فنخرج إليه تطورا بمبائنا، ومعراجا بمعائنا، إلى معلوم وحدائته، بتوحيدنا لنا في رسالته، مؤمن لمؤمن، كلاهما لأخيه له مرآة، هما على دينه صديق لصديق في هذه الصحراء وهذه القلاة، سيرا في طريق برفيق لرفيق إلى واحة حياة من واحات، إلى مصر نجاة من أمصار، إلى سفين خلاص من سفن في أسفاره. تعددت له الدور، وتعددت فيه القفار، وتعددت له خلقة وحقائقه الأمصار والأنصار، وشيدت فيه المدائن، لمعاني الوجود والعوالم والأكوان.

بهذا جاءكم دين الفطرة، به تعرفون، لمن تسلمون، وبمن تؤمنون، ولمن تسجدون. هذا لكم هنا، ثمرة قديم، ومجاهدة قائم، وموعود قادم. فكيف يكون معنا غيرنا!!! ونحن خلاصة الحياة، للخلص من أهلها!!! نحن سفن النجاة لركبها، لمن ركب.. نحن أبواب الحياة بكلمها وكيلىها لمن طرق وطلب.. نحن سبل الحياة لمن سعى ورغب.. نحن من الحياة لطالبها سماواتها وأراضيها.. نحن في الحياة لعاشقها عاليها ودانيها، هكذا نحن هنا، فكيف يكون معنا غيرنا؟ الأرض مزوية لنا فلا وطن لنا، ولا زمان يحكمنا أو يحدنا. لروح الله ولاؤنا، ومع أمر الله لقاءنا.

الله ورسوله لنا، فمن مثلنا!!! ومن شأنه شأننا!!! يكون منا من كان لنا، على ما كنا، ممن كانتنا، يوم كناه بنا، فنكون منه، على ما كنا، ممن معه كنا فكاننا على ما كانتنا.

نحن هنا الحياة.. نحن هنا السلام والخلاص والنجاة.. نحن هنا كتاب الله وكتب الله، وأم الكتاب لله.. نحن هنا المعرفة.. نحن هنا الذات المشرقة.. نحن هنا الروح المكيفة.. نحن هنا المعارف المحققة.. نحن هنا الحقائق المعرفة.. نحن هنا الناس وقيام الناس، والبيت الحرام والكعبة المشرفة.

ما شأننا بغيرنا.. والله لنا، ورسوله معنا، في قيام بنا، فمن مثلنا! ومن يكون غيرنا، غير العدم عندنا، لا شأن له بشأننا، ولا كيف له بكيفنا، أمره له، ولا أمر له بأمرنا.

نحن هنا، الله لنا معنا، ورسوله قيامنا بنا، وكلمات الله في قيام مبائنا ومعائنا لجمعنا، ولكل فرد فينا. نحن هنا المسلمون.. نحن هنا المؤمنون.. نحن هنا المجددون، بالحق يقومون، ومن الخلق يتخلصون.. عن الموقوت يعزفون، وللدائم يعشقون ويطلبون، ولكسبه من فعله بهم يجاهدون.

نحن هنا المؤمنون.. نحن هنا العارفون.. نحن هنا الروحانيون.. نحن هنا الأرواح القائمون، لنا في الروح قيوم، ولنا في الذات معلوم، ولنا في المعنى مفهوم، ولنا في الكتاب مرقوم.

نحن الصحف لقارئها.. نحن السور لمرتليها.. نحن الكلمات لسابحات لمصاحبيها.. نحن الحروف العاليات لمتابعيها.. نحن آيات الله لأُمِّ كتابه.. نحن كتب الله لرحمة حجاب.. نحن نور الله لعارفيه.. نحن أمر الله لمجيبه.. نحن حجاب الله لمسترحيه.. نحن حق الله لقائمه.

نحن هنا المسلمون.. نحن هنا المؤمنون.. نحن هنا العارفون.. نحن هنا المقربون.. نحن هنا المقاربون.

نحن هنا ثلثة الآخرين.. بعثا لثلثة الأولين.. نحن هنا أناجيل الله للقارئ.. نحن هنا كتب الله للعالمين.. نحن هنا أعلام الله للمؤمنين.. نحن الذين نعرف بالله والدين.. نحن الذين ننطلق بالرسول وباليقين.. نحن ألسنة الله.. نحن أيدي الله.. نحن أقدام سعي الله.. نحن للقلوب وجوه الله.. نحن للطريق في أنفس الناس مصايحها.. نحن للأرض أوتادها.. نحن لأعجاز الحياة نجادها.

نحن إنسان محمد وبنوه، وأتباعه وحواريوه.. نحن آدم وكلمات الله إليه منه فيه.. نحن الإنسان وظلاله له، وآياته منه.. نحن الحق وبيانه.. نحن النور وعنوانه.. نحن البيت ومن حوله ومن فيه وبنائه.. نحن الدين.. نحن الحقائق لمن يطلب الحق لنفسه، في أمره وذاته ومعناه وحسه.. نحن الطريق.. نحن الأمان.. نحن السكينة والسلامة.. نحن الحياة، لمن يطلب الحياة.

الله لا إله إلا هو الحي والحى والقيوم على الحياة.

اللهم بمن جعلته أحواض الحياة، لقائمك الحياة، وقيومك الحياة، في قائم الحياة، بأمانة الحياة، فأحيينا، ذاتا وروحا.. روحا ومعنى.. معنى وقياما.. خلقا وحقا.

اللهم إيماننا بك آمانا به، ورضاءً عنك رضيانا عنه، ورحمة منك مهداة، لأنفسنا منك رضياناها، ومنك طلبناها، لا نجعله ولا نتجاهله، بيننا وبينك، فهو عروة وثاقنا معك، باتساقنا معه، جعلته الحق بيننا وبينك، لحق أنفسنا في حقيقة أمرك وشأنك، في محيط شرك وجهرك.

اللهم بك لك فيك فيه فأدخلنا، وبه لك، قيوم قيامنا فأقننا.. اللهم إنا عرفناه، بيننا وبينك، وعرفناك بينه وبيننا، فعرفنا أننا بينكما بين يدي رحمة محيطك.. اللهم فأسلنا به طريقك، واجعل منه لنا، أبا، وخلا ورفيقا، على ما كنت له بالأعلى لنا أبا وخلا وصديقا.

جعلته لك فيك صادقاً وصديقاً.. اللهم اجعلنا له فيه به، صدقاً وصديقاً.. اللهم إنا به آمنا.. فيه امننا علينا وآمنا.

اللهم به أمانة الحياة لا تمنعنا ولا تقطعنا، ولأمانة الحياة فلكنا، وبها فأملكنا، ومن قبضة يدك لا تخرجنا، ومن ساحة رحمتك لا تطردنا، وإلى كتاب علمك فاضمننا وعلمنا، وعلم بنا، وأعلم بنا، من أردت ليعلمك في علمه عنه بعلمك منك بعلمك بنا، لا شريك لك من وجودنا، ولا موجودنا وما تواجدنا.

اللهم برسولك، أدخلنا حصن شعار لا إله إلا الله، لوحدايتك، علما وإيماناً، وإسلاماً.

اللهم اجعل علمنا يقينا، وإسلامنا سلاماً وتسليماً، ويقيننا فعلاً وقياماً، ولا تجعل بيننا وبينك حجاباً، ولا تخدعنا فيك كذاباً، ولا تمزقنا بفعلنا جلباباً، بأيدينا فتنة وجزاءً، واجعل من إرادتنا لإرادتك إرادة وحكمة، وأحينا برسول الله لك طلعة، ولا تجعل منا له بيننا خصيماً، ولا تجعلنا بفتنة أنفسنا بعيداً عنه خصوماً، وابعثنا في الوجود لك وجهاً، واجعلنا لموجودنا من عملنا في وجودك لنا وجوهاً، واجعلنا لمحبيننا أماناً، ولقالينا بالرحمة له عزة وقهراً، واجعلنا من الهلاك ضماناً، وللسلام أماناً، واكشف الغمة عن الأرض لنفوسنا قياماً، بك بها أحطنا، وداراً عرفنا، من دور عديدة وعدنا، خلقتنا للأبد، ومن دار لدار نقلنا، في رحلة لدار، بها وعدنا، فيك نلقاها، وفيها نلنالك، في سفور لك بنا، لقائم معنك لنا، في قائمك بمن عنك، وآمن بك، حتى لا مولى، وحتى لا عبد، وحتى لا معبود، وحتى لا وجد، ولكن وجود، وقيام وشهود، (إن لله جنة ليس فيها غير وجه الله يضحك)^١

اللهم خلصنا من جنان الشهوات، وجنان التزوات، وجنان الغفلات، وجنان الآيات، إلى جنة وجودنا، لقربك في موجودنا، بقيامنا لقائمك، فما عذابك سوى حجابك عنا، وما نعيمك سوى وصالك لنا بنا.

اللهم اجعل منا لوجهك وجوها ناضرة لربها ناظرة، ولا تحل برد أعمالنا بيننا وبين قلوبنا، لقريب وقائم بيتك فينا، لقائمك في قيامك بمعانينا، في لا إله إلا الله، لشعارنا وديننا، في قائمنا بحمد رسول الله، لأماننا، وطريقنا.

اللهم كن لنا بكل ذلك، على ما هو كذلك، حكماً ومحكومين، رواداً ومرودين، يقظين وغافلين. واشملنا وأحطنا برحمتك، وتولنا جميعاً بعنايتك، وخذ بنواصينا إلى الخير برحمتك، وقوم طريقنا بهدایتك، بمن جعلته رسول معرفتك ولقائك وجنان حضرتك وجزاء رضائك.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

أضواء على الطريق

من هدي السيد الروح المرشد سلفربرش:

(الإنسان هو عبارة عن الوعي، والوعي هو كل ما يهم، الوعي هو حياة الفرد، وحياة الفرد هي الوعي، فأينما وجد الوعي كانت هناك للفرد روح، وأينما وجدت روح للفرد كان هناك وعي. إنكم لا تدركون كمال وعيكم في العالم الفيزيقي الذي تعيشون فيه، لأن وعيكم أكبر من الجسم الفيزيقي الذي يحاول أن يعبر عن نفسه من خلاله. إن الأصغر لا يمكنه أن يحوي الأكبر، والأقل لا يمكنه أن يتسع للأعظم. إن هناك فهما خاطئاً لهذا الأمر. ويوجد للعقل وظائف كثيرة. وعلى هذا فأنتم تظهرون خلال حياتكم الأرضية جزءاً فقط من وعيكم الأكبر الذي سوف نتعرفون عليه في الأيام التي تلي عبوركم لبوابة الموت، يوماً فيوماً).

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ إشارة إلى حديث شريف رواه مسلم في صحيحه، يصف حال عباد الله الصالحين يوم القيامة: "...فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل". كما في الآية الشريفة: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} سورة القيامة - ٢٢، ٢٣.

(١٥)

الله لنا كل هوانا وكل معنانا وكل مبنانا ليس لنا غيره ولسنا فيه غيره بوصلتنا بالرسول، إلينا فينا منا، ليس غيره، ولسنا له غيره

حديث الجمعة

٣ ذو القعدة ١٣٨٧ هـ - ٢ فبراير ١٩٦٨ م

الله لا إله إلا هو الحي القيوم، به تؤمن، وبه نعمل، وبه نقوم، وبه نحيا، وبه نبقي وندوم.
 إن الله لنا، وإن الله عندنا.. وإن الله من حولنا.. وإن الله معنا.. وإن الله فينا، هو ديننا وهوانا، وهو
 مشغوليتنا ومعنانا.. هو روحنا ومبنانا.. هو وجودنا، بموجودنا، له أوجدنا، ولنفسه رعاننا، وبرحمته عنانا،
 وبكرمه وجوده تولانا، ويطورنا لحقنا من خلقنا، في مبنانا ومعنانا.
 إن الله لنا، كل هوانا، وكل معنانا، وكل مبنانا، وكل دنانا، وكل علانا، ليس لنا غيره، وما عُرف
 لغيرنا، ولسنا فيه غيره، وليس لنا غيرنا.
 إنه الحياة بكل معانيها.. إنه الحياة بكل مبانيها، لا تصلح لنا حياة إلا يوم أن نحياه، ولا نحياه إلا بصالح
 الحياة.
 هو صالح الحياة.. هو نافع الحياة.. هو داني الحياة.. هو باقي الحياة.. هو دائم الحياة.. هو رفيع الحياة..
 هو رافع الحياة.. هو مرفوع الحياة.
 لا إله إلا الله، ولا موجود بحق إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا عون ولا قدرة إلا من الله،
 ولا سير إلا إلى الله، ولا جيئة إلا من الله.
 منه جاء الإنسان، وإليه يصير الإنسان، وبه يقوم الإنسان، وتحت لوائه يعمل الإنسان، تحت الإنسان
 وفوق الإنسان وفي الإنسان، لخير الإنسان.

إن الحياة على أرضكم، في كل أزمانها، وبكل ألوانها، وبأمكنة ظهورها وفي شمول أمرها، في قديمها، وفي قائمها، وفي قادمها، إنما تهدف إلى ما تهدفون إليه هنا، إلى ما تهدفون إليه معنا، إلى ما نهدف إليه معكم، إلى ما يهدف إليه جمعنا وفردنا من إعلاء كلمة الله لنا في قائم كلمة الله لمعننا، وفي قائم الوجود لمبنانا، برسول الله لمبنانا ومعننا إنسان ما قبل آدم، محمد عرفناه وأوادم به له فيه صرناه، قريبا وصلناه، وحقا لاقيناه، في بيوت قلوبنا اجتماعنا ووجدناه، مجددين مبانينا لمبناه، مغيرين ما بها لمعننا، بشهادتنا لنا محمدا رسول الله، قائد ركبنا، وروح قيامنا، في قائمنا بنا عبادا لله، في حصن لا إله إلا الله، مأوى لنا دخلناه، وبيتا لها قنناه، وللوجود رحمة عنونه، وأبوابه للناس فتحناه، أمة لا إله إلا الله لأسماء الله، وأمة محمد رسول الله للإنسانية الله، وأمة من الله لكلمات الله، أمة الله لعوالم الله، ورسالة الله لحديث الله، وكتاب الله لهدي الله، وجمع كائنات الله لإحاطة الله، ووجوه الله لشهود الله، وأسماء الله لذات قرب الله، ومعاني الله لروح الله، وهياكل الله لقدس وأقداس الله.

إن ما تشهدون في عصركم، وإن ما يتيأ من الأسباب لبروز أمركم، أمر لا يخفى على عقولكم، ولا يحدد عند نفوسكم، ولا يغيب حسه عن أرواحكم.

إن الحياة في مشارق الأرض وفي مغاربها، وفي أعالي الأرض وأوساطها ودانها، تتهيأ لأمر جلل، تتهيأ للحق، تتهيأ للملكوت السماء على الأرض، تتهيأ لعدل الله، تتهيأ لحكمة الله، تتهيأ لنفاذ نبوءات كتاب الله، تتهيأ لسفور حقائق الله بينكم، وامتدادها فيكم ومن حولكم، تتهيأ لظهور وجوه الله بكم لكم، تتهيأ للا إله إلا الله.

تهيأ لمحمد رسول الله، وأمر الله، وعبد الله، وحق الله، زويت له ولأمته الأرض كتابا، ولم تجعل بينه وأمته وبين الله حجابا. كسب وأمته منها ذكر الله، وجافى بها وجافوا معه كل ما سواه، عرفها وعرفوها معه جيفة، وعرف وعرفوا طلابها كلابا، فلم يشارك ولم يشاركوا الكلاب على جيفتهم، وتركها وتركوها لهم، وأخذ وأخذوا ذكر الله، لم يفرط ولم يفرطوا في شيء من أمره وأمرهم به متأملين متبصرين، متعلمين في أمر حكمته، وفي مراده برحمته بالكلاب من خليقته.

رائيا ورائين معه رحمته بالحجاب، وقارئا وقارئين معه عظمته في الكون بالكتاب، متجولا ومتجولين معه في الوجود لقائم المحراب، متحررا ومتحررين معه من سجن السماوات والأرض إلى حيث لا أرض، ولا سماوات، فالسماوات والأرض ومثلها وإن عظمت وإن جلت، فما كانت إلا في ملك الإنسان، يوم كان الإنسان، في ملك الرحمن.

فالإنسان بحقه في مطلقه، ما كان إلا إنسانا لإنسان، إنسانا لإنسان من فوقه، وإنسانا لإنسان من دونه، إنسانا وسطا، عرف الأعلى من الإنسان معه برباط له به، وعرف الأدنى من الإنسان، هو الحق معه، برباط له به.

عرف الأعلى، رفيقا أعلى، وعرف الأدنى، رفيقا هو عليه بالأعلى علا، على ما عليه الأعلى بأعلى علا ويعلو، رآه في نفسه، لنفسه الأعلى، في متابعة لأعلى، هو له به سر متابعة الأدنى له بموصوفه الأعلى عليه، ويتابعه من بعده متابع ومتابع، ويتابع هو الأعلى، إلى مقام أعلى، ورفاق أعلى، أعلى فأعلى، إلى لا انتهاء، في دورة خالدة دائبة، تكمل في علاها، وتواصل جديد بدايات لدناها، لعروجها في مراقبها في علاها.

بذلك عرف الإنسان، بين إنسانين، لمعنى أبويه، أو لقائم ولديه. كان بعاليه إلى أسفله، وبأسفله إلى عاليه، في معراج وارتقاء لا يتوقف، ولا ينقطع، وقد غاب عن معاني الأعلى والأسفل لذاته وصفاته، وعرفه بقائمه، وبقيومه، وبما قام هو عليه، إنما هو قيام واحد بوحدايته في وحدانية الله بآحاده، مع أعلى فأعلى يتوحد، ويتسع، ومع أدنى فأدنى يتحد، ويتواجد. عرف الله لنفسه في نفسه لقائم الأكبر والأكبر، فقدّر الله حق قدره، وعرف الله حق معرفته.

هذا هو إنسان الإسلام، وهذا هو عبد الله، وهؤلاء هم عباد الرحمن في دين الفطرة، في دين صبغة الله.. في قائم فطرة الله، فطر الناس عليها، فطرته للسموات والأرض لهم، بحقه صبغهم وبحقه بهم صبغها. (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)^١، {خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون}^٢، لو كانوا يعلمون عن خلق أنفسهم، {وما كنت متخذ المضلين عضدا}^٣.

فلا تضيقوا ذرعا بما تشهدون في هذه الأيام من حولكم، من حماقات الإنسان، من سفاسف الإنسان، من بُعد الإنسان عن الجادة، وإغراقه في التافه.. بل إغراقه في نقيض الجادة في البهتان، في الكذب، في النفاق، في العزة بالإثم، في الكبرياء بالوهم، وقد جعله الله برد عمله إليه، وقودا لنار قيامكم، بجذوة الله، نارا بها تصلصل قوالب الصالحين منكم، لاستقبال ماء الحياة، ونور الحياة يزجاجتها ومصباحها في مشكاة صدوركم.

فالإنسان في كنوده لحقي موجوده، يريد أن يخفي ضعفه عن نظره، وعجزه عن إدراكه، زاعما القوة، والعزة، والإرادة والقدرة، مدعيا الرحمة، والسلام، والعدالة، والإنصاف، وهو على نقيض ذلك كله يعمل، ويدأب على العمل، تحكمه الحماقة، ويزعم الحكمة.

{ولا يغتب بعضكم بعضاً}، {ولا تجسسوا}.. ولكن الإنسان بحماقته أصبح الحق عنده في التجسس.. والسياسة والحكمة في التجسس، والمعرفة والعلم في الجاسوسية.. أقمار في السماء تدور للتجسس.. طائرات حول الأرض، تعمل، ليل نهار للتجسس.. سفن مزودة بأجهزة العلم، وإمكانيات الطبيعة تتجول في كل البحار للتجسس.. غواصات تختر البحار تحت الماء، تكشف الأسرار للتجسس.. أجهزة المخابرات ينفق عليها المليارات في كل بلد للتجسس.. أجهزة للأمن تفسد أمن الناس وتزعج كل أمن، لتحفظ الأمن لنفوس الحكام، عن طريق التجسس.

هؤلاء هم الحمقى! لو أنفقوا هذه الأموال، ولو خصصوا هذه القوى والقدرات، ولو بذلوا هذه المهمة وهذا الجهد، لاستلالت السخائم من نفوسهم، ولنشر المحبة بينهم، ولغرس بذور الإيثار في قلوبهم لكانوا جميعاً الأنبياء، وملئت الأرض بالأولياء، ولرأينا شعوب الأرض جميعاً من الأتقياء.

ولكنه خور الداخل، في نفوس نتوارث ظلام الآباء، وتورث ظلامها للأبناء، فلا نور الآباء استمدت ممن نار منهم، ولا بإشراق مشكاة الصدور، أبناءها أمدت ممن صلح بينهم، وموائد الله، في كل زمان أعدت، وعباد الرحمن على الأرض مدت.

ولكنه عمى القلوب، ولكنه صمم القلوب، ولكنه بؤس القلوب، ولكنه فقر القلوب، ولكنه فاقة العقول، وثرء الفتنة، وكنوز الفتون، أمرا استشرى في مادة الحياة لقوالب النفوس، التي سخرت لكسب الحياة بهيكل الوجود، وخص بعضها لتحقيق الخلاص والنجاة كسفن لطريق الحياة، وعرفت ونسبت لأصحابها ومن صحبهم ولكن الناس أساءوا، وسيئون استعمال أجهزتهم ويفسدون أعمالها لخيرهم.

فيجعلون منها بجهلهم أجهزة هدامة للحياة في ملكيتهم، يسألون أيان يوم القيامة، ينتظرون موهم قيامة من رسمهم، وهم بقائمهم يحملون بين جوانحهم، كل قيامته، وكل في الله ساعته، (لكل منكم قيامة)^٦، (لكل منكم ساعة)^٧، فما تكون القيامة؟ وما تكون الساعة بعد هدي النبي، وبعد هدي الله {وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد}^٨؟

إن القيامة لكم، يوم تقومون بالحق فيكم، وتجاون قائم الباطل معكم بمادي نفوسكم يجري منكم مجرى الدم، إنها لحظة يقظتكم، إنها يقظة لبابكم، إنها نفخة الحياة، بأنفاس الحياة من الأحياء بينكم، مضاعفة للحياة لكم، وتجديدا لمولد الروح فيكم، تدعون بأئمتكم، تُنسبون لهم بحقيقتكم، ينفثون روح الحياة، من خلال أسواركم، بجلودكم، فتستقر الروح، من أمر الله بكم، في بيتها من قلوبكم، جديد مولدكم.

نفثات الحياة منهم، باسم الله لهم، تشعل بها سُرج قلوبكم، في مشكاة صدوركم، فتتار وتشرح لكم كتب ذواتكم، لمرآة السماوات والأرض فيكم، لقائم الأرض والسماوات لكم، بقائم الحق لكم، وفي معيتكم، هو لكم على كل نفس قائم، هياكلكم هي له وجهه، وهو من ورائها بإحاطته.

أيما تولوا فثم وجه الله، وجه الله أمامكم، فكيف تنتظرونه لغدكم؟ ولم لا تشهدونه ليومكم؟ هلا امتدت أيديكم، فمزقت حجب المادة تحول بينكم وبينه، هلا كشف الغطاء عن قلوبكم، فرأيتم بقلوبكم، قلوب ما تشهدون من أشياءكم.

فصرتم قلوبا تتلاقى مع قلوب، يؤلف ناموس الله بينها، فتغفر الذنوب، وتنقضي العيوب، وتفرج الكروب، وتستتر المثالب، وتزرع المتارب، وتحقق المطالب، ويظهر الله.. فيكم ومن حولكم.. بكم وعليكم، جنان وجوده، ونار وقوده، وحاضر موجوده، ونور شهوده...

تعرفون الله، لأمركم، لقيامكم، لذواتكم، لأرواحكم، لعقولكم، لنفوسكم، تعرفونكم الإنسان، في أي صورة ما شاء ركبته، وفي كل معراج إليه قربه، وفي أي مستوى قام طلبه، وزاده من روحه ومن نوره فقربه، يوم كوره ونشره، يوم صوره وأغفله، ونورا غفلا تواجدته، وصورا عدده، قامه فشده، وأقامه فأشده، بلا إله إلا الله سوده، وبمحمد رسول الله حفظه وعدده، فعرف الله لنفسه، وعرف الله لوجوده، وعرف الله في أمة رشاده، وعرف الله في عليائه، وعرف الله في دناؤه، وعرف الله في أخرياته. شغله الله، فلم ير إلا الله، ولم يعرف إلا الله، فشهد أنه لا إله إلا الله، وأنه قام محمدا رسول الله.

اللهم بمن جعلته رحمة للعالمين، فارحمنا، وارحم بنا، وارحم منا.

اللهم بمن جعلته على الخلق العظيم، فقومنا، وأدبنا، ويسر أمرنا.

اللهم بمن جعلته منك إلينا، فحققنا، وغير ما بأنفسنا، واحمنا عنا، وابعثنا به، قياما له، وظلال حقه.

اللهم بمن زويت له الأرض، لا تخرجنا من دائرة وجوده وشهوده، ولا تعرضنا إلى غفلة بلائه، وقطيعة ابتلائه، واجعلنا له، واجعله لنا، في قائم حقك، لقائم وجودك، به بنا.

لا إله غيرك ولا معبود سواك

اللهم به فاكشف الغمة عن الأرض، وعن هذا البلد، وعن بلاد المسلمين، وعن أنفسنا، وعن حكمانا، وعن أئمتنا ومجاهديننا، وعن قادتنا ورعاتنا، وعن المتابعين والقاعدين منا، وكن لنا به في الصغير والكبير من شأننا.

وبه فَوَلِ اللّٰهُمَّ أُمُورَنَا خِيَارَنَا، وَلَا تَوَلِّ أُمُورَنَا شَرَارَنَا بِرَدِّ أَعْمَالِنَا عَلَيْنَا، وَعَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا، وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَاجْعَلْ خَيْرَ أَعْمَالِنَا خَوَاتِيمَهَا وَخَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ لِقَائِكَ.

أضواء على الطريق

(من يقع نظرنا عليه، ليس موجودا ولم يخلق بعد، ونحن لا نختار إلا من قلب الإمام. وقليل من عالمكم من يدخل إلى عالمنا وهو منسوب إلى أسرة. إن عالمنا يعمل في جماعات اتحدت قلوبها، ولا يعرف الفردية، إن الملاء الأعلى لقائم الرشاد والحكمة في مطلق الوجود، لا قيمة فيه للأشياء، ولا محل فيه للتقييد في الصور).

من هدي الروح المرشد سلفيريش

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ من الحديث الشريف: "ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمر الذي على الناس راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته". أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ٢ سورة غافر - ٥٧
- ٣ سورة الكهف - ٥١
- ٤ سورة الحجرات - ١٢
- ٥ سورة الحجرات - ١٢
- ٦ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٧ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٨ سورة ق - ١٩